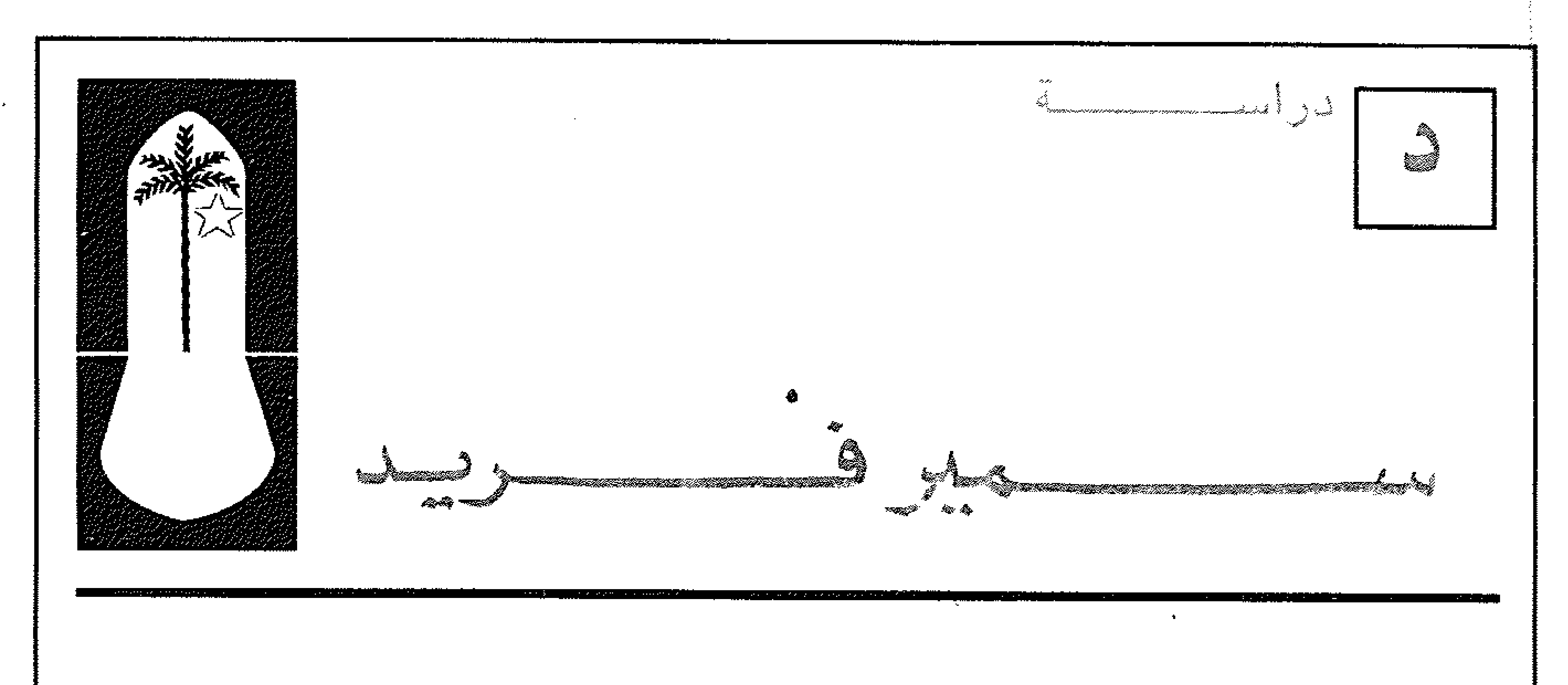


الصراع العربي الصهيوني في السينما


الصراع العربي الصهيوني في السينما

دار سعاد الصباح
ص . ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
ص . ب . ١٣ المقطم - القاهرة
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠
٣٥ ش محى الدين أبو العز
ت ٣٤٩٧٧٧٩ - ٣٤٩١٧٢٧

رقم الأيداع ٤٨١٨ / ٩٢
الترقيم الدولى 9 - 3464 - 00 - 977

الطبعة الأولى
١٩٩٢

الاشراف الفنى : حلمى التونى

اهداءات ١٩٩٩
دار الجميل
القاهرة

د دراسة



سمير فريد

دار سعاد الصباح

واقع السينما فى اسرائيل

يبلغ عدد دور العرض السينمائى فى اسرائيل ٢٨٧ دارا منها ٢٧٠ تعرض الافلام من مقاس ٣٥ مم ، ١٧ تعرض الافلام من مقاس ٧٠ مم .

وتعرض هذه الدور حوالى ٥٠٠ فيلم أجنبى كل عام ٣٠ ٪ من الولايات المتحدة الأمريكية ، ٣٠ ٪ من مصر ، ١٠٪ من دول أخرى . ويتم تهريب الافلام المصرية من لبنان والاردن وقبرص وفرنسا . وهى تعرض من أجل السكان العرب فى دور عرض خاصة لا تعرض غيرها .

وقد صدر أول قانون صناعة السينما فى اسرائيل عام ١٩٥٤ ، وفى نفس العام جرت أول محاولة لانتاج فيلم روائى طويل ، وهو فيلم "التل ٢٤ لا يرد" اخراج البريطانى ثورولد ديكنسون . ولكن أول فيلم روائى طويل اخرجه اسرائيلى كان عام ١٩٦٢ ، فقد تم فى ذلك العام انتاج فيلمين هما "يالها من فرقة" اخراج زيف هافاست ، وهو كوميديا تدور احداثها فى مواقع القوات المسلحة الصهيونية قبل انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ، و "جوزيف الحالم" اخراج يورام كراوسن المستمد من أحدى قصص العهد القديم "التوراه" .

لقد ظل الانتاج السينمائى فى اسرائيل مقتصرا على الافلام

• بحث كتب بتكليف من مهرجان بغداد الدولى الثانى لأفلام وبرامج فلسطين عام ١٩٧٦ .

التسجيلية القصيرة حتى عام ١٩٦٢ ، وبعد حرب ١٩٦٧ نما وتطور تطورا كبيرا بمساعدة شركات السينما الامريكية الكبرى فى هوليود . وأول مايجب بحثه هنا لماذا تأخر انتاج الافلام الرائية الطويلة فى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٢ .

ان الأسباب الظاهرة لذلك التأخر فى أنتاج الافلام الروائية الطويلة هى فشل فيلم "التل ٢٤ لايرد" ، وقيام السينما الصهيونية خارج اسرائيل بمهمة الدعاية الصهيونية فى هذا الصدد بنجاح من خلال افلام مثل "الخروج" اخراج أوتوبريمنجر عام ١٩٦٠ ، وعدم وجود خبرات كافية فى اسرائيل . ولكن الواقع أن تأخر انتاج الأفلام الروائية الطويلة يرجع اساسا إلى عدم وجود أساس ثقافى وطنى مشترك يمكن أن يصنع سينما تكون جزءا من الثقافة الوطنية . وذلك بسبب تعدد اللغات والأجناس والثقافات والقوميات التى ينتمى اليها سكان اسرائيل .

ان انتاج الافلام الروائية الطويلة فى هذه الحالة سوف يجسد المشكلة الرئيسية التى تعانى منها اسرائيل ، ويكشف طبيعة الفكر الصهيونى القائم على الاساطير والخرافات . اذ أن جمع يهود من مختلف انحاء العالم فى مكان واحد ، لا يمكن أن يؤدى إلى وجود قومية . بينما المقصود من الانتاج الثقافى فى اسرائيل حل مشكلة الافتقار إلى شخصية وطنية . وليس تجسيد هذه المشكلة .

وهذا ما حدث بالفعل عندما بدأ أنتاج الافلام الروائية الطويلة عام ١٩٦٢ . فقد بدأ بقصد الاسهام فى حل هذه المشكلة . ولم يكن فى

الحقيقة غير تجسيد لها .

ولقد ادرك بن جوريون - أحد كبار مؤسسى الدولة الصهيونية - ذلك جيدا . ووقف ضد الانتاج السينمائى الروائى ، كما وقف ضد انشاء التليفزيون طوال الخمسينيات . وذلك على الرغم من العروض المغرية التى تلقاها من عدة شركات أمريكية . وايد رجال الدين اليهودى فى اسرائيل موقف بن جوريون ، وان أختلفت الأسباب . إذ كان بن جوريون يرى أن أمام اسرائيل مهمات أخرى أكثر جدية ، ولا داعى لتجسيد المشاكل السياسية . وكان رجال الدين يرون أن السينما والتليفزيون ينشران التفاهة ويركزان على الأمور الدنيوية (١) .

يقول الشاعر الاسرائيلى حاييم بيالق "حينما بلغنى خبر القبض على أول يهودى ضبط متلبسا بالسرقة فى تل أبيب هزتنى الفرحة حتى العظام وصرخت ليباركه الرب ، لقد عشت ورأيت هذا اليوم" (٢) .

ومن أجل هذا اليوم الذى تصبح فيه اسرائيل "بلدا مثل كل البلاد" بدأ أنتاج الأفلام الروائية الطويلة عام ١٩٦٢ . ثم بدأ البث التليفزيونى عام ١٩٦٦ وتبدو الصلة بين هذا الهدف ، وبين الموافقة على انشاء التليفزيون أكثر وضوحا منها بالنسبة إلى أنتاج الأفلام الروائية الطويلة . فقد بدأ التليفزيون عام ١٩٦٦ مقتصرا على البرامج التعليمية وتابعا لوزارة التعليم والثقافة لمواجهة تحديات التعليم مثل تعدد اللغات والعجز فى المدرسين .

وربما كان السبب الرئيسى فى تحول التليفزيون فى اسرائيل من

بث البرامج التعليمية فقط ، إلى بث البرامج المختلفة عام ١٩٦٨ هو مواجهة البث التليفزيونى العربى من مصر وسوريا والاردن بعد احتلال اسرائيل لاجزاء من اراضى هذه الدول بعد حرب عام ١٩٦٧ . وبينما استمرت تبعية التليفزيون التعليمى لوزارة التعليم والثقافة ، يتبع التليفزيون الاسرائيلى وزارة الاعلام منذ انشاءه عام ١٩٦٨ .

المؤسسات السينمائية الحكومية

تهتم الدولة الصهيونية بالسينما سواء الانتاج المحلى ، أم الأنتاج المشترك أم تصوير الأفلام الأجنبية على أرضها ، فمن خلال هذه المجالات الثلاثة تحقق الدعاية السياسية ، والدعاية السياحية وتجلب عملات صعبة ، وتدعم خبراتها المحلية ، وتفتح الاسواق لانتاجها فى العالم . وفيما يلى تعريف بالمؤسسات السينمائية الحكومية فى اسرائيل :

١ - مركز الفيلم الاسرائيلى :

يتبع وزارة التجارة والصناعة . يتبعه مكتبان فى هوليود وفى لوس انجلوس بالولايات المتحدة الامريكية ، وكان له مكتب ثالث فى لندن ولكنه اغلق عام ١٩٧٦ . ويعمل المركز على تنشيط الانتاج المحلى ، والانتاج المشترك - وتصوير الافلام الأجنبية فى اسرائيل عن طريق الوسائل الآتية :

١ - تقديم سلفيات للانتاج المحلى ترد على اقساط طويلة .

٢ - تقديم منح مالية للأنتاج المحلى .

٣ – تيسير اعفاءات جمركية للأنتاج المحلى .

٤ – تخفيض الضرائب على الانتاج المحلى .

٥ – توقيع الاتفاقيات الرسمية مع دول العالم المختلفة للأنتاج المشترك ، وتصوير الافلام الأجنبية . وقد تم توقيع اتفاقيات مع فرنسا والمانيا (الاتحادية) وبلجيكا والسويد وكندا .

٦ – تعويض الشركة الاجنبية التى تصور فى اسرائيل ، أو تدخل فى انتاج مشترك مع شركة اسرائيلية ، عن الفرق بين اسعار العملة المحلية والعملات الأجنبية .

٧ – تخفيض أسعار المعدات للشركات الأجنبية كلما زادت التكاليف .

٨ – اعفاء الشركات التى يؤسسها أجانب من الضرائب ، ومعاملتهم معاملة الخبراء .

٩ – التأمين على العاملين فى أنتاج الشركات الأجنبية ضد الأخطار بما فى ذلك خطر الحرب .

١٠ – اعفاء الافلام الأجنبية التى تصور فى اسرائيل من ضرائب الاعلانات عند عرضها فى اسرائيل .

١١ – اصدار المطبوعات عن السينما فى اسرائيل .

١٢ – الاشتراك فى المهرجانات السينمائية الدولية .

٢ – الخدمات الحكومية للسينما

مركز حكومى مستقل . تأسس عام ١٩٥٩ لأنتاج الافلام التسجيلية

والقصـيرة حـتى ٦٠ دقيقة . انتـج فـى الفترة مـن عـام ١٩٥٩ إلـى عام ١٩٧٧ . عدد ١٢٠٠ فيلم عن "البلد - التاريخ - اليهودية - الاماكن المقدسة - المجتمع والسكان - التطور والاقتصاد - الدفاع والحدود الآمنة الثقافة والفنون" .

٣ - معهد الفيلم الاسرائيلى

مركز حكومى مسـتقل . تأسس عـام ١٩٧٩ . يعمل من أجل تطور الفن السينمائى عن طريق الوسائل الآتية :

١ - تقديم منح مالية للأنتاج المحلى (ثلث التكاليف) بمعدل ٣ أفلام طويلة فى السنة .

٢ - تكوين مكتبة سينمائية تضم الكتب والمراجع والمجلات والدوريات المحلية والأجنبية .

٣ - تنظيم محاضرات وندوات .

٤ - إقـامـة أسـابيع للافـلام الأجنبـيـة فى اسـرائيل ، وللافـلام الاسرائيلية فى الخارج .

٥ - تأسيس ودعم نوادى السينما .

٦ - أنتاج أفلام للهواه .

٤ - ارشيف الفيلم الاسرائيلى

مـركـز حكومى مسـتـقل . تأسس عـام ١٩٦١ . عضـو فى الاتحـاد

الدولى منذ عام ١٩٦٣ . تتبعه ثلاث دور عرض فى القدس وتل أبيب وحيفا تعرض من ٣٠ إلى ٥٠ فيلم كل أسبوع [٢] .

٥ - التمويل الشعبى

مركز حكومى مستقل . تأسس عام ١٩٧٩ . يدعم الانتاج المحلى من ضريبة تم فرضها على تذاكر السينما . اشترك فى تأسيسه بمبادرة من مركز الفيلم الاسرائيلى المؤسسات السينمائية الشعبية فى اسرائيل . وهى اتحاد المنتجين واتحاد المخرجين واتحاد أصحاب دور العرض واتحاد الموزعين .

الجوائز الحكومية للسينما

ينظم مركز الفيلم الاسرائيلى مسابقة سنوية للأفلام الاسرائيلية الروائية الطويلة منذ عام ١٩٧٧ ، كما ينظم مسابقة أخرى للأفلام التسجيلية والقصيرة بالتعاون مع مركز الخدمات الحكومية للسينما المختص بانتاج هذه الافلام على الصعيد الحكومى ومعهد الفيلم الاسرائيلى والمجلس الشعبى للثقافة والفن التابع لوزارة التعليم والثقافة .

الرقابة على السينما

يتولى الرقابة على الافلام فى اسرائيل المجلس الأعلى للرقابة المكون من ٥٠٪ من اعضاء الحزب أو الاحزاب الحاكمة ، ٢٥٪ من رجال

الدين و ٢٥٪ من العاملين فى السينما والمسرح والمثقفين .

المؤسسات السينمائية الشعبية

تكونت أغلب المؤسسات السينمائية الشعبية فى اسرائيل فى السبعينيات وهى :

١ - اتحاد المنتجين للسينما والتليفزيون .

٢ - اتحاد المخرجين للسينما والتليفزيون .

٣ - اتحاد الممثلين للسينما والتليفزيون .

٤ - اتحاد كتاب السيناريو للسينما والتليفزيون .

٥ - اتحاد أصحاب دور العرض السينمائى .

٦ - اتحاد الموزعين المستقلين للأفلام .

٧ - اتحاد عمال السينما والتليفزيون .

٨ - اتحاد نقاد السينما [٤] :

٩ - ارشيف الفيلم اليهودى فى الجامعة العبرية [٥] .

١٠ - ارشيف الفيلم بالمنظمة الصهيونية العالمية .

١١ - ارشيف باروخ اجداتى .

١٢ - ارشيف شركة كارمل فيليز .

١٣ - ارشيف شركة بيركى - باث - هيومبريس .

١٤ - ارشيف شركة فيلم سيرفيس .

١٥ - ارشيف شركة استديوهات اسرائيل .

المهرجانات السينمائية الدولية

يقام فى اسرائيل كل عام مهرجان تل أبيب الدولى لافلام الهواة ، وفى عام ١٩٧٦ أقيم فى القدس المهرجان اليهودى الدولى للسينما والتليفزيون بمبادرة من الصحفى الكندى ميلفيل مارك الذى حضره حوالى ٣٠٠ مدعو من ٢٠ دولة ، وعرض ٣٥ ساعة من الافلام .

افلام اسرائيل فى المهرجانات الدولية

كانت الاكاديمية الامريكية للفنون والعلوم السينمائية فى لوس انجلوس هى أول مؤسسة سينمائية دولية سلطت الاضواء على اسرائيل ، وذلك من خلال مسابقتها السنوية المعروفة باسم الاوسكار ، التمثال الذهبى الصغير رمز جوائزها . فقد رشحت فيلم "صلاح" اخراج افرام كيشون لجائزة أحسن فيلم أجنبى ١٩٦٦ ، كما رشحت الممثل الاسرائيلى حاييم توبول لجائزة أحسن ممثل عام ١٩٧٢ عن دوره فى الفيلم الأمريكى "عازف فوق السطح" اخراج نورمان جويسون ، ورشحت فيلم "انى احبك يا روزا" اخراج موشيه مزراحى لجائزة أحسن فيلم أجنبى عام ١٩٧٣ ، وفيلم "الحياة معا" لنفس الجائزة ، وهو لنفس المخرج ، عام ١٩٧٧ .

وقد حصلت افلام اسرائيل على العديد من الجوائز فى المهرجانات السينمائية الدولية ، وكانت أول جائزة فى مهرجان كان عام ١٩٦٧ للممثل أودد كوتلر عن دوره فى فيلم "ثلاثة أيام وطفل" اخراج يورى زوهار ، وكان هذا المهرجان أول مهرجان سينمائى دولى تشترك فيه اسرائيل بفيلم

اسرائيلى لمخرج اسرائيلى قبل أيام من حرب عام ١٩٦٧ . وقد تحول اشتراك اسرائيل فى هذا المهرجان إلى مظاهرة سياسية أثناء وصول الأزمة بين مصر واسرائيل إلى ذروتها فى ذلك الوقت . وشارك فى تضخيم هذه المظاهرة الممثل الامريكى اليهودى الصهيونى جيرى لويس المعروف بتعصبه الشديد للصهيونية .

شركات الخدمات السينمائية

هناك شركات متخصصة فى اسرائيل لتأجير معدات السينما وتقديم خدمات الانتاج مع فريق العمل ، أو بدون فريق العمل . وهذه الشركات هى :

١ – فيلم ايكوبمنت سيرفيس .

٢ – لى الكيتريك لينتج .

٣ – هيرزليا ستديوس .

٤ – ايدان فيلمز .

٥ – اسرائيل تلفجن فيلم ايكوبمنت .

كما يوجد معملين فى شركة بيركى – باث – هيومبريس ، وشركة هيرزليا ستديوس . . وصالتين لتسجيل الصوت أكبرهما فى هيرزليا ستوديوس ، والثانية تتبع شركة تل – اد . وشركات متخصصة فى تسجيل وتركيب الصوت هى :

١ – أم كول ريكوردنج ستدويو .

٢ - بيركى - باث - هيومبريس .

٣ - هيرزليا ستديوس .

٤ - كولينور ريكوردنج ستديوس .

٥ - رول فيلمز .

٦ - تل - أد .

٧ - زينكو برودكشن .

وبالنسبة للفيديو توجد ثلاث شركات هى هيرزليا ستديوس وانترناشيونال فيديو أوف اسرائيل وتل - أد .

وفى أكتوبر عام ١٩٧٢ تم افتتاح مدينة ساركو لافلام الويسترن (رعاة البقر الأمريكيين) التابعة لشركة اسرائيل ستديوس والتى صممها فرناند كاريرى وهارى اربور الأمريكيين .

شركات الانتاج السينمائى

تملك بعض شركات الانتاج السينمائى فى اسرائيل بعض المعدات اللازمة للأنتاج ، وتقوم بالانتاج المحلى والانتاج المشترك وتقدم الخدمات للأفلام الاجنبية .

وهذه الشركات هى :

١ - اربيل فيلمز .

٢ - الكسندر بن - دور .

٣ - بنجامين برودكشنز .

٤ – بيركى – باث – هيومبريس .

٥ – سينما ألفى .

٦ – كوزموس بروبكشنز .

٧ – باروخ دينار برودكشنز .

٨ – نوكر فيلم برودكشنز .

٩ – جال برودكشنز .

١٠ – موشيه جولان

١١ – نوح فيلمز (جولان – جلوبس)

١٢ – ايدان فيلمز .

١٣ – هيرزليا ستديوس .

١٤ – انترناشيونال فيديو أوف اسرائيل .

١٥ – اسرا فيلم موشن بكتشرز بوودكشن سيرفيس .

١٦ – ك . ن . سيرفيس آند برودكشن .

١٧ – كاستيل فيلمز .

١٨ – كرونسى برودكشنز .

١٩ – شايم مانور .

٢٠ – أومرى مارون .

٢١ – ميلرون فيلم برودكشنز .

٢٢ – ناتالى فيلما كرز كروب .

٢٣ – دان بيرلمان .

٢٤ – ماتى راز .

٢٥ – آر . اس فيلم اسوسياتس .

٢٦ – رول فيلمز .

٢٧ – كولى ساندر .

٢٨ – ان . زروانتزر برودكشن .

هوامـــش :

١ – نشرة اتحاد اذاعات الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٧٤ .

٢ – معين بسيسو : نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة – *القاهرة عام ١٩٧٠* .

٣ – فى ١٢ مارس عام ١٩٨٠ نشرت مجلة "فارايتى" الامريكية أن منظمة شارلز ريفسون خصصت ٥٥٠ ألف دولار لانشاء الأرشيف القومى اليهودى للفيلم والاذاعة بالمتحف اليهودى فى نيويورك . ويملك هذا المتحف بالفعل ٧٠٠ فيلم سينمائى وتليفزيون وأخبار وأحاديث عن اليهود والحركة الصهيونية العالمية .

٤ – انشأ اتحاد السينما فى اسرائيل عام ١٩٧٢ بعد أن تقدمت جمعية نقاد السينما المصريين بطلب عضوية الاتحاد الدولى "فيبريسى" اذ قدمت الجمعية المصرية الطلب فى يونيو ليعرض على الجمعية العمومية فى أكتوبر وكان أول طلب يتقدم به اتحاد من بلد عربى ، وهنا سارع اصدقاء اسرائيل بابلاغ تل ابيب حتى يتم انشاء اتحاد اسرائيلى ، ويتقدم بطلب يعرض فى نفس الوقت مع الطلب المصرى ، وتتم الموافقة عليهما بالاجماع تجنبا للمشاكل . وهذا ما تم بالفعل .

٥ – أصدر ارشيف الفيلم اليهودى فى الجامعة العبرية بالقدس دليلا اطلق عليه دليل الفيلم اليهودى .

نشأة السينما فى اسرائيل

كان فيلم "التل ٢٤ لايرد" هو أول فيلم اسرائيلى روائى طويل . وقد اخرجه المخرج البريطانى ثورولد ديكنسون عام ١٩٥٤ . وكان آخر فيلم روائى قام بأخراجه .

ولد ديكنسون عام ١٩٠٣ واخرج ١٥ فيلما روائيا طويلا فى الفترة من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٥٤ . وعن تجربته فى اخراج فيلم "التل ٢٤ لا يرد" يقول ديكنسون :

"فى عام ١٩٥٣ كنت ألقى محاضرات فى فصل دراسى صيفى عن افلام التدريب العسكرى ، وكان هناك عدد كبير من الناس من مختلف الدول . ومنهم بعض الضباط من دول اسكندنافيا . وفى يوم ما جاءت إلى امرأة من بين المشتركات فى هذا الفصل الدراسى ، وقالت لى "أننى شديدة الاهتمام بما تقول لأننا فى اسرائيل الآن نقوم باعداد فيلم عن حرب "استقلالنا" ولقد ادركت أنها مهمة صعبة لايمكن أن تتم بالطريقة التقليدية . سوف اذهب اليهم واطلب منهم أن يوقفوا كل شئ ، ويستعينوا باحد الخبراء . فاذا وافقوا ، تأتى وتساعدنا "ولم يكن لدى ما أفعله . ولذلك قلت نعم" .

ويواصل ديكنسون "لقد ذهبت ببساطة لكى انقل اليهم أن هذا النوع من الافلام لا يصنع بالطريقة التى يتصورونها . ولكنى لم أستطع الخروج . فى كل مرة كنت أقول فيها أننى اخبرتهم بكل شئ ، كانوا

يقولون "لا . . لا . . أننا لم نزل فى البداية" وفى النهاية قالوا "حسنا" . . أننا فى الحقيقة ليس لدينا من يصنع هذا الفيلم" . . وعلى هذا بقيت . ولكنى قبل "التل ٢٤ لايرد" اخرجت فيلما قصيرا للجيش الاسرائيلى بعنوان "الارض الحمراء" فعندما طلبت من الجيش المعاونة لعمل "التل ٢٤ لا يرد" وافقوا ، ولكنهم طلبوا أن أصنع لهم فيلما أولا . وكانت الفكرة وراء هذا الفيلم أن الناس فى المدن ليس لديهم فكرة عن مدى خطورة الموقف على حدودهم ، وكانت القوات الموجودة على الحدود مهملة تماما . ولهذا اراد الجيش أن يعرض هذا الفيلم فى كل سينما فى البلاد لكى يجعل الناس أكثر اهتماما بالموقف . ولقد صورت الفيلم فى ديسمبر عام ١٩٥٣ فى جو شديد البرودة . على أية حال ، أنه فيلم صغير وفصيح . لقد كان عملا مجهولا بلغة غريبة ، ولهذا فقد فعلت مثل هيتشكوك ، وظهرت فى أحد مشاهده بنفسى" .

وعلى الرغم من "البساطة" التى يتحدث بها ديكنسون عن هذا الفيلم ، والتى تعكس جهله بابعاد الصراع العربى - الصهيونى - بل وجهله بالصهيونية بصفة عامة ، الا أن هذه لا يعنى أنه لم يكن واعيا على دور الفيلم فى الدعاية السياسية . فهو يقول "لقد كانت القضية كلها فى "التل ٢٤ لايرد" أنه لابد أن يكون بالانجليزية . فالسبب الجوهرى فى تكليفى بعمله هو كما قالوا لى "اننا نريد هذا الفيلم للجمهور الاجنبى ، ولهذا فنحن لا نريد أن يقوم بصنعه اسرائيلى . نريده وجهة نظر من الخارج تنظر إلى الداخل" .

ويقول صاحب أول فيلم صهيوني صور على أرض فلسطين بعد احتلالها " وقد طلبت من السفير البريطاني أن يرسل السيناريو إلى لندن لاستطلاع رأى الخارجية وكان الرد "اننا سعداء بأن يقوم رجل انجليزى بعمل هذا الفيلم ، والا لكنا معرضين للوقوع فى ورطة شديدة ، واننا نوافق بكل قوة على هذا السيناريو" ولقد سمحت لنا السفارة بتصوير أحد المشاهد فى القنصلية البريطانية فى حيفا ، وكانت اصلا مقر قيادة البوليس البريطاني فى المدينة" (١) .

فيلم "التل ٢٤ لايرد"

تدور احداث فيلم "التل ٢٤ لايرد" اثناء حرب عام ١٩٤٨ بين القوات العربية والقوات الصهيونية بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين فى ١٥ مايو واعلان انشاء دولة اسرائيل الصهيونية ، وبالتحديد ليلة وقف اطلاق النار بين الطرفين حيث كان الاسرائيليين يحاولون احتلال أكبر مساحات ممكنة من الاراضى الفلسطينية .

وشخصيات الفيلم الرئيسية ثلاثة رجال وامرأة من القوات الصهيونية يكلفون بأحتلال التل ٢٤ فى القدس . ويروى الرجال قصص حياتهم فى مقاطع متوالية . أما الأول فهو ايرلندى كان يخدم فى الجيش البريطاني ، وأحب فتاة يهودية – ورغم أن الحب بينهما لا ينهى مشكلة اختلاف الاديان . الا أنه ينضم إلى القوات الصهيونية ايمانا بعدالة القضية التى يحاربون من أجلها . .

وأما الثانى فهو سائح أمريكى يهودى كان يزور القدس حين وقعت الحرب وأصيب . ونتيجة انقاذ أحد رجال الدين اليهود لحياته ، يقرر الانضمام إلى القوات الصهيونية بدوره . وأما الثالث فهو يهودى هاجر إلى فلسطين من أحد ى دول شرق أوربا . ونراه يحكى كيف قبض على جندى مصرى جريح فى صحراء النقب ، وكيف اعترف له هذا الجندى بأنه نازى قديم ، ومات وهو يعلن كراهيته لليهود . وفى نهاية الفيلم يموت المقاتلين الاربعة ولكن بعد أن يحتلوا التل ٢٤ فى القدس [٢] .

ويتضمن هذا الفيلم العديد من المفاهيم التى تروجها الدعاية الصهيونية فهو أولا يصور حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكأنها حرب استقلال اسرائيل من الاحتلال البريطانى . بينما هى حرب احتلال فلسطين بمساعدة الاستعمار البريطانى ويصور الفيلم هذه الحرب ثانيا وكأنها حرب وطنية يمكن أن يشارك فيها "مناضلون" من كل الاديان والاجناس مع اليهود الفلسطينيين ، أو الذين هاجروا إلى فلسطين تحت دعاوى الصهيونية ، بينما الواقع أن حرب عام ١٩٤٨ ، وجميع الحروب الصهيونية ضد العرب حروب عنصرية دينية تقوم على مجموعة كبيرة من الاوهام والخرافات .

ومن بين المفاهيم الصهيونية التى يروجها فيلم "التل ٢٤ لايرد" الادعاء بان العرب المعاصرين امتداد للالمان النازيين فى معاداة اليهود ، أو مايسمى فى الغرب بمعاداة السامية . فالعرب فى حروبهم مع اسرائيل يدافعون عن بلادهم ضد استعمار استيطانى عنصرى توسعى ، وليسوا

فى صراع مع اليهود كيهود . ومن ناحية أخرى ، وعلى النقيض مما تروجه الصهيونية ، فالتشابه هو بين النازين والصهيونيين من الناحية الايديولوچية . بل لقد ثبت أن هناك علاقات سياسية ربطت بين النازية والصهيونية اثناء الحرب العالمية الثانية وصلت إلى حد توقيع معاهدة بين الطرفين .

وتصف "دائرة معارف السينما" التى اصدرها الناقد والمؤرخ الفرنسى روجيه بوسينو عام ١٩٦٧ فيلم "التل ٢٤ لايرد" بأنه "يصور بطريقة مشوشة ودعائية هابطة كفاح اسرائيل من أجل اسرائيل" وأنه "صور فى ظروف صعبة جنت كثيرا على مستواه الفنى" . وإن كان هذا التقييم صحيحا من الناحية الفنية فأنه يفتقد إلى الدقة من الناحية السياسية فلم تكن هناك اسرائيل حتى تكافح من أجل اسرائيل فى حرب عام ١٩٤٨ .

وقد عمل ثورولد ديكنسون فى قسم السينما بهيئة الامم المتحدة بعد اخراج فيلم "التل ٢٤ لايرد" واخرج عدة افلام تسجيلية قصيرة كان من بينها فيلم "الطلائع الزرقاء" عن حرب السويس عام ١٩٥٦ ، ولأنه عبر فى هذا الفيلم عن وجهة نظر الأمم المتحدة فى هذه الحرب ، فقد منعت كل من اسرائيل وبريطانيا وفرنسا عرض الفيلم ، وهى الدول التى اشتركت فى العدوان على مصر فى عام سنة ١٩٥٦ .

الافلام التسجيلية

بدأ انتاج الافلام التسجيلية فى اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحتى نهاية

الخمسينيات لم يتجاوز عدد هذه الافلام ٣٠ فيلما . وقد تم انتاجها بواسطة قسم السينما لمكتب المعلومات برئاسة مجلس الوزراء ، ووحدة ما وراء البحار التابعة لوزارة الخارجية [٣] .

هوامش :

١ – ثورولد ديكنسون : حديث فى العدد ١١ من مجلة "فيلم دوب" – البريطانية – يناير عام ١٩٧٧ .

٢ – سعد الدين توفيق : اضواء على السينما الاسرائيلية – مجلة "الهلال" المصرية – مايو عام ١٩٧٠ .

٣ – محمود سامى عطا الله : الفيلم التسجيلى وامكانيات مواجهة الدعاية الصهيونية فى الخارج – بحث مقدم إلى المهرجان الدولى الأول لافلام وبرامج فلسطين فى بغداد عام ١٩٧٣ .

البيان – الكويت

مايو ١٩٨٣

السينما فى اسرائيل بعد ١٩٥٦

لم تكن حرب عام ١٩٥٦ ، ولاحرب عام ١٩٧٣ بعد ذلك موضوعا لعدد كبير من الافلام الصهيونية ، سواء داخل اسرائيل أم خارجها ، وذلك على النقيض من حرب عام ١٩٤٨ ، ثم حرب عام ١٩٦٧ التى تدور حولها أغلب الافلام الصهيونية .

والسبب فى ذلك أن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كان عدوانا استعماريا واضحاً أدانه العالم كله بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية وأن حرب عام ١٩٧٣ كانت أول حرب يهاجم فيها العرب دفاعا عن ارضهم ويحققون أول انتصار عسكرى ضد اسرائيل فى معركة عبور قناة السويس . فرغم أن الصهيونية تبرز اسرائيل كدولة صغيرة محاطة بالاعداء الكبار ، إلا أنها أيضا تبرز أن القوة هى الأساس الذى يجب أن تعتمد عليه الدولة وأنها لا تملك الا أن تنتصر ، وتملك مقومات الانتصار الدائم .

اعطنى عشرة رجال يائسين
وأنا أغير بهم وجه العالم

فى عام ١٩٦١ تم انتاج الفيلم الاسرائيلى الفرنسى المشترك "أعطنى عشرة رجال يائسين وأنا أغير بهم وجه العالم" اخراج الفرنسى بيير زيمر .

وقد عرض هذا الفيلم فى مهرجان برلين الغربية السينمائى الدولى

عام ١٩٦٢ ، وكتب عنه الناقد السورى صلاح دهنى أنذاك قائلا "كان وفد اسرائيل يوازى فى العدد الوفد المصرى ، وقد جاء مزودا باعتمادات كبيرة لأقامة حفلة فى أضخم الفنادق ، ونشر اعلانات فى مجلة المهرجان وفى أوسع المجلات الأخرى انتشارا عن الفيلم الطويل الذى اصطحبه معه إلى المهرجان ، وكان يتوج الاعلانات بهاتين الكلمتين : "اسرائيل تتقدم" .

والفيلم من الافلام القوية التى قدمت فى المهرجان ، وتدور قصته حول ثلاثة عشر شابا وفتاة ، بعثت بهم الوكالة اليهودية عام ١٩٤٨ إلى نقطة ضائعة فى صحراء النقب ، وطلبت اليهم أن يقيموا فيها "كيبوتز" أى مستعمرة تعاونية "ويصور الفيلم وصول هؤلاء النفر إلى المنطقة ، وكيف كافحوا وجالدوا وصبروا فى وجه عناصر الطبيعة القاسية" ويقول صلاح دهنى أن الفيلم "دعائى بقالب روائى جذاب ، يريد أن يبرهن للناس أن من يتعب ويكد فى الأرض يستحقها ، ولاسيما اذا كان يائسا . ولو لم تكن الأرض ملكا له"(١)

وصف كفاح

وفى نفس العام ١٩٦١ ، عرض فيلم اسرائيلى فرنسى مشترك آخر باسم "وصف كفاح" اخراج الفرنسى كريس ماركر ، وهو فيلم تسجيلى مدته ساعة عن انجازات الدولة الصهيونية .

ويمثل هذا الفيلم نظرة العديد من المخرجين "التقدميين" فى الغرب إلى اسرائيل . فهم يؤيدون حق اسرائيل فى الوجود ، متجاهلين حقوق

الشعب العربى الفلسطينى فى أرضه ووطنه . ويرى بعض النقاد الفرنسيين التقدميين مثل جي انيبل أن هذا التجاهل تم بدون وعى . ولكن الواقع أن الوعى هو السمة المميزة للمخرج الذى يوصف بالتقدمية . ويتسم المخرج الذى يوصف بهذا الوصف أيضا بقدرته على مراجعة مواقفه ، أو ما يسمى بالنقد الذاتى . ولو كان كريس ماركر قد أخطأ فى عام ١٩٦١ ، فقد كان يمكن أن يخرج فيلما آخر عن نفس الموضوع بعد ذلك ، وخاصة بعد تبلور مقاومة الشعب العربى الفلسطينى للاحتلال الصهيونى بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٥ .

ان النظرة اليسارية السطحية إلى الحركة الصهيونية والى دولة اسرائيل من أهم الاسلحة التى تعتمد عليها الدعاية الصهيونية فى العالم . بل أن موقف كريس ماركر يستوى وموقف الهولندى يوريس ايفانس والسوفيتى رومان كارمن فكلاهما من أكبر المخرجين التسجيليين "التقدميين" فى تاريخ السينما ، وقد عبرا فى افلامهما عن احداث العالم الكبرى فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الثورة المضادة فى شيللى عام ١٩٧٣ ، ومع ذلك ليست هناك لقطة واحدة من بين ملايين اللقطات التى صوراها عن القضية الصهيونية ، أو القضية الفلسطينية - العربية . وهذا الهروب فى الواقع هو نوع من التواطؤ ، والصمت ذاته موقف سياسى ، ويعكس نفس النظرة اليسارية السطحية إلى الصراع العربى الصهيونى .

وفى عام ١٩٦٢ ، تم فى اسرائيل انتاج فيلمين روائيين طويليين وهما "جوزيف الحالم" اخراج يورام كراوسن ، عن قصة من قصص التوراه ، و " يالها من فرقة "اخراج زيف هافاست ، كوميديا تدور فى اوساط القوات العسكرية الصهيونية قبل انشاء اسرائيل ، كما تم انتاج الفيلم التسجيلى الطويل "التاريخ الحقيقى لفلسطين" اخراج ناثان اكسلرود وياؤول زيلبرك ويورى زوهار ، وهو أهم هذه الافلام ، واخطرها لأنه يعبر عن وجهة النظر الصهيونية فى تفسير تاريخ فلسطين .

وناثان اكسلرود هو واحد ثلاثة تذكرهم مراجع السينما الصهيونية على أنهم أباء السينما الاسرائيلية مع باروخ اجداتى وجاكوب بن دوف . ففى العشرينيات اخراج اكسلرود بضعة افلام تسجيلية كما اخرج عام ١٩٣٢ فيلما روائيا طويلا بعنوان "أوديد" عن كفاح الشباب اليهودى فى المستعمرات التعاونية "الكيبوتزات" . أما جاكوب بن دوف فقد اخرج "حياة اليهود فى أرض الميعاد" عام ١٩١٢ و "الفرقة اليهودية" عام ١٩٢٢ . وأما باروخ اجداتى فقد اخرج "هذه أرضى" عام ١٩٧٢ ، وهو أول فيلم ناطق بالعبرية .

وتاريخ فلسطين فى فيلم "التاريخ الحقيقى لفلسطين" هو تاريخ اليهود الذين عاشوا فيها فترة من الزمن قبل الفين وخمسمائة عام ثم عادوا اليها فى القرن العشرين ، واعلنوا قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ .

وتتواتر كلمة "تاريخ" فى الكتابات الصهيونية تدافع عن فكرة

"القومية اليهودية" وتصدر عن تصور أن هذه القومية لا تستند إلى لغة مشتركة أو اقتصاد مشترك ، وانما تستند إلى تراث "تاريخى" مشترك فحسب . أى أن الصهيونية "رؤية للتاريخ" بالدرجة الأولى . ويتداخل التاريخ المقدس ، أى التاريخ كما جاء فى العهد القديم "التوراه" مع تاريخ العبرانيين أو الاسرائيليين وهو التاريخ الواقعى لقبائل "الخابيرو" الذى يرجع إلى عام ١٢٠٠ ق . م ويتداخل الاثنان مع تواريخ الاقليات اليهودية ليصبح الجميع ما يسمى بالتاريخ اليهودى . . ولذا تصبح الحدود "التاريخية" هى الحدود المنصوص عليها فى العهد القديم (من نهر مصر إلى الفرات) ، وهى حدود لم يشغلها اليهود فى أى لحظة من تاريخهم ولا حتى أيام داود أو سليمان" .

وحسب هذا الفهم "تكون أكثر الفترات خصوبة فى حياة اليهود هى الاعوام القليلة التى قامت فيها دولة يهودية فى فلسطين ، وتكون ثورة المكابيين الذين دافعوا عن الدائرة اليهودية وعن الوجود الرسمى اليهودى فى فلسطين هى أحدى القمم القليلة بل والنادرة فى هذا التاريخ ، وتكون الحركة الصهيونية هى التعبير الحقيقى عن هذا التمركز العدوانى الذى يجسد روح "التاريخ اليهودى" ولكن المشكلة بالنسبة لهذا التقسيم البسيط أن الصهيونية تكتسب شرعيتها من افتراض وجود هذا التاريخ اليهودى ومن تعبيرها عنه . ولكن "التاريخ اليهودى" هو اساسا نتاج وجود اليهود فى "المنفى" فمن يتقبل مقولة "التاريخ اليهودى" فهو أيضا يتقبل وجود اليهود فى المنفى كحقيقة اساسية" (٢) .

غيوم فوق اسرائيل

وفى عام ١٩٦٣ اخرج مناجم جولان أول افلامه الرائية الطويلة وعنوانه "ايلداردو" وهو المخرج الذى سيصبح بعد ذلك واحد من أهم صناع السينما الصهيونية فى اسرائيل ، ان لم يكن أهمهم جميعا .

وانتج فى هذا العام أيضا "فيلم" غيوم فوق اسرائيل " اخراج ايلان الداد" ويعتبر أحد الافلام الاسرائيلية القليلة جدا التى تناولت حرب عام ١٩٥٦ وعن هذا الفيلم يقول الناقد المصرى سعد الدين توفيق :

"بطل القصة طيار اسرائيلى اسمه دان . نراه فى بداية الفيلم يقود طائرة من طراز ميستير فوق الاراضى المصرية فى سيناء . يضطر الطيار عندما تتعطل طائرته لسبب فنى إلى الهبوط بالمظلة . ويصل إلى الأرض سالما ، ويسير متجها نحو الحدود الاسرائيلية واثناء سيره يكتشف أن طائرته عندما ارتطمت بالارض والنيران مشتعلة فيها احرقت مجموعة من الخيام التى يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون . ولم تنج من الحريق سوى خيمة واحدة تعيش فيها لاجئة فلسطينية مع ابنها عزيز وعمره خمس سنوات ، وابنتها الصغيرة التى لا تزال طفلة رضيعة .

ويستطرد سعد الدين توفيق "لقد كان فى مقدور الطيار الاسرائيلى أن يقتل الام وابنها وابنتها . فى الحرب يحدث هذا مع العدو . الا أن الطيار الانسان لا يفعل هذا . وانما تأخذه الشفقة عليهم لأنه أنسان متحضر . وضع هنا خطا عريضا تحت هذا المعنى . وبعد مشهد التشويق هذا نفاجأ بأن الطيار وهو يدرك أنه معرض للخطر فى كل لحظة لأنه فى

أرض مصرية . يقوم أولا بتضميد جراح هذه المرأة الفلسطينية ، ثم يعامل طفليها معاملة رقيقة . ويساعدها على أطعامهما ، وتشعر المرأة بالأطمئنان.[٢] .

وهكذا يصور فيلم "غيوم فوق اسرائيل" العدوان الثلاثى على مصر وكأنه حرب فرضت على اسرائيل دفاعا عن نفسها . ويقلب الحقائق رأسا على عقب فيما يتعلق بالعلاقة بين الفلسطينيين واليهود والمستوطنين فى أرض فلسطين العربية . فمن المعروف أن اليهود الذين طالما تعرضوا للاضطهاد بسبب مشاعرهم ضد " الاغيار " فى أوربا يمارسون اضطهاد الشعب العربى الفلسطينى وخاصة بعد انشاء دولتهم الملفقة القائمة على مجموعة من الأوهام والأكاذيب الكبيرة .

ويساهم مثل هذا الفيلم فى تعمية جمهوره عن حقيقة حرب ١٩٥٦ وعن حقيقة اسرائيل والصهيونية . وواجب الناقد السينمائى الحق أن يكون على وعى تام بمدى الصدق والكذب فى الافلام فيما يتعلق بالواقع والتاريخ ونقل هذا الوعى إلى قراءه فى كل مكان . ولكن للأسف فإن نقاد أمريكا مثلا عند عرض هذا الفيلم فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ أثنوا عليه كما يقول الناقد سعد الدين توفيق . وتواطؤ النقد الغربى مع السينما الصهيونية بصفة عامة من أكثر الصفحات سوادا فى تاريخه . ويكفى أنه لايوجد مرجع عن السينما الصهيونية بأى لغة من لغات أوربا ولا أى أشارة إلى هذه السينما فى التاريخ العام للسينما بما فى ذلك تاريخ جورج سادول .

لا . . ليس يوم السبت

وفى عام ١٩٦٤ تم انتاج الفيلم الاسرائيلى الفرنسى المشترك "لا ليس يوم السبت" اخراج الفرنسى اليكس جوفيه . ويعبر الفيلم فى إطار كوميدى عن " قانون العودة " الصهيونى الذى يجعل لكل يهودى فى العالم الحق فى العودة إلى اسرائيل والحصول على الجنسية الاسرائيلية ، وهى جنسية مزوره اصلا . وذلك من خلال قصة قائدا أوركسترا يهودى فى فرنسا تأتيه روح والده وتوصيه بألا يعطى ثروته لاولاده الا اذا هاجروا إلى اسرائيل وتزوجوا من اسرائيليات .

ومن المعروف أن "قانون العودة" الصهيونى لم يساهم فى حل "المشكلة اليهودية" بالنسبة إلى يهود العالم لأن الصهيونية برمتها ، لم تكن ولن تكون حلال لهذه المشكلة ، وانما جعلت كل يهودى فى بلده يعيش وكأن له جنسيتين ، الأمر الذى يجعل ولاءه لوطنه موضع الشك ، وبالتالى تتجسد المشكلة اليهودية وتزداد ، بدلا من أن تنتهى . والمقصود من يوم السبت فى هذه الكوميديا الفرنسية الرديئة الاشارة إلى امتناع اليهود عن العمل فى يوم السبت وذلك للتأكيد على الطابع اليهودى للفيلم من عنوانه . ومثل أغلب مخرجى الافلام الصهونية لا يعتبر الكيس جوفيه من المخرجين المتميزيين على أى مستوى .

ثمانية ضد واحد

ومن الانتاج المحلى فى اسرائيل عام ١٩٦٤ "ثمانية ضد واحد"

اخراج مناحم جولان . وفى هذا الفيلم تبدو فاشية السينما الصهيونية بوضوح . اذ يدور مجموعة من الصبية فى أحد الكيبوتزات يشتبهون فى أن طبيب الكيبوتز جاسوس للعرب . ويخاطرون بحياتهم فى سبيل كشفه . فالفيلم يدرب الصبية على اعتبار كل ما يحدث فى حياتهم اليومية نوع من "الاسرار العسكرية" ويخلق فيهم روح الشك فى كل ما حولهم ويصور لهم الحياة وكأنها حرب طويلة لا نهاية لها وعليهم أن يستعدوا دائما لخوضها .

ومن المعروف أن كل مواطن اسرائيلى رجل أو امرأة يجند لفترة من الوقت كما فى كثير من دول العالم . ولكنه على العكس من كل دول العالم يظل حتى سن التاسعة والاربعين يقضى فترة فى الخدمة العسكرية تصل إلى ثلاثة شهور كل سنة . والنزعة إلى عسكرة الحياة بصفة عامة ، وعسكرة الصبية خاصة من سمات المجتمعات الفاشية ، وهذه السمة هى ابرز سمات المجتمع الاسرائيلى ، ونجدها فى العديد من افلام الاسرائيلية من مختلف الانواع الدرامية . وبالطبع فان جميع مخرجى هذه الافلام مثلهم مثل مواطنيهم خدموا فى الجيش ، ويخدمون فيه كل سنة فترة من الوقت .

عصاه تحت الضوء

ومن أفلام عام ١٩٦٤ الاسرائيلية أيضا فيلم "عصاه تحت الضوء" اخراج الكسندر راماتى . وفيه نرى مرة أخرى تزييف العلاقة بين العرب والصهاينة فى فلسطين حيث يطلب جندى اسرائيلى من شيخ عربى

مساعدته لانقاذ جندى آخر أصيب فى انفجار لغم ، فيقوم بمساعدته رغم أنه والد أحد الفدائيين الذين يطلقون عليهم المخربين فى كل الافلام الاسرائيلية .

نعم ، قد يحدث هذا فى الواقع لاسباب انسانية ، ولكن ابرازه على الشاشة بقصد تحويل المشكلة بين العرب والاسرائيليين وكأنها مشكلة "سوء تفاهم" عابر شئ آخر تماما . كما أن العربى الحقيقى ليس على استعداد للتعاون مع اولئك الذين اغتصبوا أرضه ويبررون قتل أهله والتنكيل بهم .

صـــلاح

ولكن أهم الافلام الاسرائيلية عام ١٩٦٤ هو فيلم "صلاح" اخراج افرام كيشون الذى يعد من كبار مؤلفى المسرح ، ومخرجى السينما فى اسرائيل . وقد رشح فيلم "صلاح" الذى أنتجه مناحم جولان لجائزة الأوسكار لأحسن فيلم أجنبى عام ١٩٦٥ ضمن جوائز الاكاديمية الامريكية للفنون والعلوم السينمائية المعروفة بهذا الاسم .

يقول الناقد سعد الدين توفيق "يعالج فيلم صلاح" قضية المهاجرين اليهود من مختلف الجنسيات إلى الدولة الجديدة ، ونوع الاحتكاك الذى ينشأ بين اليهودى الشرقى واليهودى الأوربى فى هذا المجتمع الغريب .

وبطل القصة يهودى يمنى عجوز هو صلاح نراه فى أول الفيلم

يصل بالطائره التى تنقل مهاجرين جددا إلى اسرائيل . ومعه زوجته الحامل وأولاده الستة . وعند تسجيل البيانات اللازمة يزعم صلاح أنه صانع أحذية ثم نراه مع اسرته ينقلون مع المهاجرين الشرقيين إلى منطقة فقيرة بيوتها من طين ، لكل أسرة غرفة واحدة فقط . . ولايجد صلاح غضاضة فى أن تعيش أسرته فى هذا المستوى الحقير . فهو رجل كسول يقضى معظم وقته فى لعب الطاولة التى يبدو أنه يجيدها بدليل أنه يكسب دائما كلما لاعب يهوديا أوربيا . وفى الوقت نفسه يذهب أبنه الكبير وأبنته الكبيرة للعمل فى مزرعة تعاونية . ويحب الأبن فتاة أوربية من زميلاته ، وتقع الابنة فى حب أوربى من زملائها .

وتجرى الانتخابات فى المدينة التى يسكنها صلاح ويلعب صلاح دورا مهما فى هذه الانتخابات اذ يعتمد عليه كل مرشح فى الدعاية له فى حيه بين جيرانه وزملائه المهاجرين . ويوضح لنا الفيلم أن صلاح لا يفعل ذلك إيمانا بالمبادئ السياسية التى يعتنقها المرشح ، وانما نظير المكافأة التى يتقضاها عن هذه الخدمة . والمكافأة هى وعد بأن يظفر صلاح بشقة من شقق المبانى الجديدة التى تبنى للمهاجرين . وتنتهى المعركة الانتخابية ، وتتبخر وعود المرشحين ويخرج صلاح من المولد بلا حمص . لقد خدعوه وبقى مع أسرته فى الغرفة التى نزلوا بها .

وتبدأ بعد ذلك مغامرة جديدة لصلاح اذ يذهب للعمل فى غابة جديدة يجرى زرع الاشجار فيها لحساب مليونير يهودى أمريكى تبرع بمبلغ كبير لاسرائيل وعندما يأتى هذا المليونير لزيارة هذه الغابة ، يضع

المسئولون لافتة كبيرة عليها اسم المتبرع . وبعد انتهاء الزيارة تنزع اللافتة ، وتوضع بدلا منها لافتة أخرى عليها اسم متبرع آخر أيضا ليزور الغابة .

وهنا يدرك صلاح أنه ليس الضحية الوحيدة لعملية النصب التى تقوم بها السلطات . ويغضب غضبا شديدا يجعله ينهال تحطيما وتخريبا فى هذه الغابة . وتكون النتيجة طبعا هى طرده من العمل فى الغابة ويعود صلاح مرة أخرى إلى الشارع بلا عمل وبلا مال .

ثم تأتى مغامرته الثالثة . وهى البحث عن كلب ضاع ، وأعلن صاحبه فى الصحف عن مكافأة سخية لمن يعثر عليه . ولا يعرف صلاح طبعا أين الكلب . ولكنه يريد أن يحصل على المكافأة بأية طريقة . وليست هناك وسيلة الا سرقة كلب ، أى كلب ، وتقديمه لصاحب الاعلان إلا أن هذه المحاولة الساذجة لا تنجح . مرة أخرى يجد صلاح نفسه فى الشارع بلا عمل وبلا مال .

وهنا تبدأ مغامرته الرابعة . أنه فى هذه المرة يبحث عن عمل فى المزرعة التعاونية التى التحق بها أبنه وأبنته . ولكن صلاح كما (نعرف) لايجيد أى عمل ، حتى صنع الاحذية التى خدع السلطات عندما أدعى كذبا أنها حرفته فيكلفه المشرف على المزرعة بأن يعمل حمالا . يعرض عليه عمليه أجرها خمسة جنيهات . وهى نقل بعض قطع الاثاث من مبنى إلى آخر . وهنا تظهر شخصية صلاح الحقيقية وهى استغلال كل ظرف لمصلحته . اذ ما أن يبدأ تنفيذ العملية التى كلف بها حتى يبدأ هو فى

المساومة لاتمامها . ففى منتصف الطريق يطلب أجرا اضافيا . ويرضخ المشرف لطلبه ويوافق على منحه اجرا اضافيا . ويبتهج صلاح بهذه النتيجة . وعندما يصل إلى باب المبنى الآخر يتوقف مرة ثانية عن العمل ويطلب اجرا اضافيا آخر . ولكن المشرف فى هذه المرة لا يذعن لمشيئة صلاح . يرفض اعطاءه أى أجر أضافى آخر عن هذه العملية . فيترك صلاح قطع الاثاث أمام الباب وينصرف .

وتذهب كل محاولات صلاح للحصول على المبلغ المطلوب ثمنا لشقة من الشقق الجديدة هباء . ثم تخطر على باله فكرة جديدة إنها مغامرته الخامسة اذ تقدم اليه سائق سيارة أجرة يطلب يد أبنته لأنه يحبها . ويستغل صلاح هذه الفرصة فيطلب من السائق الف جنيه مهرا لأبنته "حبوبه" ويبدى السائق استعداده لدفع هذا المهر . ولكن المشكلة أن حبوبه تريد أن تتزوج من زميلها الاوربى الذى تحبه . ويعرف صلاح أن هذا الفتى لا يستطيع أن يدفع مهرا كبيرا كهذا لحبوبه . فيطلب منه صلاح مهرا "منخفضا" وقدره ثمانمائة جنيه : المساومة مرة أخرى . ولكن حتى هذا المبلغ يعجز الفتى عن دفعه .

ولهذا يجتمع اعضاء المزرعة لبحث هذه المشكلة ، ويقررون بالاجماع رفض هذا الطلب فأن اموال المزرعة لا يمكن أن تستخدم فى مثل هذا الغرض . ويغضب الفتى لأن المزرعة رفضت مساعدته ، فيستقيل من عمله . وهنا يتدخل المشرف على المزرعة فى الأمر يحاول اقناع صلاح بأن يتم الزواج بلا مقابل كما يفعل الجميع فى المزارع التعاونية .

ولكن صلاح يتمسك بطلبه . ويوضح للمشرف أنه يريد هذا المبلغ ليشترى به شقة . ويقول له أنه بذل كل ما فى وسعه من جهد للحصول عليه دون جدوى . ويقدر المشرف هذا الظرف الخاص . ويقتنع بوجهة نظر صلاح ويدرك فى الوقت نفسه أن حبوبه ستكون ضحية تلك الظروف لأنها ستتزوج رجلا دميما لا تحبه . كما أن حبيبها الأوربى العامل فى المزرعة سيظل تعيسا فى حياته وفى عمله لأنه فقد حبيبته . وهكذا يوافق المشرف على طلب صلاح ويدفع له مهر أبنته . وفى هذه اللحظة يتقدم ابن صلاح ومعه صديقته الأوربية ، ويعلنان أنهما قررا الزواج . وهنا يطلب المشرف من صلاح أن يدفع مهرا لعروس أبنه قدره ثمانمائة جنيه . ويدفع صلاح المبلغ صاغرا . ولكن الفيلم ينتهى نهاية سعيدة . اذ يوافق المسئولون عن المساكن الشعبية على نقل صلاح وأسرته وبقية أهل الحى إلى المبانى الجديدة(٤) .

والهدف الأول لفيلم "صلاح" هو "تطبيع" الافلام الاسرائيلية بتناول مشاكل الحياة فيها بعيدا عن الصراع العربى – الصهيونى . وعزل هذا الصراع فى حد ذاته يعنى التسليم بكل الادعاءات الصهيونية وتجاوز ذلك إلى التعبير عن الحياة فى المجتمع الصهيونى . ومثل كل سينما فاشية ، فإن السينما الصهيونية فى اسرائيل تتناول مشكلة التفرقة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين بعنصرية واضحة ضد اليهود الشرقيين لا يخفف من غلوائها كون الفيلم كوميديا ، أو يغلب عليه الطابع الكوميدى . وتناول هذه المشكلة بعمق من شأنه أن يكشف العديد من أوهام الدولة

الصهيونية التى تدعى حل المشكلة اليهودية فى العالم ، بينما تفرق بين يهود الشرق ويهود الغرب . وهذه التفرقة تؤكد من ناحية أخرى أن الاقليات اليهودية فى دول العالم المختلفة تشكل جزءا من هذه الدول ولاتشكل فى مجموعها شعبا واحدا حتى لو اجتمعت فى مكان واحد .

من الأمس إلى الغد

ومن أفلام عام ١٩٦٤ الاسرائيلية الطويلة أيضا الفيلم التسجيلى "من الأمس إلى الغد" اخراج بانشيد أكاواتى . وهو فيلم وثائقى عن المستعمرات اليهودية الأولى فى فلسطين والصراع مع سلطات الانتداب البريطانى .

والأدعاء الصهيونى بالصراع بين اليهود وسلطات الانتداب البريطانى الذى فرض على فلسطين عام ١٩٢١ من أكثر الادعاءات الصهيونية تزييفا للتاريخ . اذ يبدو الأمر فى هذا الصراع وكأن هؤلاء المهاجرين اليهود هم أصحاب الأرض التى فرض عليها الانتداب . وبالتالى تصبح حرب عام ١٩٤٨ هى حرب الاستقلال فعلا ، بينما المؤكد تاريخيا أن الحكومة البريطانية "رأت أن تضمن صك وثيقة دولية وأصبحت بريطانيا مسئولة عن تنفيذه أمام عصبة الأمم . وأتبعت إدارة الأنتداب سياسة موالية لليهود ، فعين اليهودى السير هربرت صمويل مندوبا ساميا بريطانيا ، ونشط

اليهود فى ظل الادارة الانجليزية كى يصبحوا أكثرية فى فلسطين تمهيدا لوضع يدهم على البلاد ، واتجهوا فى ذلك إلى وسيلتين : الأولى تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين على أوسع نطاق ، والثانية تشجيع انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود بالوسائل المختلفة كشراء الأراضى ومنح القروض لليهود ، وتقديم المساعدات لتشييد المستعمرات" (٥) .

ليلة فى طبرية

وفى عام ١٩٦٥ أنتج الفيلم الاسرائيلى الفرنسى المشترك "ليلة فى طبرية" اخراج الفرنسى هرفيه برومبرجيه ، ويدور حول مهندس فرنسى يوفد إلى اسرائيل للاشراف على انشاء مؤسسة كبرى . وتختفى ابنته ذات يوم ، ويعتقد الجميع أن العرب قد خطفوها للحصول على فدية (٦) .

ويأتى فيلم "ليلة فى طبرية" بعد اعلان قيام الثورة الفلسطينية المعاصرة فى الأول من يناير عام ١٩٦٥ ليحاول تشويه الثورة أمام العالم الغربى بصفة خاصة من خلال الانتاج المشترك وتصوير المقاتلين الفلسطينيين من أجل حقوقهم الوطنية المشروعة ، وكأنهم جماعات من المخربين وقطاع الطرق الذين يخطفون من أجل الحصول على فدية مالية . وهذا التجاهل المتعمد للصراع العربى الصهيونى داخل فلسطين المحتلة يؤكد فاشية السينما الصهيونية فى اسرائيل برفض طرح هذا الصراع كمشكله حقيقيه داخل اسرائيل .

حقيبة القاهرة

وفى فيلمه الثالث "حقيبة القاهرة" عام ١٩٦٥ يتناول مناحم جولان لأول مره – وليس لآخر مره – ما يمكن أن نطلق عليه الصراع "الذرى" بين الدول العربية ودولة اسرائيل الصهيونية العنصرية .

يصور فيلم "حقيبة القاهرة" مغامرات عميل اسرائيلى فى مركز ذرى للصواريخ فى القاهرة يديره عالم المانى . ان المخابرات المصرية تكتشف أمر العميل ولكنه يقتل من كشفه ، ويتمكن من خطف ابنة العالم الالمانى ، والهرب بها إلى (روما) وهناك تدور مطاردة طويلة بين المخابرات المصرية والعميل الاسرائيلى يتبين خلالها العالم الالمانى أن المخابرات المصرية لا يعنيها أمر ابنته . وفى النهاية ينتصر العميل الاسرائيلى ويقتل مدير المخابرات المصرية ويعيد الفتاه إلى والدها ولكن فى اسرائيل .

واحداث هذا الفيلم الذى يعد تقليدا لافلام الدرجة الثالثة فى هوليود المسماه بافلام الجاسوسية تروج لعدة أفكار صهيونية حول موضوع الصراع الذرى بين الدول العربية واسرائيل . فالفيلم يروج لفكرة أن المصريون متخلفون مثلهم مثل كل العرب سواء من ناحية القدرة على اقتحام مجال الذرة ، أم من ناحية القدرة على مواجهة مخابرات اسرائيل . وأن على علماء الغرب (الالمان مثلا) أن يدركوا أنهم بتعاملهم مع العرب يتعاملون مع الجانب الخاسر ، المتخلف ، غير المتحضر ، ضد اسرائيل المنتصرة المتقدمة المتحضرة . .

ان فيلم "حقيبة القاهرة" يريد أن يطمئن جمهوره فى اسرائيل ،

ويثير إعجاب جمهوره فى أوربا وأمريكا ، ويخيف جمهوره من العرب داخل اسرائيل ، وفى كل مكان يعرض فيه الفيلم .

ولكن الواقع أن الفيلم نفسه ولد من خلال الخوف من المخابرات المصرية والخوف من دخول مصر إلى مجال الذرة . والمعروف أن المخابرات المصرية قد نجحت فى تلك الآونة فى القبض على عديد من عملاء اسرائيل فى مصر ، ومن المعروف أيضاً أن عدد علماء الذرة المصريين يمثلون أكبر عدد متخصص فى هذا المجال فى الوطن العربى والشرق الأوسط وأفريقيا ، وان كفاءتهم العلمية مشهود لها فى العالم كله .

ثقب فى القمر

وشهد عام ١٩٦٥ عرض الفيلم الروائى الطويل الأول لمخرجه يورى زوهار ، وهو فيلم "ثقب فى القمر" الذى عرض فى أسبوع النقاد بمهرجان كان ذلك العام . وتدور احداث الفيلم فى أوساط الجيش مثل عدد كبير من أفلام اسرائيل وأفلام كل النظم الفاشية كما سبق أن أشرنا ، ويروى مغامرات جندى يحارب التبذير فى الجيش فى إطار كوميدى ، ويتمكن فى نهاية الفيلم من القبض على أحد الجواسيس . وسوف يصبح يورى زوهار بعد ذلك من أهم مخرجى الافلام فى اسرائيل ، وينال جائزة الدولة "قيثارة دافيد" .

ثلاثة أيام وطفل

شهد النصف الأول من عام ١٩٦٧ قبل حرب يونيو ، أنتاج عدة افلام اسرائيلية روائية طويلة من أهمها "ارفينكا" اخراج افرام كيشون و "دورية استكشاف" اخراج ميشا كرير ، ويدور حول فرقة كوماندوز اسرائيلية تنجح فى خطف رئيس جماعة عربية "ارهابية" ، و "ثلاثة أيام وطفل" الفيلم الطويل الثانى لمخرجه يورى زوهار ، والذى عرض فى مسابقة مهرجان كان فى مايو من ذلك العام . وكان أول اشتراك لاسرائيل فى مهرجان كان ، وفاز ممثله الأول أودد كوتلر بجائزة أحسن ممثل ، وكانت أول جائزة دولية تفوز بها السينما الصهيونية فى اسرائيل .

فيلم "ثلاثة أيام وطفل" مثل فيلم "صلاح" يحاول "تطبيع" المجتمع الاسرائيلى ، بل ويتجاوز فيلم "صلاح" فى ذلك ، فهو لا يناقش مشكلة اجتماعية أو يعرض لها بالنقد ، وانما يعبر عن ازمة روحية يعيشها شاب يسكن فى القدس ، ويبحث عن الحب والصداقة . ان ايلى يعيش مع زميل له يدعى يائيل ، ولكنهما لا يتفاهمان . ويتذكر ايلى دائما حبيبته فى "الكيبوتز" التى تزوجت من غيره . وذات يوم تأتى اليه مع زوجها فى زيارة للقدس ويتركان لديه ولدهما الصغير . وعبر ثلاثة أيام يقضيها الطفل مع ايلى تتجسد أزمته الروحية حتى أنه يفكر فى قتل الطفل . وينتهى الفيلم نهاية مفتوحة لاندرك منها على وجه التحديد هل سيقتل ايلى الطفل أم سيقتل نفسه .

ومستوى فيلم "ثلاثة أيام وطفل" جدير بالعرض فى مسابقة

مهرجان كان من الناحية الفنية . ولكن الجائزة التى فاز بها ممثله الأول كانت جائزة سياسية بحتة . ففى تلك الأيام من مايو عام ١٩٦٧ كانت الازمة السياسية بين مصر واسرائيل قد بلغت ذروتها ، وكانت الدعاية الصهيونية فى العالم فى ذروتها أيضاً . بل لقد تحول المؤتمر الصحفى الذى عقد بعد عرض الفيلم الاسرائيلى إلى مظاهرة سياسية مؤيدة لاسرائيل قادها ببراعة الممثل الامريكى الصهيونى جيرى لويس رغم أنه لم يشارك فى الفيلم على أى نحو .

ومن ناحية أخرى كان هناك العديد من الممثلين الذين يتفوقون على الممثل الاسرائيلى بأى مقياس من المقاييس ، مثل ديرك بوجارد فى فيلم "حادث" اخراج جوزيف لوزى ، ودافيد هيمنجز فى فيلم "تكبير الصورة" اخراج ما يكل انجلو انتونيونى وغيرهما . لقد ارادت لجنة التحكيم أن تعلن تأييدها لاسرائيل فى أول مرة تشترك فيها مسابقة مهرجان دولى للسينما . ولكن يبدو أن اسرائيل كانت تطمح إلى جائزة أكبر فلم يحضر ممثلها لاستلام جائزته .

هوامش :

١ - صلاح دهني : مجلة "المعرفة" السورية - عدد سبتمبر عام ١٩٦٢ - عن بحث أحمد فياض المفرجي "التعريف بالمصادر العربية لدراسة السينما الصهيونية" المقدم إلى الحلقة الدراسية التي نظمتها المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد ١٩٧٩ عن السينما الصهيونية .

٢ - د . عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية القاهرة عام ١٩٧٥ .

٣ ، ٤- سعد الدين توفيق : مجلة "الهلال" المصرية - عدد مايو ١٩٧٠ .

٥ - د . عبد الوهاب المسيري : المرجع السابق .

٦ - جي انيبل : اضواء على السينما الصهيونية - ترجمة وليد شميط مجلة "الدستور" اللبنانية (في لندن) العدد ٤٠٦ في ٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٨ .

البيان - الكويت

أكتوبر ١٩٨٣

السينما الجديده فى اسرائيل

إن أول سؤال يخطر على ذهن القارئ عندما يرى هذا العنوان هل يمكن أن يكون هناك حقا "سينما اسرائيلية جديدة ؟ كيف ، وعلى أى أساس ؟

إن مفهوم "الجديد" بالنسبة إلى السينما فى اسرائيل لا يكون الا سينما معادية للصهيونية . فهل السينما الاسرائيلية الجديدة سينما معادية للصهيونية . افلام هذه السينما ليست معادية للصهيونية ، ولكنها فى نفس الوقت ليست سينما صهيونية جديدة .

ان ما يوضح هذا أن هناك بالفعل سينما صهيونية جديدة داخل وخارج اسرائيل ، ترجع جذورها إلى عام ١٩٦٦ بعد عام واحد من بداية الثورة الفلسطينية المعاصرة ، وان هذه السينما برزت فى النصف الثانى من السبعينات فى أوروبا من خلال عدة افلام تسجيلية طويلة سينما تنقد الصهيونية من الداخل وتحاول تحسين صورتها أمام العالم .

فاذا كانت السينما الاسرائيلية الجديدة غير معادية للصهيونية ولا تنتمى إلى السينما الصهيونية الجديدة ، فلماذا هى جديدة اذن ؟ . انها جديدة لأنها ترفض السينما الاسرائيلية الصهيونية السائدة فى اسرائيل وليس لأنها تقدم البديل سواء لهذه السينما السائدة ، أو للايديولوجية السائدة فى اسرائيل ، وهى الايديولوجية الصهيونية العنصرية . الامر الذى نجده مثلا فى افلام ماريو أو فنبرج الالمانية ، وهو مخرج اسرائيلى

يعيش فى برلين الغربية ، وينتج سينما معادية للصهيونية .

- ١ -

ترجع جذور السينما الاسرائيلية الجديدة إلى عام ١٩٦٨ ، عندما اخرج الشاعر دافيد افيدان وأنتج فيلمه القصير الأول "كل شئ ممكن" وفيه يصور مشهد اغتيال قيصر فى مسرحية شكسبير ، ولكن القاتل هو نفسه الضحية ، اذ يقوم بالدور بين ممثل واحد .

وفى عام ١٩٧١ اخرج افيدان فيلمه القصير الثانى "جنس" الذى شاهدته فى برنامج "نصف شهر المخرجيين" بمهرجان كان عام ١٩٧١ ، وقد قدم الفيلم فى كتالوج البرنامج باعتباره الفيلم الوحيد الذى منع من العرض فى اسرائيل بقرار من المحكمة لأنه كما جاء فى الحكم "يؤذى اخلاقيات الجمهور ، والمشاعر الدينية ويتعارض مع الاحساس الانسانى والمنطق السليم" .

وفيلم "جنس" لا يعدو مجموعة من الممارسات الجنسية بين كاتب وامرأة فى شقة حديثة جدا على الطراز الأوروبى حتى أنه يبدو ولأول وهلة من أفلام "البورنو" العلنية التى ظلت طريق السرية . ولكن الواقع أن تناول الفيلم فى اطاره التاريخى يجعله ابعد ما يكون عن ذلك .

ان فيلم "جنس" ليس كما يقول اموس فوجيل فى كتابه "الفيلم كفن هدام" يريد أن يثبت أن من الممكن صنع أفلام عن الجنس فى اسرائيل ايضاً ، وانما هو صرخة شاعر يريد أن يحطم كل المحرمات فى

فيلم واحد ، ويخترق رأس المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى لو ادى ذلك إلى تدميره . ومن هنا فنص قرار المحكمة يمنع عرض الفيلم وصف دقيق لكل اغراضه أفضل من أى نقد عنه .

وكما أن السينما الصهيونية الجديدة نتاج الثورة الفلسطينية المعاصرة كذلك فان السينما الاسرائيلية الجديدة نتاج حرب ١٩٦٧ . صحيح ان اسرائيل قد انتصرت فى هذه الحرب ولكنها لم تحقق الامن ولا الاستقرار وانما على العكس المزيد من القلق ومن الاحباط الذى عبر عنه دافيدان ووصل إلى ذروته بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبالتحديد فى فيلم "شالوم" اخراج ياكى بوشا عام ١٩٧٤ ، وهو الفيلم الذى برز معه لأول مرة تعبير السينما الاسرائيلية الجديدة .

- ٢ -

تكونت فى اسرائيل عام ١٩٧٧ "جماعة السينما الشابة" من حوالى ٢٠ سينمائيا شابا ، وقامت هذه الجماعة فى نفس العام بأنتاج فيلمين قصيرين "الاختيار" وكاتدرائيات اخراج أورزى بيريز ، وفيلم روائى طويل باسم "ضوء من الظلام" اخراج ناسيم دايان .

وقد شاهدت فى مهرجان اوبرهاوزن عام ١٩٧٨ الفيلم الروائى القصير "الفيرا" اخراج دانييل فاكسمان الذى ينتمى إلى نفس الجماعة ، كما شاهدت فى "نصف شهر المخرجين" بمهرجان كان فى نفس العام الفيلم الروائى الطويل "الحصان الخشبى" وهو الفيلم الثانى من نوعه

الذى اخرجه "ياكى بوشا" وهو أيضا من أعضاء "جماعة السينما الشابة" فى اسرائيل وان كان كلا من دانييل فاكسمان وياكى يوشا يقومان بأنتاج افلامهما .

يقول ياكى يوشا فى حديث بنشره مهرجان كان عام ١٩٧٨ "يمكن بشكل عام القول بأن الافلام التى تصنع فى اسرائيل لاتعدو كوميديات غبية . أن كل الافلام الاسرائيلية تسعى لأن تكون تجارية لأن هذا هو النوع الوحيد من الافلام التى تصنع فى اسرائيل وتؤازره الحكومة ومركز الفيلم الاسرائيلى" .

وقد كتب الناقد الامريكى جيدون باكمان مقالا عن السينما الاسرائيلية الجديدة فى مجلة "سايت أند ساوند" عدد ربيع ١٩٧٨ ، ولكنه اعتبر فيلم "جنود الظلات "اخراج يهوذا نيمان من بين افلام هذه السينما الجديدة ، بل وذكر أن الجيش الاسرائيلى قد منع الفيلم لأن بطله يموت أو ينتحر فى النهاية ، والواقع أن الفيلم لم يمنع بل شاهده ٨٥ ألف متفرج ، وفاز بالجائزة الثانية فى مسابقة أحسن الافلام الاسرائيلية عام ١٩٧٧ التى نظمها مركز الفيلم الاسرائيلى .

- ٣ -

يقول جيدون باكمان فى مقاله المذكور عن فيلم "شالوم" وهى كلمة تعنى بالعربية السلام ، وهى نفس الوقت اسم بطل الفيلم "آن ياكى يوشا فى هذا الفيلم يحكى ما يمكن اعتباره قصة حياته هو نفسه ويصفه بأنه

مخرج" محبط ولا منتمى" . وفى كتالوج مهرجان سيدنى عام ١٩٧٨ حيث عرض الفيلم يقول جيلون باكمان أيضا "أن بطل الفيلم الذى يقوم بدوره المخرج شاب فى العشرين يبحث عن اتجاه حياته واتجاه بلده ، وأن "شالوم" هو أحسن فيلم أنتج فى اسرائيل .

وبينما قام ياكى يوشا بأنتاج وأخراج وتأليف ومونتاج وتمثيل فيلمه الأول أكتفى فى فيلمه الثانى "الحصان الخشبى" بالأنتاج والأخراج والأشتراك فى كتابة السيناريو مع مؤلف الرواية الاصلية التى صدرت بنفس الاسم وهو يورام كانيوك .

يتناول معين بسيسو فى كتابه "نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة "رواية" "الاكروفايل" للكاتب يورام كانيوك ، فيقول "هل من الممكن أن نحس وأن ندرك ضياع بطل "الاكروفايل" وهويهبط لأول مرة فى مطار نيويورك ، المدينة التى غالبيتها من اليهود والتى هى أحدى النشاطات الروحية والادبية والسياسية للحركة الصهيونية العالمية . ان بطل "الاكروفايل" الاسرائيلى يصرخ بأعلى صوته ، وهو يواجه المدينة الكبيرة ذات ناطحات السحاب : أنها تبتلعنى . ويمضى بطل يورام كانيوك باحثا عن فرديته ، ولكنه لا يعثر عليها ابدا فى نيورك .

ما الذى يريده اذن ، الجواب الذى قدمه يورام كانيوك هو كما جاء على لسان بطله "اذا كانت نيويورك ستبتلعك فلن تكون أكثر من الحوت الذى ابتلع يونس ، وعلى بطل الأكروفايل أن يقاتل من الداخل ، أن يقاتل وهو فى بطن الحوت ، من أجل أن يوجه الحوت كما توجه السفينة إلى

شواطئ اسرائيل حيث سيلفظه على شاطئها ، وحيث ستغطى جسده العريان أوراق جواز السفر الاسرائيلى" .

وتبدو رواية "الحصان الخشبى" من واقع الفيلم الذى شاهدته عنها وكأنها الجزء الثانى من رواية "الأكروفايل" . ففى فيلم نرى البطل يعود من نيويورك إلى اسرائيل بحثا عن فرديته ، ولكنه كما لم يعثر عليها فى نيويورك لا يعثر عليها فى اسرائيل .

ولد اميناداف سوس ايتز بطل "الحصان الخشبى" فى تل أبيب عام ١٩٣٠ . وعندما بلغ السابعة عشرة ، انضم إلى منظمة البالماخ الأرهابية وأشترك فى حرب ١٩٤٨ ، وفى حرب يونيو ١٩٦٧ حيث جرح وشاهد موت أقرب أصدقاوءه . وبعد الحرب سافر إلى نيويورك وأصبح رساما . وهناك تزوج وأنجب طفله ، ولكنه رغم ذلك لم يجد نفسه . وشعر أنه رسام فاشل ، فحرق كل لوحاته وعادإلى اسرائيل يبحث عن اسباب فشله ، ويبحث عن جذوره .

وهذه الخلفية الهامة ، والتى تؤكد أن السينما الاسرائيلية الجديدة هى نتاج حرب يونيو ١٩٦٧ . نعرفها من خلال الحوار عبر الفيلم . فنحن نرى آمى – وهو اختصار اسم اميناداف – فى أول مشهد بعد العناوين وهو يصل إلى الميناء فى اسرائيل قادما من نيويورك . وقبل العناوين يبدأ الفيلم بلقطة لوالدته تتحدث عن مولده ، ومع العناوين نراه يستحم وعلى شريط الصوت أغنية تقول كلماتها أريد أن أصنع فيلما أواجه به مصيرى .

وكما كان "شالوم" سيرة ذاتية على نحو ما للمخرج ياكى يوشا وكان عنوان الفيلم هو اسم البطل ، وجزء من معناه وهو السلام بالعبرية ، كذلك فأن "الحصان الخشبى" سيرة ذاتية على نحو ما للكاتب يورام كانيوك ، واسم البطل سوس - اتيز يعنى بالعبرية "الحصان الخشبى" أى أنه عنوان الفيلم واسم البطل ، وجزء من معناه أيضا . وقد قام بتمثيل الدور الموسيقار شويك كاروس ، وهو أيضا مؤلف موسيقى الفيلم ، وملحن أغنية المقدمة التى تلخص جوهر احداثه : أريد أن أصنع فيلما أواجه به مصيرى .

يبدأ بطل الفيلم محاولاته للتخلص من القلق والضيا ع بالاقتراب من والديه ولكنه يجد أمه وحيدة حزينة ، وابوه عاجزا مريضاً ، وهنا يخرج إلى شوارع تل أبيب ، ويجالس الصعاليك والعاهرات على المقاهى ، ويحاول أن يعثر على الاشياء القديمة التى تعلق بها ، ولكنه يجد أن كل شئ قد تغير فى المدينة . ويقرر آمى أن يصنع فيلما عن حياته ، وعن مدينته ، ويطلب العون من صديق قديم كان معه فى البالماخ ، ويعمل مديرا لأحد الاستديوهات السينمائية ، ولكنه يقول له "أسرع فقد عاد الحديث عن الحرب من جديد" وهذه هى الأشارة الوحيدة فى الفيلم إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ومع بداية الفيلم داخل الفيلم حيث يقوم بدور المصور دانييل فاكسمان مخرج فيلم "ألفيرا" تبدو رؤية ياكى يوشا للواقع الاسرائيلى واضحة تماما ، فالفيلم الذى يدور فى الزمن الحاضر بالأبيض والأسود ،

أما الفيلم داخل الفيلم فيصور بالألوان . ويختار رأمى من يقوما بدور والديه ويختلط الواقع بالخيال ، وتتذكر أمه الحقيقة أيام العذاب فى المانيا النازية ، ويتذكر هو مع الممثل الذى يقوم بدور أبيه عندما كان يدخل عليه فى محل البراويز الذى يملكه ويقول له أنك تريد أن تضعنى فى برواز أنا أيضا " .

ولأول وآخر مرة فى الفيلم نرى آمى ومصور فيلمه فى مشهد بالالوان وذلك عند مشاهدة الفيلم فى عرض خاص ، ومرة أخرى ، نعود إلى الصعاليك والعاهرات حيث نرى مشاجرة عنيفة ، ثم ينتهى الفيلم بأن يحرق آمى الفيلم الذى أخرجه ، كما أحرق لوحاته فى نيويورك .

- ٤ -

يؤكد ياكى يوشا بهذه النهاية أنه حقا كما قال جيدون بأكمان مخرج "محبط ولامنتمى" يعبر بشجاعة عن الحياة فى مجتمع يعيش على فوهة بركان ، ولكنه لا يدرك شأنه شأن كل لا منتم لماذا هو على فوهة بركان .

أما فيلم "الفيرا" اخراج دانييل فاكسمان ، فيعبر عن ذروة الاحباط وهو السمة المميزة للسينما الاسرائيلية الجديدة ، اذ تدور احداثه فى قاع مدينة تل أبيب ، حيث العاهرات والقوادين والشواذ والصعاليك وفى الخلفية صوت أم كلثوم تغنى "خذ عمرى كله بس النهارده خلينى أعيش" !

وبطلة الفيلم "الفيرا" عاهرة تريد الهجرة إلى الولايات المتحدة ولكن كل محاولاتها للحصول على موافقة السفارة الامريكية تفشل تماما . وتتذكر الفيرا طفولتها البريئة مع أمها ، ثم تتذكر حبيبها الذى قتل فى الحرب ، والذى تركها وحيدة ، فتحولت إلى عاهرة . وينتهى الفيلم بثلاثة أشخاص يغتصبون الفيرا فى ركن مظلم فى الطريق العام . ومرة أخرى فالاحباط هنا يمتزج بالفشل فى الوصول إلى ادراك صحيح للواقع ، الأمر الذى ينتج عن قصور رؤية المخرج ، وعدم قدرته على تجاوز الصهيونية .

الشاشتان - الجزائر

نوفمبر ١٩٧٩

السينما المعادية للصهيونية
فى اسرائيل

تنقسم السينما المعادية للصهيونية إلى ثلاثة أقسام ، أولا السينما الفلسطينية وهى السينما التى تتبنى أهداف منظمة التحرير الفلسطينية ، أيا كانت جنسيات أفلامها. ثانيا السينما المعادية للصهيونية التى قد تلتزم بأهداف المنظمة ، وقد لا تلتزم بها وقد شاهدنا الكثير من افلامها فى مهرجانات فلسطين الثلاث فى بغداد اعوام ١٩٧٣ ، ١٩٧٦ و١٩٧٨ . ثالثا السينما المعادية للصهيونية فى اسرائيل أو بالاحرى التى تصنع بواسطة مخرجين اسرائيليين وهى سينما تنتج خارج اسرائيل وتمنع افلامها من العرض داخل اسرائيل .

وتعتبر السينما المعادية للصهيونية فى اسرائيل سينما هامشية بكل معنى الكلمة . وهى تعبر عن اقلية يهودية معادية للصهيونية ، ولكن هذه الاقلية تتزايد يوما بعد يوم ، وهى بالتأكيد الاقلية التى ستصبح الاغلبية لأنها تعبر عن المصالح الحقيقية للقاعدة العريضة من اليهود فى مستقبل أفضل ، أمن ، ومستقر .

ويمثل المخرج الاسرائيلى ماريو أوفنبرج السينما المعادية للصهيونية فى اسرائيل خير تمثيل . وهو مخرج يحمل جنسية المانيا الاتحادية إلى جانب الجنسية الاسرائيلية ويعيش فى برلين الغربية ، حيث ينتج افلامه . وقد أخرج فيلمين تسجيلين الأول "الكفاح من أجل الأرض أو

فلسطين فى اسرائيل " عام ١٩٧٧ " ومدته ٤٧ دقيقة والثانى "الطريق الصعب إلى فلسطين" عام ١٩٧٨ ، ومدته مائة دقيقة .

- ١ -

ينتمى ماريو أوفنبرج إلى "المنظمة الاشتراكية فى اسرائيل – متسبين" ويعبر فيلميه المذكورين عن أيديولوچية هذه المنظمة . ومن هنا لابد من التعرف على هذه الأيديولوچية قبل الحديث عن هذين الفيلمين . وسوف نعتمد في هذا التعريف على كتاب "من نضالنا ضد الصهيونية " ، ومن أجل الاشتراكية " الذى أصدرته المنظمة باللغة العربية فى مارس عام ١٩٧٨ .

انشئت المنظمة الاشتراكية فى اسرائيل عام ١٩٦٢ وصدر العدد الأول من مجلتها "متسبين" وهى كلمة عبرية تعنى "البوصلة" بالعربية فى سبتمبر من نفس العام . وكما جاء فى المبادئ الأساسية للمنظمة فهى لاتهدف إلى الاستيلاء على السلطة وانما "المساعدة بكل امكانياتها للاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها فى ايدى مجالس منتخبة من قبل جماهير الشعب" . وحقل النشاط الرئيسى للمنظمة كما جاء فى هذه المبادئ أيضا "هو النضال ضد النظام القائم فى اسرائيل" .

أن متسبين تعتبر الصهيونية "مشروع استعمار استيطانى يجرى تنفيذه على حساب الجماهير العربية ، وفى طليعتها الشعب العربى الفلسطينى ، تحت رعاية الاستعمار ومن خلال الاشتراك معه ، وتؤيد

المنظمة "نضال الشعب العربى الفلسطينى ضد اضهاده وسلب حقوقه على ايدى "الصهيونية" ، وتؤيد "حق تقرير المصير بما فى ذلك حق اقامة دولة منفصلة لكل قومية غير عربية تعيش فى المنطقة بما فيها الأمة اليهودية الاسرائيلية" . وكجزء من النضال من أجل هذه الثورة ، تقوم بالنضال من أجل اسقاط النظام الصهيونى والغاء كافة المؤسسات والقوانين واللوائح والتقاليد التى يرتكز عليها ، وتتطلع إلى اندماج اسرائيل فى وحدة اشتراكية للمنطقة على أساس حرية الاختيار .

ذلك ما جاء المبادئ الأساسية ولكن فى الكتاب مقالات وبيانات تلقى المزيد من الضوء على هذه المنظمة من خلال الممارسة ، واعتقد أن من المهم أيضاً التعرف عليها قبل الحديث عن سينما ماريو أوفنبرج المعادية للصهيونية .

ففى مقال للمرحوم جبرا نيقولا عام ١٩٦٩ يقول "طالما بقيت هناك مصالح للاستعمار فى الشرق الأوسط فأنه سيستمر فى دعمه للصهيونية التى تؤدى دور الحليف الطبيعى ولن يدعها لتنهار . سوف يدافع الأستعمار عن اسرائيل حتى آخر قطرة من البترول العربى" ويقول الكاتب الفلسطينى الذى توفى عام ١٩٧٤ فى نفس المقال "أن معظم اليهود المقيمين فى اسرائيل تجمعوا تحت نفوذ الصهيونية ومبادئها وهم كجمهور اضطهدوا ولا زالوا يضطهدون الفلسطينيين بيد أنه لايمكن تجاهل تلك الحقيقة الجلية وهى كون هذا الجمهور يشكل وحدة قومية تختلف عن يهود العالم من جهة وعن عرب فلسطين من جهة أخرى ذات لغة وحياة اقتصادية

وثقافية خاصة . حل القضية الفلسطينية يحتم تحرير هذا الجمهور أو على الاقل جزء كبير منه ، من تأثير الصهيونية ، وتحويله إلى النضال المشترك مع القوى الثورية فى العالم العربى من أجل التحرر القومى والأجتماعى للمنطقة كلها . لكن لا يمكن نيل ذلك من خلال تجاهل الهوية القومية لهذا الجمهور" .

وفى بيان صدر عام ١٩٧٤ تقول المنظمة "حتى لو حققت المشاريع التى تحضر فى المطابخ الدبلوماسية وادت إلى اتفاقية بين النظام الصهيونى وبين الأنظمة فى البلاد العربية فأن ذلك لن يكون حلا للمشكلة الأساسية للنزاع التاريخى بين الصهيونية وبين العالم العربى . هذا النزاع الذى تعود جذوره إلى الطابع الاستيطانى لاسرائيل ، والى حقيقة كونها كلب حراسة للمصالح الامبريالية" .

ولكن المنظمة ترى فى نفس البيان من ناحية أخرى " يجب الاعتراف بأن اكراه اسرائيل على الانسحاب سيكون بالنسبة للولايات المتحدة مجرد تحرك لكن بالنسبة للصهيونيه فأن ذلك يشكل هزيمة تاريخية" ، وتقول " لقد غيرت حرب أكتوبر وضع الصهيونية ، فالصهيونية اليوم ليست " قادرة على كل شئ " ، وخاصة اذا اضطرت للخضوع لتسوية من قبل الولايات المتحدة ، فأن ذلك سيوضح كم هى خطرة المهمة التى هيأتها الصهيونية لليهود والى أى حد وبطت مصيرهم بمصالح الامبريالية ومن هنا تبدأ امكانية تطور راديكالى داخل المجتمع الاسرائيلى .

وفى نفس البيان تقول المنظمة " أن من واجبنا التنديد بحكومة اسرائيل لرفضها الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب العربى الفلسطينى" . وتعتبر أقامة حكومة فلسطينية فى الضفة والقطاع كحل للنزاع العربى - الاسرائيلى ، من "أوهام اليسار الصهيونى" وذلك لأربعة أسباب محددة : لأنها لا تحل قضية الجماهير الفلسطينية فى مخيمات اللاجئين ، ولأنها لن تنهى كون اسرائيل كلب حراسة للامبريالية وستبقى على استعداد للهجوم فور تسلم الاشارات من أسيادها ، ولأنها لن تحل مشكلة النصف مليون فلسطينى الذين يعيشون داخل اسرائيل كمواطنين من الدرجة الثالثة ، واخيرا لأنها لن تغير من اسرائيل الصهيونية التى ترى رسالتها فى تجميع يهود العالم فى أرض اسرائيل التاريخية ، حتى لو كان ذلك على حساب مصالح سكانها ، وضد اغراض التطور فى المنطقة " .

وأخيرا يتضمن الكتاب المذكور للمنظمة حوارا بين عضو منها وبين الشهيد سعيد حمامى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن والذى اغتيل عام ١٩٧٨ وقد جرى هذا الحوار ونشر فى نوفمبر عام ١٩٧٥ . وفى هذا الحوار قال سعيد حمامى : فى عام ١٩٦٤ قال الميثاق الفلسطينى أن جميع اليهود الذين جاءوا قبل العدوان فلسطينيون وفى عام ١٩٧٠ قرر المجلس الوطنى الفلسطينى أن جميع اليهود الذين يعيشون فى اسرائيل بوسعهم أن يصبحوا مواطنى الدول الديمقراطية التى نكافح من أجلها " . "وقال سعيد حمامى" يبدو أن تقسيم فلسطين

بين الشعبين هو خطوة أولى أعتقد أنها خطوة ضرورية لا مفر منها سواء شئنا أم أبينا .

وقال سعيد حمامي فى هذا الحوار "أننا إذ نطالب بأقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزه فأننا بذلك لا نقوم بخطوة مساومة وإنما خطوة واقعية" . وقال " أما أولئك القائلون بأن هذه الدولة ستكون جزاءا من "سلام أمريكى" فجوابى لهم أن الأستعمار وبشكل خاص الأستعمار الأمريكى لم يمنح لأى شعب كان فى أى يوم من الأيام وطنا" أو أى شئ آخر حسن . أنها نتيجة الكفاح الشعبى الدموى" . وقال " أن الأعترافبأن هناك شعب آخر فى البلاد ، وأن الشعب العربى الفلسطينى له مطلب قومى مشروع فيها يعنى زعزعة أسس شرعية الصهيونية وتبريراتها ، ولذلك فأن الولايات المتحدة لن تسارع فى أن تفرض على اسرائيل تنازلا حول هذا الأمر الذى قد يصر عليه النظام الصهيونى بعناد" . وقال سعيد حمامى " اسرائيل ستبقى ثلاثة أو خمسة عقود من الزمن بعد إقامة دولة فلسطينية لكن ربما كان فى ذلك بداية النهاية للصهيونية ، بداية ازالة صهيونية دولة اسرائيل " .

- ٢ -

سوف أتناول هنا فيلم "الكفاح من أجل الأرض أو فلسطين فى اسرائيل" من خلال قراءة السيناريو ، وفيلم "الطريق الصعب إلى فلسطين" من خلال قراءة السيناريو ومشاهدة الفيلم عند عرضه فى

مهرجان ليبزج بألمانيا الديمقراطية عام ١٩٧٨ .

أما فيلم " الكفاح من أجل الأرض أو فلسطين فى اسرائيل " ، فيتناول مشكلة الأرض وهى عصب الصراع العربى - الصهيونى . لقد قامت الصهيونية بأحتلال أرض فلسطين العربية على أساس أنها "أرض بلا شعب ، لشعب بدون أرض" . ولكن ماريو أوفنبرج فى فيلمه يحطم هذا الأساس تحطيما كاملا . لقد كان الشعب العربى الفلسطينى يعيش هنا على أرضه ، وقام رجال الجيش الصهيونى بأحتلال هذه الأرض ، وطرد سكانها من ديارهم وقراهم بالقوة .

هذه هى الحقيقة التى يعبر عنها أوفنبرج فى فيلمه وذلك من خلال دراسة ثلاث حالات : قرية صفوريه فى الجليل ، وقرية عرعرة فى المثلث ، ثم مدينة تل أبيب نفسها عاصمة الدولة الصهيونية والتى تعتبر من رموزها الكبرى . ويستخدم اوفنبرج الوثائق التاريخية من ناحية ، والحديث مع عرب فلسطين ويهود اسرائيل المعادين للصهيونية من ناحية أخرى . مصطفى سليم معاد وعبد المجيد الرشيد من بقايا الفلاحين العرب الفلسطينين الذين طردوا بالقوة من ديارهم ، والشابين على الأزهرى وأحمد مصاروه . ثم الاسرائيليان يهود عين جيل واودد بلوفسكى .

يقدم كل من المتحدثين الست فى الفيلم شهادات واقعية عن ما حدث ويعبرون عن رفض الصهيونية . لقد احتلت القوات الصهيونية قرية صفورية ودمرتها عام ١٩٤٨ ، وطردت كل سكانها ومنعتهم من العودة اليها . وفى عرعرة كان هناك ٤٠ ألف هكتار للزراعة استولت على ٣٦

ألف هكتار منها وطردت كل سكانها ومنعتهم من العودة اليها .أما تل أبيب فقد أقيمت على أنقاض قرية كروم جبالى العربية ، بعد أن دمرتها القوات الصهيونية أيضا وطردت كل سكانها ومنعتهم من العودة اليها .

هكذا أقيمت اسرائيل الصهيونية على أرض فلسطين العربية . ويؤكد الفيلم على السنة المتحدثين سواء من اليهود أم من العرب أنه لاحل دون الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى ، لاحل مع اسرائيل الصهيونية ولاحل إلا أن يتعايش اليهود والعرب معا فى دولة جديدة اشتراكية إلى آخر الأفكار والمبادئ التى تعبر عن أيديولوجية المنظمة الاشتراكية فى اسرائيل كما اوضحناها .

- ٣ -

يقول ماريو أوفنبرج فى حديث بالعدد الثالث من نشرة مهرجان ليبزج عام ١٩٧٧ أنه يوجه فيلمه إلى الجمهور الاسرائيلى ليعرف تاريخ وواقع الشعب الفلسطينى الذى لا يعرفه بسبب التعليم الاسرائيلى والدعاية الاسرائيلية ، كما يوجهه إلى الجمهور الفلسطينى ليعرف أن هناك يهوداً يرفضون الصهيونية ، ويؤيدون حقه فى تقرير المصير . وأن اسرائيل ليست كتلة واحدة ، وإنما هى مجتمع منقسم إلى طبقات ، وأن المسألة الطبقية داخل الصراع وليست خارجه ، ويقول ثالثا أنه يوجه الفيلم إلى الجمهور الغربى الذى يخضع للدعاية الصهيونية حتى لقد أصبح يعتقد أن الصهيونية مرادف لليهودية ، وأن العداء للسامية شعور طبيعى ، وحتى

يشعر به كل من هو غير يهودى .

عرض فيلم "الكفاح من أجل الأرض فلسطين فى اسرائيل" لأول مرة فى مهرجان بينالمدينا فى أسبانيا فى أكتوبر عام ١٩٧٧ ، وذلك فى "يوم فلسطين" الذى عرضت فيه ٤ أفلام من إنتاج منظمة التحرير الفلسطينية . وكان ضمن الوفد الفلسطينى المصور السينمائى عبد الحافظ الاسمر المعروف باسم عمر المختار والذى استشهد فى ١٦ مارس عام ١٩٧٨ وهو يصور العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان واستشهد معه ابراهيم ناصر المعروف باسم مطيع ابراهيم . وقد اشترك عمر المختار فى مؤتمر صحفى مع ماريو افنبرج وقالت صحيفة لوموند الفرنسية فى عدد ٣ نوفمبر عام ١٩٧٧ .

"كان من أهم أحداث المهرجان المؤتمر الصحفى الذى عقده السينمائى الفلسطينى عمر المختار والسينمائى الاسرائيلى ماريو أوفنبرج وهو أول مؤتمر من نوعه فى مهرجان دولى بعد لقاء ريون فى فرنسا عام ١٩٧٦ وكان كلا منهما ينادى الآخر اثناء المؤتمر قائلا يا رفيق .

ولكن عندما عرض الفيلم فى مهرجان ليبزج فى نفس العام بأسم اسرائيل احتجت عدة وفود عربية على ما اعتبرته اشتراكا لاسرائيل فى المهرجان . ورد المهرجان بأن الفيلم من انتاج برلين الغربية وأن عرضه باسم اسرائيل يقصد منه دعم الموقف العربى باعتباره فيلما معاديا للصهيونية تماما كما كان المهرجان يعرض أفلاما ضد الفاشية من

أسبانيا فرانكو ، ويعرض الآن أفلاما من شيلى بينوشيه . وفى نهاية المهرجان أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن فوز فيلم "الكفاح من أجل الأرض أو فلسطين فى اسرائيل "بجائزة هانى جوهريه أول شهداء السينما الفلسطينية الذى استشهد فى جبل لبنان وهو يصور المعارك فى ١١ أبريل عام ١٩٧٦ ، وكانت هذه الجائزة تعبيرا عن حقيقة أن المنظمة عندما تعلن أنها ضد الصهيونية وليست ضد اليهود أنما تعبر عن فكرها الثورى ولا تردد شعارا مجردا لارضاء أحد أو لاغضاب أحد .

وقد جاء الدليل الحاسم على صحة موقف المنظمة من هذا الفيلم فى ٣٠ يونيو عام ١٩٧٨ عندما أصدر مجلس الرقابة على السينما والمسرح التابع لوزارة الداخلية فى اسرائيل قرارا بمنع الفيلم من العرض فى اسرائيل وذلك حسب نص القرار "لأنه يشترك فى جريمة تحريض الاقليات ضد الدولة ومواطنيها ومن المتوقع أن يثير مشاعر العنف ويؤدى إلى اخلال سافر بالاداب المرعية" .

وقد احتج الاتحاد الدولى للنقاد "فيبريسى" الذى منح الفيلم جائزته فى مهرجان ليبزج على منع الفيلم ، كما احتجت عدة جماعات سينمائية على ذلك فى بريطانيا وفرنسا الاتحادية ، وكذلك احتج اتحاد طلبة أكاديمية السينما - والتليفزيون فى ألمانيا الديمقراطية .

ورغم أن الناقد الاسرائيلى اراش دولاف كان عضوا فى لجنة "فيبريسى" التى منحت الفيلم جائزتها فى ليبزج الا أنه كتب مقالا عنيفاً

ضد الفيلم فى صحيفة "معاريف" ووصفه بأنه "افتراء شرير" .

- ٤ -

عرض فيلم "الطريق الصعب إلى فلسطين" لأول مرة فى مهرجان بينالمدينا بأسبانيا فى أكتوبر عام ١٩٧٨ وكان العرض تحيه إلى الشهيدين ابراهيم ناصر (مطيع ابراهيم) وعبد الحافظ الاسمر (عمر المختار) . ثم عرض فى مهرجان ليبزج فى نوفمبر من نفس العام وفى العدد السادس من نشرة المهرجان تحدث ماريو أوفنبرج عن فيلمه الجديد فقال :

كان فيلمى الاول "الكفاح من أجل الأرض أو فلسطين فى اسرائيل" يعالج مشكلة الأرض من وجهة نظر معادية للصهيونية ، أما فيلمى الثانى "الطريق الصعب إلى فلسطين" فهو عن المعارضة المعادية للصهيونية فى اسرائيل وفى الاراضى العربية المحتلة : المعارضة اليهودية والعربية . والفيلم يعبر عن حقيقة أن فى الامكان أن يتعايش الشعب اليهودى مع الشعب العربى فى إطار النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية .

ويواصل ماريو أوفنبرج "هناك فى الفيلم اليسار والديموقراطيون والعرب الفلسطينيون والوطنيون والمدافعون عن حقوق الانسان فى اسرائيل وفى الاراضى العربية المحتلة . الفيلم من نوع الاستماع إلى شهادات عن الأسباب الجذرية للصراع الفلسطينى وهو يعرض أيضا طرق حل هذا الصراع وإمكانيات التواجد المشترك للاسرائيليين

والفلسطينيين" .

يؤكد الفيلم فى البداية أن العرب واليهود كانوا يعيشون معا فى سلام على أرض فلسطين قبل أنشاء اسرائيل . ثم تبدأ الاحاديث مع المعارضين للصهيونية فهذا جيبورا نيومان الطالب فى جامعة تل أبيب يروى كيف رفض التجنيد عام ١٩٧١ لأنه يناضل ضد الصهيونية ، فحوكم وادين وقضى سنة فى السجن . وهذا محمد الموجى الطالب فى نفس الجامعة يطالب بأنشاء دولة ديمقراطية للعرب واليهود . وهذه المحامية الاسرائيلية فالتيسيا لانجر التى جندت نفسها للدفاع الفلسطينيين والعرب داخل السجون ، ويدور الحوار بين ماريو أوفنبرج وفالتيسيا لانجر على باب أحد السجون .

أما اسرائيل شاك رئيس لجنة حقوق الانسان فى اسرائيل فيقول أن سكان الاراضى العربية المحتلة يعيشون فى أوضاع ليس لها مثيل فى القرن العشرين وان سلطات الاحتلال الصهيونى تحرمهم من كل حقوقهم بغير استثناء . وبعد عديد من الاحاديث مع العرب واليهود المعادين للصهيونية يصور الفيلم الاحتفال بيوم الأرض فى ٣٠ مارس عام ١٩٧٨ . فنرى المظاهرات تهتف بالروح والدم حانكمل المشوار ونرى توفيق زياد يخطب فى الجماهير زعيما شعبيا بكل معنى الكلمة .

ويتحدث أميل توما عن التحول الذى جرى فى فلسطين من بلد ذات قومية واحدة إلى بلد ذات قوميتين . ويؤكد على أنه لامفر من دولة فلسطينية تقوم إلى جانب دولة اسرائيل . ثم يتحدث بسام الشكعة على

أهمية التضامن بين العرب وبين اليهود المعادين للصهيونية . ومرة أخرى ننتقل إلى يوم الأرض مظاهرات الصبية تهتف "ياصهيونى اطلع بره" وتنفجر فى المظاهرات القنابل المسيلة للدموع ، وهنا يصور ماريو اوفنبرج نفسه ، وقد أسالت القنابل دموعه هو الآخر ، وأحاط الدخان الأبيض بجهاز التسجيل الذى يحمله معبرا عن النضال المشترك للعرب واليهود ضد الصهيونية .

الموقف العربى - القاهره

يوليو ١٩٧٩

التطبيع فى مجال السينما

٧٧ - ١٩٨٠

أصدرت جمعية نقاد السينما المصريين يوم ٦ أبريل ١٩٧٩ البيان التالى :

جمعية نقاد السينما المصريين التى تأسست عام ١٩٧٢ ، والتى تمثل مصر والوطن العربى فى الاتحاد الدولى منذ ذلك العام ، ترى لزاما عليها ازاء التطورات الأخيرة التى أنتهت بتوقيع المعاهده المصرية الاسرائيليه ، ومواصلة لدورها فى دعم الثقافة الوطنية الديمقراطية فى مصر العربية ، أن تعلن البيان التالى الذى أصدره مجلس الاداره فى إجتماعه يوم السادس من ابريل عام ١٩٧٩ :

إن السلام هو المطلب الحيوى الطبيعى للشعب المصرى والشعب العربى وكل شعوب العالم ، غير أن الخلاف دائما يكون حول أسس السلام وشروطه وضماناته والسلام الذى تسعى اليه مصر وكل الدول العربية هو السلام الشامل العادل القائم على تحقيق المطالب المشروعه للشعب العربى الفلسطينى ، بما فى ذلك مطلبه فى أقامه دولته فوق أرضه ، وعلى الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية بما فى ذلك القدس المحتله .

---

* بحث كتب بتكليف من لجنة مقاومة السينما الصهيونية التابعة لجمعية نقاد السينما المصريين عام ١٩٨٠ . وقد أشتركت به اللجنه فى مهرجان بغداد الدولى الرابع لافلام وبرامج فلسطين فى نفس العام وطبع ووزع فى المهرجان .

وترى الجمعية أن دورها فى تحقيق هذا السلام ، وإلى ان يتحقق يتمثل فى اتخاذ الاجراءات التاليه :

١ - عدم التعامل مع الأجهزة الاسرائيليه ، أو الصهيونية ، بواسطة الجمعية ، والاكتفاء بدراستها دراسات علمية .

٢ - عدم التعامل مع الأجهزة السينمائية فى اسرائيل ، بالنشر ، أو تبادل النشر ، أو بمجرد الاتصال .

٣ - عدم التعامل مع الاجهزة السينمائية المصرية التى تتعامل مع اسرائيل ، وذلك بعدم عرض افلامها ، أو الكتابه عنها ، أو قبولها فى مسابقات الجمعية لأحسن الأفلام .

٤ - عدم التعامل مع الجمعيات الأهليه ونوادى السينما التى تتعامل مع اسرائيل بأى صورة من الصور .

٥ - أبلاغ هذه القرارات إلى الجمعيات الأهلية ونوادى السينما ، والعمل على تنفيذها .

وقد تكونت جمعية النقاد لجنه بأسم "لجنة الدفاع عن حرية التعبير" بدئاسة كمال رمزى وعضوية سبعة من أعضاء الجمعية ، كما تكونت "لجنة مقاومة السينما الصهيونية" برئاسة سمير فريد وعضوية عشرة من أعضاء الجمعية .

الزيارات

كانت البداية فى حيفا حين أعلن نافون رئيس الكيان الصهيونى

أن الحرب الثقافية قد بدأت ، وقام باهداء كتاب بن ميمون إلى الرئيس السادات[1]

ثم تـوالت الزيارات : نجمة الاغلفة فـرح فاوست من اسرائيل إلى القاهرة ونجمة السينما اليزابيث تايلور من القاهرة إلى اسرائيل لتعلن إنهاء المقاطعة العربية فـى مصـر بعـد أن كانت أفلامها ممنوعه ، وانريكو ماسياس ، وكـان أيضا ممنوعا ، ثم اخيرا فرانك سيناترا ، وكان بدوره ممنوعا . والطابع السياسى المباشر لهذه الزيارات التى تمت فى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٧٩ ليست استنتاجا ، ففى الصفحات الأولى من كل الصحف شاهد الناس صور اليزابيث تايلور وماسياس وسيناترا مع الرئيس وزوجته ومع رئيس مجلس الشعب . وبينما اكتفت الصحف المصرية اليومية المنشورة بالعربية بتصريحات اليزابيث تايلور حول غرامياتها ، نشرت صحيفة الاجيبشيان جازيت المصرية اليومية المطبوعة بالانجليزية تصريحاتها السياسية مثل قولها : (أننى سعيدة بوجودى فى القاهرة ، ليس لسبب شخصى وانما لهذا التقارب الذى يتم بين مصر واسرائيل) . كما نشرت تعليق محرر وكالة الاسوشيتدد برس على هذه الزيارة ، ونصه كما يلى (أن زيارة اليزابيث تايلور خطوة مبكرة لأنهاء المقاطعة لاسرائيل ومؤيديها فى إطار تطبيع العلاقات الذى تمت الموافقة عليه فى المعاهدة المصرية الاسرائيلية التى وقعت فى مارس ١٩٧٦) .

أول وفد اسرائيلى

وبمناسبة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الرابع عقد فى سبتمبر عام ١٩٧٩ ، والذى أقامته الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما ، وصل إلى القاهرة أول وفد ثقافى اسرائيلى ، وقد ظل وجود هذا الوفد سرا ، فلم تنشره أية صحيفة مصرية - حتى عاد إلى اسرائيل ، ثم انفردت مجلة (أكتوبر) بنشر الخبر بعد ذلك فى ٣٠ سبتمبر .

وقصة هذا الوفد تبدأ بمبادرة من المنتج جورج بارى الذى كان يقوم بأنتاج فيلم من تمثيل فرح فاوست ، والذى حضر معها إلى القاهرة ، وحاييم ايشيل الاسرائيلى رئيس قسم السينما فى شركة بروت للعطور التى نظمت زيارة فرح فاوست للدعاية لعطورها بالتعاون مع مندوبها فى مصر وذلك حسب رواية "فارايتى" الأمريكية فى ٥ سبتمبر عام ١٩٧٩ .

لقد اقترح بارى على إدارة مهرجان القاهرة دعوى اسرائيل إلى الأشتراك فى المهرجان ، ودعوة وفد سينمائى اسرائيلى كبير ، فى مقابل تيسيره لدعوة اليزابيث تايلور لحضور أفتتاح المهرجان ، بينما عرض حاييم أيشيل تقديم فيلمان من أفلام شركة بروت للمهرجان وهما (داورية الليل) الذى مثلته اليزابيث تايلور لكى يعرض فى الافتتاح ، و(لمسة طبقية) الذى مثلته جيلندا جاكسون ليعرض أثناء المهرجان .

وقد وافقت ادارة مهرجان القاهرة ، وأرسلت الدعوات مع جورج بارى الذى أرسلها إلى اسرائيل من باريس وطلب من أعضاء الوفد الاسرائيلى التوجه إلى سفارة مصر فى أثينا ، ومن هناك يحصلون على

تأشيرة الدخول ، ويغادرون العاصمة اليونانية - إلى القاهرة . ومن ناحية أخرى كان مناحم جولان ، وهو أشهر سينمائى اسرائيلى قد أتفق مع الصحفية الأمريكية اليهودية الصهيونية بيتى جيفريس ديمبى لكى تأخذ معها إلى القاهرة فيلمه الأمريكى (الساحر) ليعرض فى المهرجان .

وتكون الوفد الاسرائيلى من ثمانية أشخاص هم الممثل أهارون أمبالى والصحفيون دان فينارو وزوجته وتاى كوللر واتير جلتيز ، بالاضافة إلى أيدى سوفر وليون تامان وأوربت كوبر من شركة (جيروز أليم ستديوس) وتوجهوا إلى أثينا للحصول على تأشيرات الدخول من السفارة المصرية . وهناك قال لهم السفير أنه لا يعلم شيئا عن هذا الموضوع وليست لديه أوامر بمنحهم تأشيرات دخول . أبرزوا له الدعوات ، فقال أنها دعوات غير حكومية من الجمعية الخاصة التى تقيم المهرجان ، واخيرا أقترح عليهم السفير التوجه إلى القاهرة ، ومحاولة الحصول على تأشيرات الدخول من المطار .

وفى مطار القاهرة كانت بيتى جيفريس ديمبى تصل من نيويورك ومعها فيلم (الساحر) وفى الوقت نفسه كان الوفد الاسرائيلى يصل من أثينا بدون تأشيرات دخول . وفوجئ ضباط المطار بالوفد ، كما فوجئ مأمور الجمارك بالفيلم ، فرفضت الجمارك دخوله حتى تطلبه الرقابة . ولم تطلب الرقابة الفيلم لأنه بلا موزع له ، وبلا حقيبه دبلوماسية ، فعاد الفيلم إلى نيويورك ، واتصل ضباط المطار بوزارة الداخلية التى اتصلت بادارة المهرجان ، وتم انقاذ الموقف بأذن خاص ، ودخل أول وفد ثقافى

اسرائيلى إلى القاهرة .

حضر الوفد الاسرائيلى حفل افتتاح المهرجان ، وكانت اليزابيث تايلور تجلس بين السفير الأمريكى بالقاهرة الفريد أثرتون والممثل الاسرائيلى أهارون امبالى . وعندما صفق لها جمهور الحاضرين وهى تصعد على المسرح هتفت بالعبرية (شالوم) .

ورغم الشالوم فقد لاحظ الوفد الاسرائيلى أن أحدا لم يشر إلى وجود وفد من اسرائيل فى الافتتاح ، ولا فى الصحف المصرية فى الايام التالية ، ومرت الأيام ، ولاشئ يحدث . وكما قال أحد أعضاء الوفد لصحفى مصرى : المصريون فى غاية اللطف فى التليفون ، وحتى نحصل على موعد ، ولكنهم فى اليوم التالى لا يأتون ابدا فى الموعد ، ونظل ننتظر طوال النهار فى (شيراتون) .

وفى أحد أيام المهرجان أتصل أحد أعضاء الوفد بيوسف شاهين فى مكتبه تليفونيا : عرض عليه شراء فيلم (اسكندرية ليه . .) فاعتذر ، ثم عرض عليه العمل على توزيع الفيلم عالميا عن طريق شركة وارنر فاعتذر ، ثم عرض عليه الدخول فى انتاج مشترك ، فاعتذر ، وأخيرا عرض عليه أن يلتقى به فى مكتبه ، فاعتذر ، وهنا قال له الاسرائيلى : اننا لم نحضر فى الخفاء ، وانما بدعوة رسمية من مهرجان القاهرة ، فرد عليه يوسف شاهين قائلا : أنه لا علاقة له بهذا المهرجان [٢] .

وفى يوم السبت ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٩ عثر الوفد الاسرائيلى على دعوات موجهه إلى كل الصحفيين فى المهرجان ما عدا الصحفيين

الاسرائيليين لحضور الندوة الاسبوعية لجمعية نقاد السينما المصريين يوم الأحد ، والتى خصصت لمناقشة المهرجان ، فقال أحد أعضاء الوفد لمن يوزع الدعوات : أننا هنا لا نمثل الحكومة الاسرائيلية وإنما نحن وفد ثقافى شعبى ، فلماذا نعامل وكأننا نمثل الحكومة الاسرائيلية ، ورد عليه الناقد عضو الجمعية الذى كان يوزع الدعوات ، اننا نرفض الاحتلال ولايوجد فى مصر مواطن واحد يوافق على احتلال فلسطين واجزاء من مصر وسوريا والاردن ؟ .

وجاءت الدعوة الأولى للوفد الاسرائيلى يوم الاثنين بمبادرة من الدكتورة ليلى أبوسيف .

اتصلت الدكتوره ليلى أبو سيف بالاستاذ أحمد الحضرى مدير المركز القومى للثقافة السينمائية وأحد مؤسسى جمعية نقاد السينما ، وهى غير الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما ، وأخبرته أنها وجهت الدعوة إلى الوفد الاسرائيلى لمشاهدة فيلمها التسجيلى (أين حريتى) فى مقر المركز . فرد عليها الحضرى بأنه لا يستطيع استقبال هذا الوفد ، ولا عرض أى فيلم حتى يجلو الجيش الاسرائيلى عن أراضى مصر على الأقل [٣] .

وفى يوم الثلاثاء تردد أن ختام المهرجان سوف يشهد عرض أول فيلم اسرائيلى فى مصر . وبالفعل عرض فى الساعة الثامنه مساء يوم الاربعاء ٢٦ سبتمبر عام ١٩٧٩ فى سينما فندق شيراتون فيلم (ساخنه جدا إلى درجة يصعب السيطره عليها) ، وهو أنتاج كندى اسرائيلى مشترك اخراج الاسرائيلى دون ستين ، وتمثيل الاسرائيلى أهارون أمبالى

النجم الخفى لمهرجان القاهرة .

وفتحت القاعة للجمهور بسعر ثلاثة جنيهات للتذكرة الواحدة أى خمسة أضعاف متوسط التذكرة فى دور السينما العادية ، وامتلأت الصالة عن آخرها بحثالة شيراتون وكباريهات شارع الهرم وسماسرة السوق السوداء . وذلك لسبب واحد فقط . ان الفيلم من الافلام الجنسية (البورنو) التى لايسمح بعرضها فى مصر - وهكذا بدأ تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل فى مجال السينما بداية جنسية .

وفيلم (ساخنه جدا إلى درجة يصعب السيطرة عليها) عرض دون موافقة الرقابة على المصنفات الفنية فى القاهرة ، التى صرح مديرها بأن من الممكن عرض الفيلم فى عرض خاص على النقاد والسينمائيين دون فتح القاعة للجمهور ، وبدون بيع تذاكر . وقد عرض الفيلم بفضل حماس المنتج والموزع تاكفور انطونيان الذى عين مرافقا للوفد الاسرائيلى من قبل المهرجان .

وقد أصر مدير الرقابة المستشار سامى الزقزوق على مراقبة أفلام المهرجان حتى لا تتحول دور عرض مهرجان القاهرة إلى دور للدعارة بتذاكر ، وأكثر من ذلك قام بحذف أغنيه تمجد اسرائيل من الفيلم الايطالى الصهيونى "حديقة فينزى كونتينى" اخراج فيتوريودى سيكا ، والذى عرض فى المهرجان فاتحا ابواب القاهرة للسينما الصهيونية . وفى اليوم التالى لعرض الفيلم محذوفا منه هذه الأغنية ، نشر أصحاب المهرجان فى ابوابهم بالصحف أن مدير الرقابة حذف أغنية السلام من

الفيلم ، وأن منتجه أرثر كوهين قدم نسخه كامله منه هدية إلى الرئيس السادات .

سيناء ١٩٧٣

تضمن الخبر الذى نشرته مجله (أكتوبر) يوم ٣٠ سبتمبر عام ١٩٧٩ أول اشارة إلى مشروع فيلم (سيناء ١٩٧٣) المصرى الاسرائيلى المشترك .

جاء فى الخبر (ضمن وفد يضم ثمانية من الاسرائيليين ، زارت مصر الصحفية جوان بيروستن - بجريدة جيروز اليم بوست لتغطية مهرجان القاهرة السينمائى . صرحت جوان أنها زارت مصر فى مايو الماضى ، وأجرت مقابلة صحيفية مع السيدة جيهان السادات وفى هذه الزيارة أيضا التقت مع الممثل المصرى محمود قابيل الذى يعمل بشركة ايمكو للسياحه ، وقد حكى لها قصة لقائه مع أسير اسرائيلى أسمه يائير ، وأنه لا يعرف سوى أسمه وأنهما اتفقا على اللقاء اذا تحقق السلام بين مصر واسرائيل . ونشرت جوان هذه القصه وأتصل بها الجندى الاسرائيلي الاسير يائير يوراك ، ووجه الدعوة لمحمود قابيل لزيارة اسرائيل بعد اسبوعين . وقد التقى قابيل فى مهرجان القاهرة السينمائى بالمنتج الاسرائيلى أيدى سوفر الذى قرر أنتاج لقاء قابيل - يورك فى فيلم تسجيلى)[٤] .

ولكن يبدو أن الفيلم التسجيلى تحول إلى فيلم روائى ، ففى يوم الأحد ١٣ يناير عام ١٩٨٠ نشرت مجلة (أكتوبر) تحت عنوان (الحب

والحرب فى أول فيلم مصرى اسرائيلى مشترك) المقال التالى ونحن ننقله بنصه رغم ركاكته :

(لماذا يعطى الكبار أنفسهم الحق فى التحكم فى مصير جيلنا ؟ كان هذا هو السؤال . أول سؤال ردده ديفيد الطيار الاسرائيلى الذى وقع فى أسر محمود قابيل الضابط المصرى الشاب فى حرب ١٩٧٣ ومن الاحساس بالمصير المشترك وسط الصحراء وبعد حديث السياسة ، كان حديث البشر . الانسان محمود قابيل ، والانسان ديفيد بكل ما فى داخل كل منهما من حب للأهل . والزوجه ، لقد فرقت بينهما الحرب ، فرفع كل منهما السلاح فى وجه الآخر ، والآن ، وتحت شمس الصحراء نهارا ، وبرد الليل ، اكتشفا أن هناك عوامل كثيرة تجمع بينهما . ديفيد ترك زوجته الحبيبة شيرلى . وأبنه . الصغير ، وقابيل ودع زوجته ياسمينه ، وهى فى انتظارحادث سعيد . ترى هل سيرزق بمولود ذكر أم أنثى ؟ لا بأس بأيهما ولكن ترى هل يعود ليرى طفله ؟

ان آخر ما سمعه قابيل من زوجته تلك العبارة التى تمتمت بها من بين دموعها (لابد أن تعود . . أننى أنتظرك ومعى أبنى . . أننا أثنان فى أنتظارك الآن) . لابد أن تعود قالها قابيل ، وقالها ديفيد لابد أن تعود للحب للسلام للأبن ، للبناء . . تحدثا كثيرا وسارا كثيرا . وسقطا من الاعياء ، وناما ، ولم يعرف قابيل كم من الوقت نام ، ولكنه عندما استيقظ كان سلاحه قد أنتقل إلى يد ديفيد . وسمع قابيل صوت ديفيد يصرخ : لا تتحرك ، وتحرك أصبع ديفيد وأنطلق الرصاص ، وتكلم ديفيد الآن

تحرك .

وتحرك قابيل ، ونظر إلى المكان الذى استقرت فيه الرصاصات ، فاذا هى تستقر فى حيه قاتله اذن . . لقد انقذه ديفيد من الموت ، وتحركت شفاه قابيل بالسؤال : – ولكن لماذا ؟ حتى تعود لزوجتك ، وتعرف هل أنجبت ذكر أم أنثى . وأعاد ديفيد لقابيل سلاحه . هذه القصه من تأليف الضابط المصرى الشاب محمود قابيل . قصة معظم أحداثها دارت فوق رمال سيناء لتكون أول فيلم مصرى اسرائيلى يسجل الحرب والسلام) (٥) .

وفى يوم الأحد ٣ فبراير عام ١٩٨٠ نشرت مجلة (أكتوبر أن الفيلم سوف يطلق عليه اسم (سيناء ١٩٧٣) . وأن محمود قابيل سوف يمثل دوره فى الحقيقة . أما دور الاسرائيلى فسوف يقوم به الممثل الامريكى المعروف دستين هوفمان .

جسر على السويس

نشرت مجلة "فارايتى" الأمريكية يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ تحت عنوان "المصريون والاسرائيليون والامريكيون ينتجون فيلما "عن حرب ١٩٧٣ الخبر التالى من القاهرة :

"عندما كان المصريون يخططون لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ كان الرئيس السادات وحده ، وثلاثة أشخاص أخرون يعرفون كل شئ عن هذه الحرب . قائد العمليات للقوات المسلحة احتفظ بكل الخطط فى دفتر

ملاحظات صغير في جيبه . المعارك سوف تعاد مره أخرى على الشاشة بواسطة المصريين والاسرائيليين والامريكيين ، والمشروع محاط بسرية ربما تفوق سرية الحرب ذاتها . المنتجون الاسرائيليون هنا فى القاهرة للتفاوض مع شركائهم حول فريق الممثلين ، وحول تمويل الفيلم الذى يتكلف ١٢ مليون دولار .

سنيمائى اسرائيلى رفض نشر أسمه قال أن المنتج الاسرائيلى أيدى سوفر فى القاهرة للتفاوض مع المنتج المصرى غير المعلن أسمه الذى وقع معه عقدا فى مايو ١٩٧٩ . أيدى سوفر هو أحد ملاك "جيروزاليم كابيتال ستديوس" ، وقد جاء إلى القاهرة مع رجل الصناعة الايطالى ليون تامان ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين فى أبريل عام ١٩٧٩ ليرى كيف تستقبل الفكره فى مصر .

المصريون والاسرائيليون يختلفون حول أسماء المعارك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، كما لا يتفقون حول من الذى انتصر أخيرا فى هذه الحرب . وحتى لا تعطل هذه الخلافات سير الانتاج ، سوف تكون نهاية الفيلم "مفتوحة" . وكما قال المصدر "أن الفكره المراد اظهارها هى لا جدوى الحرب ، وأن كلا الجانبين قد خسرا فى الواقع أرواحا ومعدات واموالا" .

تم اختيار كاتب سيناريو ومخرج ومنتج منفذ من الامريكان وقال المصدر أن المنتج المنفذ هو مارتين ناول الذى كان مساعدا فى أنتاج فيلم (الاسد فى الشتاء) وستكون له الكلمة الحاسمة بين الطرفين المصرى

والاسرائيلى المشتركين فى الانتاج .

من المقـرر أن يكون السـيناريو مـعدا فى أبريل . عـقب تبـادل العـلاقات الدبيلوماسـية بين مـصـر واسـرائيل بناء على المعاهدة المصرية الاسرائيلية التى وقعت فى مارس ١٩٧٩ .

دان فينارو رئيس جمعية نقاد السينما الاسرائيلى وهو الآن فى القـاهرة قـال أنه مـتـأثر بالخطوات المبكرة لأنهـاء مـقـاطعـة اسـرائيل والمناصرين لها منذ ٤٨ وقال : (قائمة المقاطعة كانت عبثية ، ولم تكن حتى تتمـيز بالدقـه . أننى لا أستطيع الا أن أبارك هذه المبـادرة وآمل أن تضع نهاية لها) .

وكـانت أول أشاره إلى هـذا الفـيلم فى خبـر قـصـيـر نشـرته وكـالة الانباء الفرنسية فى سبتمبر ١٩٧٩ أثناء مـهرجان القاهرة السينمائى ، وجاء فيه أن الجانب المصرى هو شركة آمون فيلم .

وشـركـة آمـون هى شـركـة المنتج فـوزى عـامـر الذى سـبق وأنتج "الصـعود إلى الهاويه" اخراج كمال الشيخ بمساعدة المخابرات المصرية رسميا عن حرب الجاسوسية بين مصر واسرائيل قبل حرب أكتوبر . وقد التقى فوزى عامر مع الوفد الاسرائيلى فى مـهرجان كان مـايو ١٩٧٣ . ، وعرض على الوفد فيلم "الصـعود إلى الهاوية" فى عرض خـاص بحضـور المخـرج وكـاتب السـيناريو مـاهر عبـد الحـمـيـد ، وكـان رد فـعل الوفـد الاسـرائيلى سلبيا تماما تجاه الفيلم ، وخاصة شـخـصـية اليـهـودى التى مثلها جميل راتب .

ومرت الايام ، وبدا أن المشروع يتعرض للرفض ، فقد صرح الفريق أحمد بدوى رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية فى جريدة (الشرق الأوسط) بأن خبر فارايتى غير صحيح ، وصرح سعد الدين وهبه رئيس اتحاد النقابات الفنية بأن مثل هذا المشروع لن يمر .

وفى ٢٠ يناير عام ١٩٨٠ ، نشرت الصحف المصرية اليومية الخبر التالى ، وننقل نصه عن جريدة الاهرام (استقبل الرئيس أنور السادات أمس الدكتور رشاد رشدى . ومعه المخرج السينمائى أيدى سوفر والمنتج ليون تامان وهو رجال الاعمال . وعلم مندوب الاهرام أنهما ناقشا مع الرئيس الفيلم العالمى الذى يعدانه للانتاج عن حرب أكتوبر ومبادرة السلام ، والذى سيتولى بطولته الممثل العالمى انطونى كوين) .

وبينما لم تشر الصحف إلى جنسية الفيلم ، واكتفت بقول أنه (فيلم عالمى) نشرت صحيفة (الانباء) الاسرائيلية المنشورة بالعربية فى نفس اليوم تحت عنوان (الرئيس السادات يوافق على أنتاج اسرائيلى مصرى) الخبر التالى من القاهرة :

(قابل المليونير المعروف ليون تامان ، والمدير العام لشركة جيروزاليم كابيتال ستوديوس ، أيدى سوفر أمس ، الرئيس محمد أنور السادات وعرضا عليه مبادرة اسرائيلية مصرية أمريكية لأنتاج فيلم عن حرب يوم الغفران يتكلف ١٢ مليون دولار .

وقدصرحا فى نهاية الاجتماع أن الرئيس المصرى أيد فكرة انتاج هذا الفيلم وأعرب عن أمله فى أن يكون الفيلم الاسرائيلى المصرى

المشترك على غرار الفيلم المعروف دكتور جيفاجو . أو فيلم تمتزج فيه الوقائع مع القصه .

وأضافا أنه تفاديا للاختلاف فى وجهات النظر بين مصر واسرائيل حول مسألة من الذى انتصر فى حرب يوم الغفران ، فقد قرر أن يكون هذا الأمر دون جواب . والمعروف أن المليونير ليو تامان هو مصرى المولد ، ويعيش حاليا فى لندن) .

ونشرت نفس الجريدة (الانباء) يوم ٢٢ يناير ١٩٨٠ من القاهرة الخبر التالى : (قال المنتج الاسرائيلى أيدى سوفر أن الرئيس أنور السادات أبدى موافقته على اشتراك بعض وحدات الجيش المصرى فى فيلم مصرى اسرائيلى مشترك حول حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وقد التقى الرئيس السادات بأيدى سوفر يوم السبت الماضى . ووافق على مشروع الفيلم الذى تقدر تكاليفه المبدئيه باثنى عشر مليون دولار . ويشارك فى انتاج أول فيلم مصرى اسرائيلى الذى سيطلق عليه عنوان (جسر على السويس) المنتج مارتين ناول الذى فاز بجائزة الأوسكار عن فيلم الاسد فى الشتاء) .

وفى يوم الاربعاء ٢٣ يناير ١٩٨٠ قال الدكتور رشاد رشدى مقرر شعبه الفنون فى اجتماع الشعبة التابعة للمجلس القومى للثقافة التابع لرئاسة الجمهورية :

(إن الاسرائيليين رصدوا مبالغ ضخمه من المال لأنتاج مشترك بين مصر واسرائيل عن رسالة السلام ، ولقد عرضوا ١٢ مليون جنيه مبدئيا

لهذا الانتاج . واذا احتاج الامر أكثر من ذلك فلا مانع لأنهم يريدون توصيل رسالة السيد الرئيس ومبادرته عن السلام إلى جميع أنحاء العالم . أن المولين الاسرائيليين طلباتهم لا حصر لها . وعن التبادل الثقافى يريدون أن يتبادلوا معنا المعارض والمسارح . . . إلى آخر ولديهم سيناريست ممتازين .

ولقد قال لى أحد المصورين الاسرائيليين أنه يريد تصوير مصر لأول مرة . وقال أنه عندما زار مصر وجدها غير ما تصورها وقال أنه رأى مظاهر الحضارة والتقدم ، وأنبهر ، وطلب اعطاءه فرصه لكى يصور مصر بواقعها ، ولا مانع من أن تصور بجانبها اسرائيل . ويعرض ذلك على العالم . الاسرائيليين سوف يقومون بهذا ، وهم فى ذلك يرجوننا . ولكن نحن نؤجل إلى حين تطبيع العلاقات . أن تطبيع العلاقات لا يأتى الا عن طريق الفن والثقافة) [٦] .

ويعبر الدكتور رشاد رشدى فى حديثه بدقة عن وجهة النظر الرسمية المصرية تجاه اسرائيل . فهو يرى أن تطبيع العلاقات لا يأتى الا عن طريق الفن والثقافة . وهذا ما يؤكد صحة التحليل الذى قامت على أساسه عدة لجان وطنية للدفاع عن الثقافة العربية ، وفضح الثقافة الصنهيونية اذا كان ثمة ما يمكن أن نعتبره ثقافة صهيونية . وهو التحليل الذى يرى أن خط الهجوم الأول على مصر اليوم هو ثقافى بالمعنى الشامل لكلمة الثقافة .

ومن ناحية أخرى يعبر الدكتور فى حديثه عن فهم الاسرائيليين

وتطلعهم إلى التهام مصر بأعنف وأسرع وأقصر الطريق فى قوله (وان المولين الاسرائيليين طلباتهم لا حصر لها) . كما يعبر عن وجهة نظرهم العنصرية تجاه مصر فى حديثه عن المصور الاسرائيلى الذى انبهر لما رأى مظاهر التقدم والحضارة فى مصر . كما يعبر الدكتور اخيرا عن ضيقه من الذين يؤجلون المشروعات الاسرائيلية ويقصد أجهزة وزارة الثقافة والاعلام . وبالطبع فأن الدكتور رشاد رشدى الأستاذ الجامعى السابق . والمناضل المتطرف السابق الذى طالب بمنع تدريس الادب الامريكى فى الجامعات المصرية بعد حرب يونيو على صفحات (الاهرام) سعيد بطلبات الاسرائيليين التى لا حصر لها ، وسعيد باعجابهم بمظاهر التقدم والحضارة فى مصر .

وبينما خجلت الصحف المصرية من نشر ما نشرته صحف اسرائيل حول فيلم (جسر على السويس) احتراما لشهداء حرب أكتوبر على الأقل لم تستح مجله (أكتوبر) . ونشرت يوم ٢٧ يناير عام ١٩٨٠ الخبر التالى (ذهب المنتج والمخرج الاسرائيليان للقاء الرئيس السادات ليعرضا عليه فكرة عمل فيلم عن حرب أكتوبر . وأختار له أسم (جسر على قناة السويس) .

ولاحظ المخرج والمنتج أن الرئيس السادات معجب بفيلم دكتور جيفاجو وأنه يميل إلى أن يكون هذا الفيلم تسجيليا . ثم أنه معجب بالفيلم الذى أخرج عن موقعه بيرل هاربور ، وكان الفيلم يروى الاحداث يوما بيوم ، وحتى يكون الفيلم مقبولا من الجميع . فلن يتعرض لمن انهزم أو

أنتصر فى هذه المعركة الكبرى ويكفى أن يشعر الطرفان فى أكبر مباراة بأحدث الاسلحة بالتعادل) .

وهكذا . وكما بدأت أمريكا بعقد الصلح بين اسرائيل وبين أكبر الدول العربية . بدأت اسرائيل هجومها الثقافى على مصر بتشوية حرب أكتوبر . وهى أعز ما يملك النظام فى مصر . والموافقة على أنتاج هذا الفيلم تتجاوز السينما . وتعتبر أعلان سياسى رسمى بأن حرب أكتوبر كانت (بلا جدوى) كما تريد اسرائيل أن تصورها للعالم بواسطة أهم وسائل الاتصال بالجماهير .

لقد كنا نتصور أن تبدأ اسرائيل مع مصر سينمائيا بقصة حب بلهاء عن اسرائيلى ومصرية . أو مصرى واسرائيلية أو تبدأ بالحديث عن تفوق اسرائيل التكنولوچى وتخلف مصر ، أو على تعبير المصور الاسرائيلى فى حديث الدكتور رشاد رشدى أنه اكتشف أن فى مصر مظاهر للتقدم والحضارة ، ولكن أن تبدأ اسرائيل بحرب أكتوبر ، فهذا مالم يتوقعه أكثر الناس مغالاة ، ولكن يبدوان علينا أن نفقد القدرة على الدهشة هذه الأيام .

وقد نشرت (فارايتى) يوم ١٣ فبراير عام ١٩٨٠ لقاء الرئيس السادات مع أيدى سوفر وليون تامان . ولكن "فارايتى" أشارت إلى أن المنتج الامريكى مارتين ناول كذب ماسبق نشره فى فارايتى عن اشتراكه فى الفيلم وقال أن ماجاء من تل أبيب (معلومات غير دقيقه وقبل أوانها) . وجاء فى نفس الخبر أن كاتب السيناريو الامريكى هارولد ليفينجستون

انتهى من كتابة معالجة الفيلم . ويأمل أن ينتهى من السيناريو فى ابريل وذلك رغم أن سوفر وتامان لم يتأكدا بعد من المنتج المصرى الذى سيتعاون معهما فى انتاج الفيلم .

وأطرف ما فى القصة المحزنة أن المنتج أيدى سوفر الذى وصفته الصحافة المصرية بأنه (منتج عالمى) لم ينتج من قبل ولا فيلم واحد داخل بلاده أو خارجها . ومعلوماتنا عن هذا الشخص من واقع ما نشرته مجلة مركز الفيلم الاسرائيلية فى مايو ١٩٧٩ حيث قالت أن ايدى سوفر صحفى شاب كان يعمل فى التليفزيون الاسرائيلى وأنه أسس شركة انتاج بالتعاون مع الممول ليون تامان ، وفى خطته أنتاج أفلام قصيرة وطويلة ، اسرائيلية ومشتركة .

وفى ٣٠ أبريل ١٩٨٠ نشرت "فارايتى" أن المنتج الامريكى مارتين ناول قرر أن يعقد مؤتمرا صحفياً فى نيويورك فى نفس اليوم للاعلان عن أول أنتاج مصرى - اسرائيلى مشترك ، وهو فيلم "جسر على السويس" . وقالت المجلة أن من المقرر أن يحضر هذا المؤتمر الجنرال موشيه دايان ، والدكتور رشاد رشدى مستشار الرئيس السادات ، والسفيران المصرى والاسرائيلى فى واشنطون وكاتب السيناريو هارولد ليفينجستون .

ولكن المؤتمر الصحفى عقد بحضور المنتج الامريكى مارتين ناول والمنتج الاسرائيلى ايدى سوفر فقط ، اذ استقال سايروس فانس وزير الخارجية الامريكى فى نفس اليوم ، وتعذر على السفيرين ودايان ورشاد رشدى حضور المؤتمر .

وفى أول مـايو ١٩٨٠ ابرقت وكالة يونيتـدبرس من نيـويورك ببرقـية عن المؤتمر قالت فيـها أن سيناريو فيلم "جسر على السويس" سوف يحصل على مـوافـقـة الرئيس السـادات ورئيس الوزراء شـخـصيـا قـبل البدء فى تصويره ، وأن الرئيس السادات سوف يلقى كلمة فى بداية الفيلم ، وسوف يقدم مـذكراته الشـخـصـيـة عن الحـرب ، ووثائق لم تنشـر من قـبل لكاتب السيناريو وأن الجـيـشين المصرى والاسـرائيلى ، سـوف يقـدمان الافـراد والمعدات اللازمين لاعادة تصـوير حرب يوم الغفران عـام ١٩٧٣ ، واخيرا أن تصوير الفيلم سوف يبدأ أوائل عام ١٩٨١ .

وجاء فى برقية لوكالة الاسوشيـتدبرس فى نفس اليوم عن نفس الموضـوع أن فـيلم "جـسـر على السـويس" سـيكون أول تعـاون ثقـافى بين مـصـر واسـرائيل رغم أن حكومـتى البلدين لن تشـاركـا فى التـمـويل ، ولن تفـرض أى رقـابة من أى نوع على الفـيلم . وجـاء فى البـرقـيـة أن مـارتين ناول الذى سينتج الفيلم مع أيدى سوفر وليون تامان صرح بأن الياهو بن اليسار سفير اسرائيل فى مصر قال أن الموضـوع صـعب جدا لأن كلا من مصر واسرائيل تعتبر أنها انتصرت فى الحرب .

وذكرت وكالة الانبـاء الفرنسـيـة فى نفس اليوم عن نفس الموضـوع أن فريق الممثلين والممثلات فى فيلم "جسر على السـويس" لم يتم اختيـاره بعد ، ولكنه كما قـال مـارتين ناول سيكون فريقـا دوليا من مصـر واسـرائيل وأوروبا وأمريكا . وفى ٧ مـايو ١٩٨٠ نشرت "فارايتى" أن فيلم "جسر على السـويس" سـوف يبـدأ تصـويره فى ديسمـبـر ١٩٨٠ فى مـصـر واسـرائيل

وباريس ، وأنه حتى الآن لم يعلن عن اسم الشركة المصرية التى تشترك فى الانتاج .

فى العدد الأول من مجلة "السينما العربية" الصادر فى القاهرة فى أكتوبر ١٩٧٩ صدر البيان التالى : -

(أن مشروع الفيلم المصرى الاسرائيلى الامريكى عن حرب أكتوبر يعبر عن المفهوم الاسرائيلى الصهيونى للسلام . فحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ لم تثبت عدم جدوى الحرب ، ولم يخسر فيها الجانبان ، وانما كسب الجانب العربى ، واستعاد قناة السويس وحطم نظرية الأمن الاسرائيلية ، وأسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يهزم . وعلى أية حال . فحتى الآن ، لم تدخل المانيا فى أنتاج مشترك مع الحلفاء عن الحرب العالمية الثانية) .

واستطرد البيان (أن من شأن هذا الفيلم المساهمه فى ترويج تلك الفكرة السخيفة التى تقول أن حرب أكتوبر كانت (تمثيلية) . والقول بأن الجانب الأمريكى سوف تكون له الكلمة الحاسمة فى هذا الانتاج المشترك يساهم أيضا فى الترويج بأن أمريكا كانت صاحبة الكلمة الحاسمة فى هذه الحرب . بينما الواقع أن صاحب الكلمة الحاسمة كان الجندى العربى المصرى الذى عبر قناة السويس ، والسورى الذى أقتحم مرتفعات الجولان والعراقى الذى دافع مستبسلا عن دمشق) .

وأختتمت مجلة (السينما العربية بيانها قائلة : (ولذلك كله وانطلاقا من بيان جمعية نقاد السينما المصريين فى السادس من أبريل ١٩٧٩ . تقف (السينما العربية) ضد هذا المشروع الصهيونى الامبريالى . وتدعو

النقابات الفنية ، والجمعيات الثقافية لرفضه ، وادانته ، ومقاطعته) .
وتعليقا على تصريح رئيس جمعية نقاد السينما الاسرائيليين قال البيان :
(أما حديث فينارو عن المقاطعة ، فنحن نقول أن المقاطعة لم تكن عبثية ولن تكون عبثية ، وأن انهائها في مصر لا يعني أن النقاد المصريين سوف يقفون مكتوفي الايدي أمام الصهيونية ، وأنما سوف يعملون على مقاطعتها ، وكشفها، كما كانوا يفعلون دائما ازاء الافلام الفاشية العنصرية أيا كان مصدرها) .

حب الغرباء

وفي عدد ٢٠ فبراير عام ١٩٨٠ نشرت فارايتي تصريحا للمنتج الاسرائيلي روني ياكوف أنه يعد لمشروع فيلم مشترك اسرائيلي - مصري باسم "حب الغرباء" سوف يجرى تصويره في تل أبيب والقاهرة وباريس ، وعلى صعيد السينما التسجلية حاولت شركة يونيتد ستوديوس في اسرائيل أنتاج فيلم مشترك عن خروج اليهود من مصر بعنوان "ما بعد الخروج" . ولكن وزارة الثقافة والاعلام رفضت المشروع الذي كان من المقرر انتاجه مع أحدى شركات التليفزيون في المانيا الاتحادية . استناد إلى رفض علماء هيئة الآثار لما جاء في مشروع الفيلم من تزييف للحقائق التاريخية .

وفي ٤ يونيو ١٩٨٠ نشرت "فارايتي" أن المنتج اليهودي فيكتور ستولوف سوف يعود إلى مصر بعد أن هاجر منها عام ١٩٣٩ ، وذلك

لتصوير فيلم طويل يكتبه توفيق الحكيم . وكان آخر فيلم أنتجه ستولوف بعنوان "الخلاص" اخراج ستانلى كرامر وسيناريو أبى مان عن معاناه اليهود فى معسكرات الاعتقال النازية .

كامب ديفيد السينما

وفى الفترة من ١٥ إلى ٢٢ يونيو ١٩٨٠ عقد فى مدنية فيتيل الفرنسية أسبوع سينمائى نظمه نادى البحر المتوسط تحت عنوان سينما البحر المتوسط ، ولكنه فى الواقع لم يكن غير "كامب ديفيد السينما" كما أطلق عليه آموس أربل مندوب التليفزيون الاسرائيلى حسب "فارايتى" فى ٢ يوليو ١٩٨٠ .

ونادى البحر المتوسط منظمة صهيونية تمولها أسرتى روتشيلد وتريجانو . ومن المعروف أن الهدف الرئيسى من الترويج لفكرة أن هناك حضاره تسمى حضارة البحر المتوسط هو قبول اسرائيل فى الوطن العربى ، وتلك هى النتيجة الطبيعية لفصل الجغرافيا عن التاريخ .

وقد شارك فى " كامب ديفيد السينما " أرشيف الفيلم الجزائرى بـ ١١ فيلما عربيا ويوسف شاهين بـ ٥ من أفلامة ، وشادى عبد السلام بـ ٤ أفلام من أنتاج مركز الفيلم التجريبى . وفى البرنامج الرسمى شاركت المغرب بثلاثة أفلام وتونس بفيلمين والجزائر بفيلم واحد واسرائيل بـ ٢ أفلام طويلة و٣ أفلام قصيره .

الصمت المحطم

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٨٠ نشرت "فارايتى" "أن أبى مان وصل إلى تل أبيب لدراسة مشروع السيناريو الذى يكتبه بعنوان "الصمت المحطم" ، والذى ينتجه زانوك وبراون لشركة فوكس للقرن العشرين ، ومن المقرر تصوير فى مصر واسرائيل عام ١٩٨١ . وقالت "فارايتى" أن الفيلم يدور حول قصة إيلى كوهين أشهر جواسيس اسرائيل لدى العرب ، والذى وصل إلى أعلى المناصب فى سوريا ، وقبض عليه وتم اعدامه منذ حوالى عشرين سنه .

هوامـش :

١ - موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤) جاء فى موسوعه المفاهيم الصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيرى أن موسى بن ميمون مفكر عربي يعتنق اليهودية . ولد فى قرطبه بالاندلس وقد اضطر للهجره إلى فلسطين . ولكنه لم يستقر فيها . واتقا استقر فى الاسكندرية والفسطاط ، حيث كان يعمل طبيبا خاصا لنور الدين على أكبر أبناء صلاح الدين الايوبى . وقد الف بن ميمون معظم كتبه أثناء أقامته بالقاهرة . ويقول الدكتور المسيرى (ولا ندرى حتى الآن مدى أهمية موسى بن ميمون وكانته فى الفكر العربى فى عصره . فابن رشد أهم فلاسفة وعلماء عصره لم يسمع عنه ولم يقرأ أيا من كتبه ، كما لم يسمع أحد عن بن ميمون فى الحوار الفلسفى الذى دار فى عصره ، ولا ندرى أن كان هذا يرجع إلى أن فكربن ميمون ليس فيه أصاله ، أم إلى أن الثقافة العربية اليهودية فى الاندلس كانت ثقافة تابعة للحضارة الأم لدرجة كبيرة) .

٢ - من الجدير بالذكر أن جمعية نقاد السينما المصريين قد عملت على فضح حقيقة هذا المهرجان الذى

أقامته الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما التى تأسست عام ١٩٧٤ منذ دورته الأولى عام ١٩٧٦ من حيث علاقته بفندق شيراتون ، وعلاقة فندق شيراتون بشركة الاى تى تى السيئة السمعه التى كانت وراء الانقلاب الفاشى فى شيلى عام ١٩٧٣ . وقد قاطعت جمعية نقاد السينما المصريين المهرجان ، وأقامت عدة ندوات . وأصدرت عدة بيانات ، لكشف حقيقته منذ عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٧٩ .

٣ – عرض الفيلم الأول الذى أخرجته الدكتوره ليلى أبو سيف ، وهو فيلم (أين حريتى) عرضه العالمى الأول فى مهرجان الشرق الأوسط فى نيويورك فى يونيو عام ١٩٧٨ . وهو مهرجان صهيونى نظمته جماعة ممن يطلقون على أنفسهم (اليسار الصهيونى) .

٤ – شركة ايمكو للسياحة التى يعمل بها محمود قابيل هى التى تتولى السياحة بين مصر واسرائيل بعد تطبيع العلاقات .

٥ – من الجدير بالذكر أن محمود قابيل – وهو ممثل ناشئ لم يشترك فى حرب ١٩٧٣ . وانما كان ضابطا فى حرب ١٩٦٧ ، وطرد من الخدمة بعد الحرب لاسباب غير معروفة بدقة .

٦ – نص حديث الدكتور رشاد رشدى منقول عن صفحة ٧ من المحضر الرسمى لاجتماع شعبه الفنون المشار اليه .

التطبيع ٨١

نصت الفقرة الثالثة من المادة الأولى ، من المعاهده المصرية الاسرائيلية التى وقعت فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ على أن يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) . ونصت هذه الفقرة على أن يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن العلاقات الثقافية .

ونصت المادة الثالثة ، من الملحق الثالث ، تحت عنوان العلاقات الثقافية على أن يتفق الطرفان على أقامة علاقات ثقافية عادية بعد اتمام الانسحاب المرحلى . وعلى أن يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافى فى كافة الميادين أمر مرغوب فيه ، وعلى أن يدخلا فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن ، وفى موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد اتمام الانسحاب المرحلى بغية عقد اتفاق ثقافى .

وتتكون الاتفاقية الثقافية بين الحكومة المصرية والحكومة الاسرائيلية من ثمانية مواد هى : -

المادة الأولى : يشجع الطرفان التعاون فى المجالات الثقافية والعلمية والفنية طبق القواعد والقوانين السارية لدى كل منها .

المادة الثانية : يشجع الطرفان الاتصالات وتبادل زيارات الخبراء فى المجالات الثقافية والفنية والتكنيكية والعلمية والطبية بالشروط التى يتفق عليها طبق القوانين .

المادة الثالثة : يسعى الطرفان إلى فهم أفضل لحضارة وثقافة كل طرف من خلال الوسائل الآتية : -

١ - تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية

٢ - تبادل المنتجات التكنيكية والاثرية

٣ - تبادل الاعمال الفنية ، وتشجيع أقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض الفنون البصرية .

٤ - تبادل برامج الاذاعة والتليفزيون والتسجيلات والافلام الثقافية والعلمية

المادة الرابعة : يسهل كل طرف زيارات العلماء والدارسين والباحثين فى الدولة الأخرى إلى المتاحف والمكتبات والمؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية والتكنيكية الموجودة لدى الطرف الآخر .

المادة الخامسة : يتفق الطرفان على عمل بروتوكول خاص يتناول المتطلبات الضرورية لمعادلة الشهادات والدرجات التى تمنحها المؤسسات التعليمية لدى الطرفين .

المادة السادسة : يشجع الطرفان الانشطة الرياضية بين الشباب والمؤسسات الرياضية لدى الطرفين .

المادة السابعة : يعين الطرفان - لغرض تنفيذ الاتفاقية - ممثليهم لتبنى برامج تنفيذية دورية . على أن تتم الاجتماعات بالتناوب لدى كل طرف .

المادة الثامنة : تنفذ الاتفاقية بعد أن يعلن كل طرف الطرف الآخر بأنه قد تم تحقيق كل المتطلبات الدستورية . وتكون الاتفاقية سارية المفعول لمدة

خمسة اعوام ، وأن تجدد تلقائيا الا فى حالة انهائها من قبل أحد الطرفين كتابة ، وبشرط أن يتم الاعلان الكتابى قبل تاريخ انتهائها بستة أشهر .

ويتضمن التصور الاسرائيلى للعلاقات الثقافية الاسرائيلية " أن تحتوى التسوية على خطة تفصيلية لازالة المفاهيم المضادة المتعلقة بالاسرائيلين فى مصر ، وتنمية مفاهيم أخرى عكسية . وافساح المجال أمام حركة تبادل ثقافى . وتشمل الخطة الاسرائيلية التركيز على دور وسائل الاتصال الجماهيرى ، واعادة كتابة التاريخ ، ومراجعة التراث الاسلامى ، ولاسيما الصورة الخاصة باليهود فيه ، وابراز التفوق الاسرائيلى على الثقافة المصرية " (١)

ومن المعروف الحكومة الاسرائيلية قامت بطبع نسخة محرفة من القرآن الكريم ، حذفت منها كل الآيات التى تعبر عن سلبيات بنى اسرائيل .

وقد رصد الكونجرس الامريكى مبلغ خمسة ملايين دولار عام ١٩٨٠ للتعاون - الثقافى المصرى الاسرائيلى ، الا أن هذا المبلغ رحل إلى ميزانية العام التالى ، نتيجة لعدم تمكن هيئة التنمية الامريكية فى الولايات المتحدة الامريكية من انجاز مشروعات مشتركة بين مصر واسرائيل فى النطاق الثقافى " .

وسوف تتابع فى هذه الدراسة رصد محاولات تطبيع العلاقات الثقافية بين مصر واسرائيل فى الفترة من يناير إلى سبتمبر

عام ١٩٨١ .

- ٢ -

نشرت مجلة " أكتوبر " الاسبوعية ، والتى تعتبر أكثر الصحف المصرية اهتماما بتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل خبرين فى ١٨ يناير ١٩٨١ جاء فى الخبر الأول " قرر الرئيس الاسرائيلى اسحاق نافون أن يشرف على اعداد فيلم بالالوان عن زيارته لمصر . . وقد تلقى الرئيس الاسرائيلى صورا وافلاما تسجيلية من مصر ومن وكالات التليفزيون الاجنبية . وسوف يتولى بنفسه اختصار هذه المشاهد الطويلة أما زوجته أو فيرا نافون فستقوم بالتعليق على الفيلم باللغة الانجليزية " .

وجاء فى الخبر الثانى "يذاع يوم الخميس القادم ولمدة ٤٥ دقيقة فيلم تسجيلى فى التليفزيون الاسرائيلى عن " مذكرات جندى مصرى " هذه المذكرات عثروا عليها أثناء حرب أكتوبر . . بعض مشاهد الفيلم التقطت فى القاهرة والاسكندرية ، ومع بعض افراد اسرة الجندى المصرى "

وبينما تذكر بعض مصادر السفارة الاسرائيلية بالقاهرة أن هناك ٧ سينمائيين مصريين قاموا بزيارة اسرائيل سرا ، نشرت صحيفة "جيروزاليم بوست" الاسرائيلية فى ١٤ مارس ١٩٨٠ أن هناك سينمائى مصرى واحد زار اسرائيل ، وهو شيرين الخادم الذى هاجر من مصر عام ١٩٥٨ ، وعمل فى أوروبا وأمريكا وكندا ، وعاد إلى بلاده بعد زيارة الرئيس السادات لاسرائيل عام ١٩٧٧ . . وهو ليس عضوا فى نقابة

السينمائيين المصرين

وفى ٢١ مارس منحت الرقابة على المصنفات الفنية بالقاهرة أول تراخيص لستة أفلام اسرائيلية تسجيلية قصيرة لعرضها عروضا خاصة فى يوم اسرائيل بالجناح الاسرائيلى فى معرض القاهرة الدولى للصناعة والتجارة ، وهذه الافلام هى : -

١ - نحن نجعل الاشياء تنمو

٢ - أزياء ٧٧

٣ - الزراعة فى الثمانينات

٤ - الصناعة بالابيض والازرق (لونا العلم الاسرائيلى)

٥ - لماذا فى اسرائيل (عن الاستثمار فى اسرائيل)

٦ - الكيبوتز

وفى يوم ١٩ أبريل نشرت " أكتوبر " أن متحف تل أبيب قدم أول فيلم مصرى يعرض فى اسرائيل بعد اعلان تطبيع العلاقات ، وهو فيلم "المومياء" اخراج شادى عبد السلام ، وقد عرض الفيلم دون حضور مخرجه وبدون موافقته ، وحضر العرض سفير مصر فى اسرائيل .

ويبدو من خلال تصريحات بعض المسئولين فى الحكومة المصرية أن اسرائيل قد نجحت بالفعل فى الترويج للتفوق الاسرائيل الثقافى ، ولكن الواقع أن الفشل الصهيونى فى مصر على الصعيد الثقافى أمر واضح تماما . وكما كان الدكتور حسين فوزى هو الوحيد من كبار المثقفين المصريين الذى زار اسرائيل عام ١٩٨٠ ، كان أيضا هو الوحيد الذى

زارها عام ١٩٨١ . فقد نشرت مجلة أكتوبر فى ٢١ يونيو ١٩٨١ ما يلى :
" أقيمت ندوة عالمية بالقرب من القدس أول أمس اشترك فيها د . حسين فوزى . وكان موضوع الندوة : العلاقات المصرية وفلسطين من أوائل هذا القرن . وقد تحدث د . فوزى عن علاقاته التى نشأت مع يهود الاسكندرية . وقد شارك فى هذه الندوة الاستاذ دافيد ايالون الاستاذ بالجامعة العبرية ، والذى يعتبرونه اينشتين وفرويد العصر المملوكى نظرا لتخصصه وبراعته فى تاريخ هذا العصر . وقد ازعجه جدا - هذا ما قاله فى الندوة - أن وجد الرئيس جمال عبد الناصر قد وقع فى غلطة تاريخية فادحة وهو يتحدث عن المماليك فى كتابه فلسفة الثورة

والسينمائى الاسرائيلى الذى زار مصر عام ١٩٨١ هو المخرج والممثل بنيامين حاييم ؛ وقد حمل بنيامين حاييم ثلاث خطابات إلى من يهمه الأمر من جامعة تل أبيب ، ومن أرشيف الفيلم الاسرائيلى ، ومن رابطة مخرجى السينما والتليفزيون ، ولكن المسئولين فى نقابة السينمائيين والمعهد العالى للسينما والمركز القومى للسينما رفضوا حتى استلام هذه الخطابات . وحمل بنيامين حاييم معه عدة أفلام أخرجها فى نيويورك ، وفيلم كوميدى طويل عنوانه "الموزة السوداء" اخرجه فى اسرائيل . ولكنه لم يتمكن من عرض افلامه ، ووجد كل الابواب موصدة فى وجهة تماما .

وبنيامين حاييم ولد فى الهند لام من مواليد العراق ، ودرس فى الولايات المتحدة الامريكية ، ويحمل جواز سفر أمريكى إلى جانب جواز سفره الاسرائيلى . وعقب مباحثات السادات - بيجن فى

أغسطس نشرت جريدة "السفير" اللبنانية ، تقريرا عن المحادثات جاء فيه :

"أما فى مجال التطبيع الثقافى ، فقد أهتم بيجن بصفة خاصة بمجالين : -

أولا : تغيير مناهج التعليم على كل المستويات بحيث يختفى منها كل ما تعتبره اسرائيل من قبل الحض على كراهية اليهود واسرائيل ، أو على الالتزام بقضية الشعب الفلسطينى .

ثانيا : أن تلتزم مصر بعمل دوبلاج للأفلام السينمائية الاسرائيلية وعرضها على أوسع نطاق فى دور السينما المصرية . وقد تمسك بيجن بعملية الدوبلاج ، وعدم الاكتفاء بالترجمة على الشريط . وغنى عن البيان أن من شأن دبلجة الافلام حيث ينطلق الممثلون الاسرائيليون باللهجة العامية المصرية دعم التقارب بين الشعبين .

- ٣ -

بدت قضية تطبيع العلاقات الثقافية بيم مصر واسرائيل "معركة" حقيقية فى معرض القاهرة الدولى للكتاب الذى أقيم فى الفترة من ٢٩ يناير إلى ٩ فبراير عام ١٩٨١ .

تقدمت اسرائيل بطلب للاشتراك فى المعرض . ولكن الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور الذى كان انذاك رئيسا لهيئة الكتاب المسئولة عن المعرض رفض طلب اسرائيل . وتعلل بدواعى الأمن تارة ،

وبتأخر الطلب عن الميعاد المقرر تارة إخرى .

وادرك الاسرائيليون الموقف ولكنهم لم ييأسوا . تقدموا مرة ثانية كدار نشر مصرية باسم ، ادكوانترناشيونال ، وهى دار أقامها جورج راغب وكيل توزيع هاشييت بأسم زوجته ، وتعاقد مع اتحاد الناشرين فى اسرائيل ليكون وكيلهم الوحيد فى مصر . وفى نفس الوقت سارع سفير اسرائيل إلى الرئيس السادات حيث كان يقضى أجازته الشتوية فى اسوان وأبلغه بالموقف ، فأمر الرئيس باشتراك اسرائيل .

وهكذا لم تشترك اسرائيل كدولة فى المعرض ، وانما من خلال شركة ادكو . وقد تم وضع جناح هذه الشركة بجوار جناح دار الفتى العربى الفلسطينية حيث كانت ترفع أعلام فلسطين على نحو يلفت النظر . وفى يوم افتتاح المعرض تجاهلت السيدة چيهان السادات والسيد منصور حسن السراى التى يوجد بها جناح ادكوانترناشيونال ، فقام السفير الاسرائيلى على خلاف كل التقاليد الديبلوماسية ، وافتتح السراى بنفسه . وعندما اقترب من الجناح ، حاول أحد مرافقيه أخفاء العلم الفلسطينى المجاور ، فتصدى له المصريون العاملون فى الاجنحة الأخرى ومعهم بعض موظفى هيئة الكتاب ومنعوه من ذلك . وكان سفير اسرائيل قد حضر دون أن توجه له الدعوة من هيئة الكتاب ، حيث تقتصر دعوات السفراء على السفراء الدول المشتركة فى المعرض فقط .

وفى نفس ليلة الافتتاح قررت ادارة المعرض نقل جناح أدكوانترناشيونال من سراى رقم ٧ إلى سراى رقم ٢ المعزولة نسبيا مع

وضع هذه السراى تحت حراسة مشددة . فلم يكن مسموحا بالدخول اليها الا بعد التفتيش الدقيق ، كما كانت ابوابها مغلقة فى أغلب الاحيان .

وطوال أيام المعرض تحولت ساحاته إلى ساحات قتال بين قوات البوليس وبين المثقفين الذين يوزعون المنشورات المعادية للصهيونية ، والاعلام الفلسطينية من مختلف الاحجام على رواد المعرض . وقد تم القاء القبض على عدد من موزعى المنشورات والاعلام وعدد من رواد المعرض الذين استجابوا لهم . وكان من بين المقبوض عليهم الكاتبين صلاح عيسى وحلمى شعراوى اللذين أصدر المحامى العام رجاء العربى قرارا بحبسهما ١٥ يوما بتهمة القيام بعمل عدائى ضد دولة أجنبية (اسرائيل) يهدد بقطع العلاقات الديبلوماسية معها .

وكان من بين المنشورات المعادية للصهيونية التى وزعت فى المعرض منشور بعنوان "لا للكتاب الاسرائيلى الصهيونى فى معرض الكتاب الدولى الثالث عشر" أصدرته لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ، ووقع عليه فؤاد نصحى أمين الاعلام والثقافة فى حزب العمل الاشتراكى ، ولطفى وأكد أمين اللجنة المركزية لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، وكامل زهيرى نقيب الصحفيين ، وأحمد نبيل الهلالى عضو مجلس نقابة المحامين ، ومحمد الجندى مدير دار الثقافة الجديدة للنشر ، وعبد العظيم مناف مدير دار العربى للنشر ، ومحمود بقشيش سكرتير جماعة اتيلية القاهرة ، وكاتب هذه السطور بوصفه رئيس لجنة مقاومة السينما الصهيونية ، وقد تم التحقيق معهم جميعا فى نيابة أمن الدولة العليا .

وفيما يلى نص البيان :

الهيئات السياسية والثقافية والمهنية والشخصيات العامة الموقعة على هذا النداء تناشد جماهير المواطنين المصريين ، من الناشرين والموزعين ، والكتاب والادباء والمدرسين والطلاب ، والعمال والمهنيين ، أن يقاطعوا الكتاب الاسرائيلى فى معرض الكتاب الدولى الثالث عشر مقاطعة تامة تشمل :

١ - عدم دخول جناح أدكو انترناشيونال الوكيل الوحيد فى مصر للناشرين الاسرائيلين أو شراء أى كتب منه أو تلقى أى مطبوعات مجانية أو هدايا ، ومقاطعة أى جناح آخر يعرض المطبوعات الاسرائيلية .

٢ - مقاطعة كافة الحفلات واللقاءات التى يدعو اليها أو يحضرها الناشرون الصهاينة والا يعقدوا معهم أو مع وكيلهم أى اتفاقيات للتوزيع أو النشر المشترك أو الترجمة .

٣ - أن ترفع دور النشر المصرية والعربية العلم الفلسطينى على أجنحتها رمزا لاحتجاجها على مشاركة الناشرين الاسرائيلين فى المعرض .

٤ - أن تقوم كافة الاحزاب السياسية والشخصيات الوطنية واتحادات الطلاب ونوادى هيئات التدريس والنقابات المهنية والعمالية بدعوة اعضائها واصدقائها والمواطنين جميعا بمقاطعة الجناح .

أن مشاركة الناشرين الصهاينة فى هذا المعرض خطوة فى مخطط شامل يسعى لتطويع العقل المصرى لاهداف المشروع الصهيونى الاستعمارى ، بحيث يقبل بالتخلى عن هويته القومية وانتمائه لامته العربية

وحماسه لقضية الشعب الفلسطيني المضطهد والارض الفلسطينية المغتصبة وصولا إلى اندماج حضارى شامل تسيطر من خلاله العبقرية الصهيونية المزعومة على المنطقة .

إن دعوتنا لمقاطعة الكتاب الصهيونى فى معرض الكتاب ليست دعوة للتعصب الفكرى ، ولكنها احتجاج على أفكار استعمارية توسعية وصفتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأنها وجه آخر للعنصرية ، كما أنها رفض لاتجاهات تعتبر الشعب العربى الفلسطينى المطالب بأرضه مجموعة من الارهابيين بينما تقلب حقائق التاريخ لتعطى للارهابيين الصهاينة حقوقا تاريخية على أرض غيرهم ، وهى أفكار تعادى القيم الروحية والوطنية وتقف موقف العداء الفكرى والعلمى من مقدساتنا الاسلامية والمسيحية .

ان اشتراك الناشرين الاسرائيلين فى هذا المعرض بالشكل الذى أعلن عنه يجئ نتيجة لضغط اسرائيلى مكثف لدفع عملية "التطبيع الثقافى" إلى الامام بأعتبارها جبهة الحرب الاساسية الان ضد العرب ، رغم أن اسرائيل ما تزال تحتل قسما من سيناء ويهدد قادتها بأن استكمال الانسحاب رهين بتطبيع العلاقات تطبيعا كاملا ، هذا وبرغم أنها مازالت تحتل الاراضى العربية الأخرى فى الضفة الغربية وغزة والجولان وجنوب لبنان ، وتنسف جثث الفلسطينين من طلاب الجامعات فى الاراضى المحتلة الذين يدافعون عن حق وطنهم .

إن اصرار اسرائيل على المشاركة فى معروض الكتاب هو محاولة

للايحاء بأن المثقفين المصريين يقبلون بها برغم مواقفها العلنية المعادية للحقوق العربية ، وهو خطر بالغ ينبغى أن يتنبه له رواد المعرض ومن ثم فعليهم رفض كافة الاغراءات لدخول الجناح الصهيونى تحت دعاوى حياد الثقافة أو رخص الكتب أو مجرد الفضول . أن السماح بعرض الكتب الصهيونية فى المعرض من خلال موزع ومستورد يحمل الجنسية المصرية ، هو مناورة تضع الناشرين والموزعين المصريين فى مأزق يعرضهم للوقوع تحت طائلة المقاطعة العربية لمشاركتهم مع اسرائيل فى نفس المعرض ، وهو امر يحرم الكتاب المصرى المصرى من التواجد بين يدى قارئه الطبيعى فى اقطار الأمة العربية الأخرى وهذا كله يشكل ضربة للتواصل الحضارى بين مصر وأمتها العربية وهو ما يسعى اليه المشروع الصهيونى ؟

ان مناورة هذا العام ، وضعت الناشرين المصريين فى مأزق مفاجئ ، ينبغى أن يدفعهم لمشاركتنا فى الاحتجاج الرسمى على السماح بالكتاب الصهيونى بالمعرض ، والاهم من ذلك أن يدفعهم للتفكير الجدى فى اقامة معرض مستقل لما ينشرونه أو يوزعونه بعيدا عن المعرض الرسمى الذى لا يلتزم حتى بقانونه ، معرض مستقل لامكان فيه لفكر عنصرى يزدرى قيمنا الوطنية والدينية وحقوق أمتنا .

وليكن شعارنا هذا العام :

لا . . للجناح الاسرائيلى فى معرض الكتاب .

لا . . للغزو الصهيونى للثقافة العربية فى مصر

وأغلب الكتب الصهيونية التى عرضت فى جناح ادكوانترناشيونال كانت باللغة العربية . ومنها "تيارات فى السياسة والاجتماع ، للدكتور يهو شافاط هركابى . وقد جاء عنه فى الاعلانات أنه "يقدم للقارئ استعراضا عاما شاملا لمشاكل المجتمع العربى وموافقه من النزاع العربى اليهودى مع تحليل واضح لهذه المواقف واحتمالات تطورها " .

وكتاب "اسرائيل أمة وتاريخا" للبروفسير أ . ن بولاك ترجمة رسمى بيادسة ومراجعة الياهو اجاسى . وجاء عنه فى الاعلانات أنه "يقدم للقارئ موجزا لتاريخ الأمة اليهودية فى وطنها وفى لقاءاتها مع العالم الوثنى والمسيحى والاسلامى عبر الاجيال"

وكتاب " ارض قديمة جديدة " تأليف بنيامين زئيب هرتل وترجمة م . حداد . وقالت الاعلانات أنه "وصف نظرى لروابط الشعب اليهودى مع أرض اسرائيل خلال أربعة آلآف سنة " .

وكتاب "بلادى" تأليف أبا أيبان عن ٣٠ عاما من تاريخ الدوله الصهيونية

وكتاب " كوكب الرماد " تأليف ك . تستنيك وترجمة انطوان شماس الذى يقدم كما تقول الاعلانات " صورة حية من المآسى التى ارتكبها النازيون ضد الشعب اليهودى فى معسكرات الاعتقال والابادة خلال الحرب العالمية الثانية"

وتتكامل هذه المجموعة الصغيرة من الكتب فى تحقيق كل أهداف

الدعاية الصهيونية . ولكن الصهيوينة لم تنجح ، ولن تنجح ابدا فى غزو العقل المصرى العربى .

هوامش

١ - ٢ محمد ماهر قابيل : بحث غير منشور أعد بتكليف من مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى جريدة "الاهرام" بعنوان "تطبيع العلاقات المصرية الاسرائيلية فى مجال الثقافة والاعلام" ويتناول الفترة من توقيع المعاهدة إلى نهاية عام ١٩٨٠ .

البيان - الكويت

يوليو ١٩٨٢

مهرجان فيتيل :
كامب داقيد السينما

أثناء انعقاد مهرجان كان فى مايو عام ١٩٨٠ تلقيت دعوة لحضور اجتماع مع كبار المسئولين فى مهرجان جديد لافلام دول البحر المتوسط . وفى هذا الاجتماع الذى حضره عدد من النقاد والسينمائيين والاداريين من فرنسا ومصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ، قالت مديرة المهرجان ليدى تريجانو أن المهرجان سوف ينعقد للمرة الأولى فى أكتوبر ١٩٨٠ فى مدينة فيتيل الفرنسية ، وأنه ينظم بواسطة شركة نوادى البحر المتوسط ، وأن الهدف منه هو القاء الأضواء على افلام دول البحر المتوسط ، والعمل على فتح الاسواق الغربية أمام هذه الافلام .

وقالت ليدى تريجانو أن المهرجان لن يوجه الدعوة إلى الحكومات ، وانما إلى المخرجين والمنتجين بوّاسطة مندوبين فى كل دول البحر المتوسط ، وذلك مقابل حصول كل مندوب على دعوات خاصة فى نوادى الشركة المتعددة فى أغلب دول البحر المتوسط . وقامت بتقديم بعض المندوبين الحاضرين ، ومن بينهم مندوب مصر الدكتور رفيق الصبان . وعندما وجهت إلى الدعوة لحضور المهرجان كناقد وصحفى ، طلبت الكلمة ، وأوضحت موقفى من المهرجان فى النقاط التالية :

١ - أننى تلقيت رسالة من أندرية تيفينيه رئيس الاتحاد الفرنسى للمنتجين المستقلين ، ورئيس الاتحاد الدولى فى نفس الوقت ، يطلب منى

أن أكون مندوبا للمهرجان فى مصر . وأننى أرسلت اليه أطلب أولا معرفة الهدف من المهرجان ولكنه لم يرد .

٢ -إننى طلبت معرفة الهدف من المهرجان لأننى لست أعتقد فى وجود ثقافة تسمى ثقافة البحر المتوسط أو أى بحر آخر ، ولأن هذا الاتجاه الفكرى فى مصر منذ العشرينيات يعتبر أحد الاتجاهات الرجعية التى تهدف إلى عزل مصر عن الوطن العربى ، وتحجيم دورها العربى .

فعندما ننظر إلى الدول العربية المطلة على البحر المتوسط كدول عربية تصبح لمصر القيادة الفكرية أما عندما ننظر اليها كدول متوسطية فمن الطبيعى أن تصبح هذه القيادة لفرنسا . كما أن من شأن هذا الاتجاه عزل الدول العربية المطلة على البحر المتوسط عن الدول العربية غير المطلة على هذا البحر ، وبالتالى تصبح ايطاليا مثلا أقرب إلى مصر وليبيا من السودان والصومال .

٣ - أن فصل الجغرافيا عن التاريخ ، والتأكيد على الروابط الجغرافية دون التاريخية ، يؤدى إلى الاعتراف باسرائيل على أساس أنها حقيقة جغرافية بصرف النظر عن كونها أكذوبة تاريخية . ويؤكد هذا الربط بين الدعوة إلى "ثقافة البحر المتوسط" والاعتراف باسرائيل وجود فرع لشركة نوادى البحر المتوسط فى أرض فلسطين المحتلة . وأن أغلب أسهم الشركة لعائلة تريجانو اليهودية المعروفة بتأييدها لاسرائيل ، وأن الدكتور حسين فوزى وهو أكبر ممثل لهذا الاتجاه فى مصر كان أول - وآخر - من ذهب إلى اسرائيل من كبار المثقفين المصريين ، بل وليست مصادفة فإن أغلب

المثقفين المصريين الذين سارعوا إلى تأييد "السلام" بين مصر واسرائيل ، ولابد أن نضع "السلام" هنا بين قوسين ، كانوا ولا يزالوا أما من أنصار فكرة مصر المتوسطية التي ترتبط بفرنسا أكثر مما ترتبط بالسودان أو العراق أو الكويت ، أو من أنصار فكرة مصر الفرعونية التي غزاها عمرو بن العاص ، وبدأ بونابرت أعادتها إلى اصلها !

وأخيرا سألت ليدى تريجانو هل تشترك اسرائيل في مهرجان فيتيل فقالت بالطبع ، فقلت أنني رغم ذلك كله ، ورغم اشتراك اسرائيل ، على استعداد لقبول دعوة المهرجان ، وذلك على شرط واحد أن توجه الدعوة إلى منظمة التحرير الفلسطينية .

وكان هذا الموقف على أساس أن أعتراف شركة نوادى البحر المتوسط بالمنظمة انتصار سياسي جديد لها ، وأن وجود اسرائيل في أي محفل دولي ليس في ذاته سببا لرفض الاشتراك فيه ، وأكبر دليل على هذا وجود كل الدول العربية مع اسرائيل في الأمم المتحدة التي قامت بانشاء اسرائيل . كما أنني أعتقد أن الصراع العربي الصهيوني لا يستمر كصراع الا بوجود الطرف العربي ، وأن ساحة هذا الصراع ليست فقط ميادين القتال العسكرية ، وانما أيضا ميادين القتال الثقافية .

واجابت ليدى تريجانو على حديثي بالموافقة على دعوة المنظمة ، وأجمع الحاضرون من العرب وغير العرب أن هذا الشرط سوف يكون أيضا شرط قبولهم دعوة المهرجان .

وبعد فترة قليلة من هذا الاجتماع وصلتني دعوة المهرجان ، ولكني

علمت أن الدعوة لم توجه إلـى منظمة التحرير ، فاعتذرت عن قبول الدعوة .

وفى نوفمبر ١٩٨٠ صدر البيان رقم ٥ من مجلة "السينما العربية" في ملحق للعدد الثانى خاص بمهرجان قرطاج بعنوان "ضد مهرجان فيتيل" ، وفيما يلى النص الكامل لهذا البيان :

عقد فى مدينة فيتيل الفرنسية فى يونيو ١٩٨٠ مهرجان "سينما البحر المتوسط" تحت رعاية "شركة نوادى البحر المتوسط" وهى شركة مشبوهة تتبنى وجهات نظر استعمارية وصهيونية .

فالقول بأن هناك حضارة تسمى حضارة البحر المتوسط ، مثل القول بأن هناك أزمة تسمى أزمة الشرق الأوسط ، مقولات تستند على الجغرافيا ، وتفصل بين التاريخ والجغرافيا ، وتهدف فى النهاية إلى فصل دول الوطن العربى ، وقبول الكيان الصهيونى فى هذا الوطن .

فدول البحر المتوسط التي تعمل هذه الشركة فى اطارها هى ١٥ دولة (مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وسوريا ولبنان ومالطه وفرنسا وايطاليا واسبانيا ويوغسلافيا واليونان وتركيا وفلسطين واسرائيل) وليس هناك ما يجمع بين هذه الدول ، وإن كان هناك ما يجمع بين الدول العربية منها .

وقد شاركت فى مهرجان فيتيل كل الدول العربية المطلة على البحر المتوسط ماعدا سوريا وليبيا .

من مصر ٥ أفلام من أخراج يوسف شاهين هى "اسكندرية . .

ليه" في الافتتاح ، بالاضافة إلى "باب الحديد" و "بياع الخواتم" و"الأرض" و"العصفور" وذلك بالاتفاق مع يوسف شاهين شخصيا . و٥أفلام من انتاج مركز الفيلم التجريبي الذى يديره شادى عبد السلام بالاتفاق معه شخصيا أيضا فيلمان من اخراجه "الفلاح الفصيح" و"آفاق" ، و"أدفو" اخراج ابراهيم الموجى ، و"نقطة ماء" اخراج اسماء البكرى ، و"القاهرة القبطية" اخراج نبيهة لطفى . وبواسطة مندوب المهرجان الدكتور رفيق الصبان عرض الفيلم الطويل "أنتبهوا أيها الساده" اخراج محمد عبد العزيز والفيلم القصير "النيل ارزاق" اخراج هاشم النحاس ، كما عرض رمسيس مرزوق فيلمه "حياة الرهبان" .

ومن تونس عرض فيلم "عزيزة " وفيلم "العرس" ، ومن الجزائر "نهلة" و"العربه" ، ومن المغرب "رماد الزريبه" و"البوسطجى" و"السراب" ، ومن لبنان "بيروت يابيروت" ، وعن طريق أرشيف الفيلم الجزائرى تم عرض ١١ فيلما من مصر ولبنان والجزائر وسوريا والكويت وتونس وموريتانيا .

ومن اسرائيل تم عرض ٦ أفلام فى مهرجان فيتيل (٣ أفلام طويلة و٣ أفلام قصيره) .

ولو كانت ادارة المهرجان قد وجهت الدعوة إلى منظمة التحرير الفلسطينية لكان من الممكن قبول المشاركة العربية ، ولكن هذا لم يحدث ، وبالتالى فالاشتراك العربى فى هذا المهرجان خطأ سياسى لا يجب أن يتكرر مرة أخرى ، ويجب الاعتراف به حتى لايتكرر .

وجاء فى ختام بيان مجلة "السينما العربية : والمسألة ليست "هروبا إلى الخلف" ، صحيح أن أسرائيل موجودة فى الأمم المتحدة ، وكذلك العرب ، ولكن هناك فى الامم المتحدة مندوب - ولوبصفة مراقب - عن منظمة التحرير الفلسطينية .

والقضية ليست "الاعتراف" بوجود كيان يسمى دولة اسرائيل ، فهذا الكيان حقيقة قائمة ، وانما هى مسألة الموقف من هذا الكيان واعتراف هذا الكيان بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى .

وقد أثار بيان مجلة "السينما العربية" دويا فى مهرجان قرطاج ، وخاصة بعد أن وصف التليفزيون الاسرائيلى مهرجان فيتيل بأنه "كامب دافيد السينما ونقلت وكالة الانباء الفرنسية وجريدة "فارايتى" الامريكية هذا الوصف . ولم يكن من المهم صنع قوائم سوداء لمن شاركوا فيه من العرب ، وأنما كان المهم هو الكشف عن حقيقة هذا المهرجان ، والعمل على تدارك الخطأ ، وعدم الاشتراك فيه مرة أخرى .

وفى مهرجان كان عام ١٩٨١ وجهت لى الدعوة مرة أخرى لحضور اجتماع مع ادارة مهرجان فيتيل . وطلبت منى مديرة المهرجان أن أكون مندوبا للمهرجان فى مصر ، مؤكدة أن الدعوة سوف توجه إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن ما حدث فى المهرجان الأول كان مجرد سوء تنظيم ، وأن المهرجان ليس كامب دافيد السينما ولا شئ من هذا ، وسوف يكون المهرجان الثانى الاثبات العملى لذلك . وكانت أجابتى هى نفس الاجابة : أن لكم الحق فى دعوة اسرائيل ، ولكن من الواجب علينا ألا

نقبل إلا فى حضور منظمة التحرير .

وجاءت ليدى تريجانو إلى القاهرة ، وقالت أنها فى الطريق إلى بيروت لتوجيه الدعوة إلى منظمة التحرير ، وطلبت الاجتماع إلى مخرجى الافلام التى يمكن أن تعرض فى المهرجان لتسمع وجهة نظرهم ، وبالفعل أجتمعت مع بدرخان مخرج "أهل القمة" وسيد عيسى مخرج "المغنواتى" ورأفت الميهى مخرج "عيون لا تنام" وخيرى بشاره مخرج "العوامه ٧٠" ومحمد شبل مخرج "أنياب" وأحمد ياسين مخرج "مع تحياتى لاستاذى العزيز" الذى كان مرشحا لختام أسبوع للأفلام الغنائية المصرية يقام على هامش المهرجان . وسمعت مديرة المهرجان من كل هؤلاء نفس الرأى : إما أن توجه الدعوة إلى المنظمة ، وإما لن يشترك أى منهم فى المهرجان ، ولن يرسل فيلمه .

ووصلت الدعوات وتذاكر اير فرانس بالجملة ، ولكن وصل أيضا أن الدعوة وجهت إلى المنظمة شفويا ، وأن المنظمة رفضت ، فلم يسافر إلى المهرجان أى فيلم مصرى ، ولا أى سينمائى مصرى .

وبعد أن عقد فيتيل الثانى فى أكتوبر ١٩٨١ نشر أن الوجود العربى اقتصر على ثلاثة أفلام لبنانية (الفيلم الطويل "بيروت اللقاء" اخراج برهان علوية والفيلمين القصيرين "بيروت لم تعد أبدا" و"رسالة من بيروت" اخراج جوسلين صعب) وفيلمان من المغرب (عرائس من قصب اخراج جيلالى فرحاتى وابن السبيل اخراج محمد تازى) وفيلم جزائرى (أطفال الريح اخراج ابراهيم تساكى) ، وأن أسبوع الأفلام الغنائية

المصرية أقيم ولكن بأفلام من شركات توزيع الافلام المصرية فى باريس .

ورغم ضعف الاشتراك العربى فى مهرجان فيتيل الثانى بالمقارنة مع المهرجان الأول ، الا أنه كان من الغريب أن يشترك أى سينمائى عربى فى هذا المهرجان بعد أن أصبح معروفا فى العالم كله بأنه "كامب دافيد السينما" . بل لقد أدى الموقف العربى عامة والمصرى خاصة من المهرجان الثانى إلى تغيير مكان انعقاد المهرجان من فيتيل الفرنسية إلى كامارينا الايطالية فى صقلية حيث عقد المهرجان الثالث فى أكتوبر ١٩٨٢ فى محاولة فاشلة للتخلص من سمعة فيتيل السيئة .

ولكن الاغرب من الاشتراك العربى فى المهرجان الثانى هو الاشتراك العربى فى المهرجان الثالث ، وعودة المصريون إلى الاشتراك بواسطة مندوب المهرجان الدكتور رفيق الصبان . والاغرب من هذا وذاك الادعاء فى كتاب المهرجان أن الافلام "أهل القمة" و"العوامة ٧٠" و "أنياب" عرضت فى المهرجان الثانى !!

ففى مهرجان شركة نوادى البحر المتوسط الثالث عرضت ٣ أفلام مصرية طويلة (حدوته مصرية اخراج يوسف شاهين والطاووس اخراج كمال الشيخ وقهوة المواردى اخراج هشام أبو النصر) وحضر المخرجون الثلاثة مع عدد من السينمائيين والنقاد ، كما عرض من تونس فيلمين طويلين (عبور وسراب) ومن لبنان فيلم طويل (بيروت اللقاء) وعرض المخرج السورى عمر اميرالاى فيلمه السورى "الدجاج" وفيلمه الفرنسى "مصائب قوم "وكلاهما متوسطا القول ، وعرض بأسم الجزائر فيلم "فرنسى

بعنوان "القربان" .

وجميع من حضر هذا المهرجان يعرف سلفا أنه "كامب داڤيد السينما" ، ولا يغير من هذه الحقيقة وجود مندوب مراقب من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى باريس ، ووجود هذا المندوب على أية حال خطأ سياسى رغم أنه لا يمثل المنظمة رسميا . بل أن قبول فانيسا ريد جريف الدعوه وعرض فيلميها "الفلسطينى" و"فلسطين المحتلة" هو أيضا خطأ سياسى . ولكن لعل المعلومات الكافية لم تتوفر لدى الممثله الكبيرة عن هذا المهرجان . ولقد أدركت بسرعة حقيقة "الفخ" الذى وقعت فيه ، وهذا هو وصفها للمهرجان ، فأعلنت انسحابها . والمؤسف أنها أنسحبت وحدها ، وبقى كل عرب المهرجان .

أن قبول دعوة أى مهرجان أو مؤتمر اختيار فردى حر ، ولكل انسان الحق فى أن يرى الامور بعينيه لا بعيون الآخرين . ولكن السؤال هو كيف يمكن أن نقاوم الصهيونية ونحن لا نستطيع أن نرفض دعوة ، ولا نقدر على مقاومة اغراء رحلة سياحية ولو إلى أكثر فنادق الدنيا ترفا ؟ وهو سؤال لا يوجه إلى سينمائى مثل كمال الشيخ ، فهو يؤيد كامب داڤيد الاتفاقية ، وهذا موقف واضح نحترمه ، وان اختلفنا معه ، وبالتالى فمن الطبيعى أن يذهب إلى كامب داڤيد السينما . ولكنه سؤال إلى يوسف شاهين وعمر اميرالاى وبرهان علويه وعيد الحفيظ بوعصيده وغيرهم من السينمائيين والنقاد الذين يقفون فى الطليعة من مقاومة الصهيونية ، ومع ذلك قبلوا دعوة شركة نوادى البحر المتوسط .

والقول بأن المهرجان يوجه الدعوة إلى عناصر اسرائيلية معادية للصهيونية ، أو للحكومة الاسرائيلية ، لا يغير من طبيعة المهرجان ولا من أهداف الشركة التى تنظمه ، ولا يغير بالطبع من حقيقة فكرة "ثقافة البحر المتوسط" . بل أن دعوة هذه العناصر الاسرائيلية المعادية للصهيونية ، أو الحكومة الاسرائيلية قد يكون استخداما لهذه العناصر فى خدمة مصالح المهرجان ، وجعلها تسير فى طريق كامب دافيد الذى لم يؤد إلى حل أى مشكلة لأى طرف من اطراف الصراع العربى الصهيونى ، وأنما على العكس أدى إلى مزيد من العنف فى المنطقة . وهذا أمر واضح لم يعد يقبل الجدل بعد احتلال لبنان ومذاج الابادة الجماعية للشعب العربى الفلسطينى فى مخيمات بيروت . والحوار العربى مع العناصر اليهودية أو الاسرائيلية المعادية للصهيونية لم ينقطع يوما ، ولكن المهم أين ومتى ولماذا وكيف .

وقد أصبحت "سينما البحر المتوسط" ظاهرة بكل معنى الكلمة . ففى خريف ١٩٨٢ عقدت ٥ مهرجانات تحت هذا العنوان فى أوقات متقاربة هى مهرجان كورسيكا بفرنسا ومهرجان فالينسيا فى أسبانيا ومهرجان كامارينا فى صقليه بأيطاليا بالاضافة إلى مهرجان رابع فى اليونان وخامس فى الاسكندرية بواسطة الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما التى تنظم أيضا مهرجان القاهرة منذ عام ١٩٧٦ .

ومهرجان كامارينا (فيتيل سابقا) هو المهرجان الوحيد بين هذه المهرجانات الذى يوجه الدعوة إلى اسرائيل ، ولكن ليس معنى هذا أن

المهرجانات الأخرى لا تعبر عن فكرة "ثقافة البحر المتوسط" وهى الأصل الذى يؤدى من بين ما يؤدى إلى الأعتراف باسرائيل على حساب الشعب العربى فى كل الدول العربية . وتجد بعض الاحزاب الاشتراكية فى أوربا أن صيغة "البحر المتوسط" هى وسيلة للربط بينها وبين بعض دول المنطقة العربية . وليس هذا غريبا على احزاب تعتبر اسرائيل ضمن مجموعة الاشتراكية الأوروبية .

الوطن - الكويت

١٩٨٣/١٢/٢

مهرجان السينما اليهودية في باريس

عندما تلقيت الدعوة من جمعية الفيلم العربي بباريس لحضور المهرجان الأول للفيلم العربي في العاصمة الفرنسية في الفترة من ١٣ أبريل إلى ٢٦ أبريل ١٩٨٣ ترددت في قبول الدعوة لأنني سبق وشاهدت أغلب أفلام البرنامج ، ولكني عندما قرأت في "فارايتي" أن المهرجان الدولي الثاني للسينما اليهودية سوف يعقد في نفس الفترة في المدينة من ١٢ إلى ٢٦ أبريل ثم في السينماتيك الفرنسي من ٢٧ أبريل إلى ٣ مايو زال كل سبب للتردد وأصبح من الضروري السفر إلى باريس .

لقد كنت أعرف أن هناك محاولة اسرائيلية جرت في منتصف السبعينيات لأقامة مهرجان دولي للفيلم اليهودي ، وأن هذا المهرجان عقد مرة واحدة في تل أبيب ، وفشل كما كنت أعرف أن هناك مهرجانا "سنويا" للفيلم الاسرائيلي يقام في نيويورك ، وقد عقد للمرة الثانية من ١٩ إلى ٢٦ أبريل ١٩٨٣ ، ولكني لم أكن أعرف أن هناك مهرجانا "دوليا" للفيلم اليهودي في باريس ، وأنه عقد للمرة الأولى عام ١٩٨٢ ، وأن من المقرر أقامته سنوياً .

ورأيت أن من الضروري التعرف على هذا المهرجان ، وخاصة أنه يقام في نفس الوقت مع مهرجان الفيلم العربي ، ولاشك أنها ليست مصادفة بأن يبدأ كلا المهرجانين في يومين متعاقبين وأن ينتهيا في نفس

اليوم ، وأنما هى حلقة من حلقات الصراع العربى الصهيونى على الصعيد الثقافى .

- ١ -

المهرجان الدولى للسينما اليهودية أحد أنشطة مؤسسة يهودية جديدة هى مؤسسة المهرجان الدولى للثقافة اليهودية التى بدأت نشاطها عام ١٩٨١ تحت رعاية سيمون فيل رئيسة البرلمان الأوربى .

ومدير المهرجان هو أميل ويس تساعده لجنة من كارولين أبيتبول وفلورنس لوب وفرانسيس نيبوت ولوران دى فيش وماريان تانجى وهيلين كوفمان وأنييس بينشو والآن كلينمان وأيلى سيو ، كما أن كما أن هناك لجنة شرف من أنوك ايميه والبروفسير رايمون آرون والحاخام جوسى ايسنبرج والحاخام آلان جولدمان وأدموند جابيس والبروفسير فرنسوا جاكوب والبروفسير ايمانويل ليفانش والبروفسير أندريه لوف وكلارا مالرو وأريان مونشكين وجورج بيريك وليون بولياكوف وكلود فيجى وأيلى ويسيل .

وقد أقيم المهرجان الدولى الأول للثقافة اليهودية فى باريس عام ١٩٨١ حيث قدم أكثر من ٦٠ برنامجا متنوعا منها ١٣ عرض مسرحى و١٠ برامج موسيقية ، و٣ برامج رقص ، و١٥ ندوة حول موضوعات يهودية مختلفة . ولكن يبدو أن المؤسسة أدركت أن السينما هى الفن الأكثر أهمية بين كل الفنون ، فكان المهرجان الثانى عام ٨٢ تحت عنوان

المهرجان الدولى للسينما اليهودية ، وفيه تم عرض ٤٥ فيلما من مختلف الاطوال والأنواع والجنسيات . ولكن المؤسسة لم تقتصر فى نشاطها على السينما فأقامت فى نفس عام ١٩٨٢ ندوة دولية عن الابداع والتقاليد وأصدرت ثمانية كتب عن الثقافة اليهودية .

- ٢ -

تذكر وثائق المهرجان الدولى الثانى للسينما اليهودية فى باريس أن لجنة الشرف الخاصة بالمهرجان مكونة من بيير براونبرج وكوستا جافراس ومرجريت دورا ودانييل جولدمان واليزابيث هومير وكلود ليلوش وأدموند تينوجى والكسندر تيرز ، وأن المساعدات قدمت إلى المهرجان من قبل العديد من المؤسسات والشخصيات الفرنسية والدولية مثل جاك لانج وزير الثقافة الفرنسى والمركز القومى للسينما والسينماتيك والمعهد العالى للفنون وادارة التنمية الثقافية ، وكلها مؤسسات فرنسية ، إلى جانب مركز الفيلم الاسرائيلى وأرشيف الفيلم الاسرائيلى وفوروم السينما الشابة فى مهرجان برلين ومكتب الفيلم القومى بكندا وهيئة الاذاعة الكندية وهيئة الفيلم الاسترالى وأرجوس فيلم بأيطاليا ومعهد جوته بباريس .

وبرنامج المهرجان الذى حضره ٢٢ مخرجا ومخرجه يتكون من عدة أقسام هى :

١ - برنامج العروض السينمائية الذى أقيم فى دارين من دور العرض فى قلب العاصمة ، ثم اتصل بعد ذلك فى مقر السينماتيك الفرنسى الذى

يديره كوستا جافراس .

٢ – برنامج الليالى ، وتضمن خمس برامج خاصة أعيد فى اطارها عرض بعض أفلام المهرجان تحت عناوين : ليلة نساء – ليلة عام ١٩٥٦ – ليلة المنفى – ليلة المرح – ليلة الحوار العربى اليهودى .

٣ – برنامج الندوات ، وتضمن سبع ندوات تحت عناوين : أرمينيا ٨٣ – الفجر : تدمير وثقافة – يهود المانيا اليوم – يهود المغرب وجماعة الشخصية وحوار اليهود السوفيت – أغانى الاحتلال – فاشيه كل يوم .

٤ – برنامج خاص عن فرانز كافكا بمناسبة مرور مائة عام على مولد ، تضمن عرض ثلاثة أفلام روائية معدة عن أعماله هى : الفيلم الامريكى "المحاكمة" اخراج أورسون ويلز عم ١٩٦٢ ، والفيلم الالمانى الغربى "القصر" اخراج رود ولف يوفليت عام ١٩٦٨ ، والفيلم الفرنسى "فندق عصرى" إخراج أندريه أنجل عام ١٩٧٩ ، وفيلمان تسجيليان هما الفيلم التشيكوسلوفاكى "قضيتان" اخراج زدنيك كوباك ، والفيلم الالمانى الغربى "كافكا فى برلين" اخراج ولفجانج ريسبوت .

٥ – برنامج خاص عن المخرج الالمانى أرنست لوبيتش تضمن عرض عشرة من أفلامه هى افلامه الالمانية "كارمن" عام ١٩١٨ و "الدمية" عام ١٩١٩ ، و"آن بولين" عام ١٩٢٠ ، وأفلامه الامريكية "الجنة المفقودة" عام ١٩٢٤ ، و "مروحة الليدى وندرمير" عام ١٩٢٥ ، و "اذن هذه هى باريس" عام ١٩٢٦ ، و "الامير التلميذ" عام ١٩٢٧ ،

و"متاعب فى الجنة" و "ساعة واحدة معك" عام ١٩٣٢ و "الارملة الطروب" عام ١٩٣٤ .

- ٣ -

وقد نفذ برنامج المهرجان كاملا ما عدا ليلة الحوار العربى اليهودى حيث كان من المقرر عرض فيلم "صور من مذكرات خصبة" اخراج ميشيل خليفى مع ثلاثة أفلام أخرى ثم يدور الحوار مع ميشيل خليفى ، ولكن المخرج الفلسطينى رفض عرض الفيلم فى المهرجان ، كما رفض الاشتراك فى الحوار وأبلغ ادارة المهرجان أنه لايستطيع أن يقبل مناقشة قضية الشعب الفلسطينى فى إطار هذا المهرجان ، وعلى أساس أنهم أقلية مثل الارمن والغجر ، وقال أن هناك اختلاف كبير بين مشكلة الفلسطينيين ومشكلة الارمن ومشكلة الغجر ، وأنه يرفض هذا الخلط بين الاوراق .

والافلام الثلاثة الأخرى التى عرضت تحت عنوان الحوار العربى اليهودى هى الفيلم الاسرائيلى التسجيلى الطويل "من أجل الفلسطينين : اسرائيلية تشهد "اخراج أدنا بوليتى ، والفيلم الاسرائيلى الروائى الطويل "الخماسين" اخراج دانييل فاتسمان والفيلم الفرنسى التسجيلى الطويل "أمهات من البحر المتوسط" اخراج سيمون بيتون .

والبرنامج الرئيسى للمهرجان يجمع أفلاما موضوعاتها عن

اليهود ، سواء لمخرجين يهود أو غير يهود . ونظرا لأهمية معرفة ما الذى تعتبره مؤسسة المهرجان الدولى للثقافة اليهودية من "السينما اليهودية" ، وماذا تهدف من وراء ذلك ، نورد هنا قائمة كاملة بأفلام البرنامج ، وقد تم تقسيم هذه القائمة إلى أفلام روائية طويلة وأفلام روائية قصيرة وأفلام تسجيلية طويلة وأفلام تسجيلية قصيرة وأفلام تحريك ، وتم ترتيب الافلام حسب تاريخ الانتاج ، وحسب الدول التى عرض منها أكبر عدد من الافلام .

الافلام الروائية الطويلة

المانيا الغربية :

١ - باروخ اخراج ايوالد - اندريه دربو ١٩٢٣ .

٢ - ريجنيفين اخراج ميشيل هوفمان وهارى رايمون ١٩٨١ .

٣ - مالو اخراج جانين ميرافيل ١٩٨١ .

٤ - بلاد الاجداد اخراج جانين ميرافيل ١٩٨١ .

الاتحاد السوفيتى :

٥ - العملاق الأحمر اخراج ب . بيتروف - بيتوف ١٩٢٩ .

الولايات المتحدة :

٦ - سفينة نوح اخراج ميشيل كورتيز ١٩٢٨ .

٧ - الديكتاتور اخراج شارلى شابلن ١٩٤٠ .

٨ - أوامر ضد أوامر اخراج فرانك تاشلين ١٩٤٦ .

٩ - ليلة فى كازابلانكا اخراج ارشى مايو ١٩٤٦ .

١٠ - أنا والكولونيل اخراج بيتر جيلينفل ١٩٥٨ .

١١ - أمريكا . . أمريكا اخراج اليا كازان ١٩٦٣ .

١٢ - سفينة الحمقى اخراج ستانلى كرامر ١٩٦٥ .

١٣ - المنتجون اخراج ميل بروكس ١٩٦٨ .

١٤ - يا جنرال اخراج جيرى لويس ١٩٧٠ .

١٥ - شكوى بورتونى اخراج ارنست ليمان ١٩٧٢ .

١٦ - المحطة التالية جرينتش فاليج اخراج بول مازورسكى ١٩٧٣ .

١٧ - جوليا اخراج فرد زنيمان ١٩٧٨ .

١٨ - صديقات اخراج كلوديا ويل ١٩٧٨ .

١٩ - الصبى فريسكو اخراج روبرت أولدريتش ١٩٧٩ .

فرنسا :

٢٠ - كريس رومانى اخراج يان شميث ١٩٦٤ .

٢١ - العجوز والطفل اخراج كلود بيرى ١٩٦٦ .

٢٢ - وقائع اخراج مارك بوريو ١٩٦٧ .

٢٣ - ذراعا بذراع اخراج راشيل وينبرج ١٩٧٢ .

٢٤ - راوية سارق الجياد اخراج ابراهام بولونسكى ١٩٧٢ .

٢٥ - شباك اللوفر اخراج ميشيل ميتران ١٩٧٤ .

٢٦ - المفضل اخراج مارك - اندريه جرينوم ١٩٨٣ .

ايطاليا :

٢٧ – اليهودى التائه اخراج جيوفريدو اليساندرينى ١٩٤٧ .

٢٨ – ساندرا اخراج لوكينوفيسكونتى ١٩٦٥ .

٢٩ – قصة حب وصداقة اخراج فرانكو روسى ١٩٨٣ .

اسرائيل :

٣٠ – الخماسين اخراج دانييل فاتسمان ١٩٨١ .

٣١ – قارب نوح السابع عشر اخراج ايزاك زابيل ياشرون ١٩٨٢ .

النمسا :

٣٢ – القضية اخراج جورج بابست ١٩٤٧ .

بولندا :

٣٣ – المحطة الأخيرة اخراج واندا جاكوبوسكا ١٩٤٨ .

تشيكوسلوفاكيا :

٣٤ – طريق الجنة اخراج زبنيك برنيش ١٩٦٣ .

بلجيكا :

٣٥ – بروكسل ترانزيت اخراج سامى زالنجربوم ١٩٨٠ (ناطق باليديشيه) .

كندا :

٣٦ – النجمة السعيدة اخراج ماكس فيشر ١٩٨٠ .

استراليا :

٣٧ – نورمان يحب روزى اخراج هنرى سافران ١٩٨٢ .

اسبانيا :

٣٨ - كورى جيتانو اخراج تونى جاتليف ١٩٨٣ .

الافلام الروائية القصيرة (القصصيه)

الولايات المتحدة :

١ - المهاجر اخراج شارلى شابلن١٩١٧ .

٢ - جوديت من بيتوليا اخراج دافيد وارك جريفت ١٩٢٤ .

فرنسا :

٣ - الادراك الدقيق اخراج جيرار كراشويك ١٩٨١ .

٤ - الكلمات وصانع الاحذية اخراج الكس سالت ١٩٨٢ .

اسرائيل :

٥ - مونولوج امرأة شابه اخراج ليهى كانوش ١٩٨٠ .

الافلام التسجيلية الطويلة

الولايات المتحدة :

١ - الجيل الاصغر اخراج فرانك كابرا ١٩٢٩ .

فرنسا :

٢ - وصف كفاح اخراج كريس ماركر ١٩٦٠ .

٣ – أغانى الاحتلال اخراج أندريه هاليمى ١٩٧٦ .

٤ – أورليا ستيز اخراج مرجريت دورا ١٩٧٩ .

٥ – ناحوم جولدمان اخراج ايسدرو روميرو ١٩٨٠ .

٦ – أمهات من البحر المتوسط اخراج سيمون بيتون ١٩٨٢ .

٧ – أوديسه يهود المغرب اخراج أوجينى روسو ١٩٨٢ .

المانيا الغربية :

٨ – رومان فيشناك اخراج أروين ليسير ١٩٧٨ .

٩ – ايزاك سنجر اخراج أروين ليسير ١٩٨١ .

١٠ – هذا يستمر ليلا ونهارا ياطفلى العزيز اخراج كاترين سيبولد وڤيلين سبيتا ١٩٨٢ .

١١ – قضاه ومتعاطفون آخرون اخراج أكسل أنجستفيلد ١٩٨٢ .

١٢ – الحياه والخلاص اخراج أروين ليسير ١٩٨٢ .

١٣ – ايخمان : رجل الرايخ الثالث اخراج أروين ليسير ١٩٨٢ .

اسرائيل :

١٤ – من أجل الفلسطينين : اسرائيلية تشهد اخراج أدنا بوليتى ١٩٧٤ .

١٥ – أناس فى غير مكانهم اخراج ايجال بورزتين ١٩٧٨ .

١٦ – الجريدة ٧٣ – ١٩٧٨ اخراج داڤيد بيرلوف ١٩٧٨ .

١٧ – موريزى جوتليب اخراج دافيد جرينبرج ١٩٧٨ .

١٨ – بحثا عن شخصية اخراج أموس جيتاى ١٩٨٢ .

١٩ – بنات اليوتوبيا اخراج أدنا بوليتى ١٩٨٣ .

بلچيكا :

٢٠ – إلى وودى الآن من أوربا مع حبى اخراج أندرية ديلفو ١٩٨٠ .

٢١ – داڤيد هيرتا اخراج فردريك جوزلان ١٩٨٢ .

كندا :

٢٢ – موسيتى الانسان اخراج جون تومسون وريتشارد بوكنج ١٩٨٢ .

الافلام التسجيلية القصيرة

فرنسا :

١ – خلف النافذه اخراج جين شميث ١٩٧٠ .

٢ – ١٩٤٢ اخراج سيمون بارشويز ١٩٧٦ .

٣ – ارمينيا ١٩٠٠ اخراج جاك كيباديان ١٩٨١ .

٤ – نشافات اخراج عايده وجاك كيباديان ١٩٨١ .

٥ – فيلم اخراج فيفيان اوستروفسكى ١٩٨٢ .

اسرائيل :

٦ – ليور اخراج حاييم شيران ١٩٧٨ .

٧ – رموز يهوديه اخراج ن . مايو وأ . امباشى ١٩٧٩ .

تشيكوسلوفاكيا :

٨ – الفراشات لاتسرق هنا اخراج ماريو برنات (بدون تاريخ) .

٩ – أغانى الجحيم (بدون عناوين وبدون تاريخ) .

١٠ – كارت بوستال اخراج دراسلاف هولب (بدون تاريخ) .

١١ – فانتازيا اليد اليسرى اخراج بافل هولب (بدون تاريخ) .

افلام التحريك

استراليا :

١ – المباراه السابعة اخراج يورام جروس ١٩٧٥ (٧٢ ق) .

كندا :

٢ – الشارع اخراج كارولين لياف ١٩٧٦ (١٠ ق) .

وهكذا عرض المهرجان ٩٣ فيلما من مختلف الاطوال والانواع والازمنة منها ٧٨ فيلما فى البرنامج الرئيسى و١٥ فيلما فى برنامجى كافكاولوبيتش من ١٢ دولة هى المانيا الغربية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا والنمسا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وبلچيكا وأسبانيا إلى جانب اسرائيل .

– ٥ –

والمقارنة بين المهرجان العربى والمهرجان اليهودى تنتهى فى صالح المهرجان اليهودى بغير شك ، ولكن هذه ليست مشكلة الجمعية التى أقامت المهرجان العربى ، وبذل القائمون عليها كل جهودهم فى سبيل انجاحه بامكانيات مالية محدوده للغاية ، وانما هى مشكلة الاعلام العربى داخل

وخارج الوطن العربى ، ومشاكل الاعلام العربى مدروسه ومعروفه ، وحلول هذه المشاكل مدروسا ومعروفا أيضا ، فهناك العشرات من الخبراء الاعلاميين العرب الذين اشتركوا فى عشرات المؤتمرات ، واقروا مئات التوصيات التى لم تنفذ ، ولاداعى لتكرار الحديث عن هذا الموضوع دون جدوى .

يكفى أن الوطن العربى بأكمله بخلو من مركز سينمائى ثقافى ويكفى أن هذا الوطن يخلو من أرشيف سينمائى ويخلو من مجلة للسينما ، ولا توجد به دار نشر واحدة للسينما ، وتكاد السينما فى أغلب الصحف والمجلات الصادرة باللغة العربية أن تكون جزءا من صفحات التسالى والكلمات المتقاطعة . بل أن الوطن العربى هو المنطقة الوحيدة فى العالم التى لا توجد بها دور عرض للافلام الفنية غير التجارية ، والسينما العربية هى السينما الوحيدة فى العالم التى لا تعرض فى كل الدول العربية ، ومؤسسات السينما العربية هى المؤسسات الوحيدة فى العالم التى لا يجمع بينها اتحاد لصناعة السينما ، ودول شمال أوربا تشترك منذ سنوات بشكل موحد فى المهرجانات الدولية وهى النرويج وفنلندا والدانمرك والسويد ، ولكن الدول العربية تتنافس فى هذه المهرجانات وتُجعل منها ساحات جديدة للحرب فيما بينها .

فهل فى ظل هذا الوضع المتردى الذى يزداد سوءا يحق لنا أن نقول لماذا جاء المهرجان العربى هزيلا أمام المهرجان اليهودى الذى أقيم فى مواجهته فى باريس . فمن الذى يدعم هذا المهرجان العربى ، وما

قيمة الدعم المحدود من جهات محدوده فى مواجهة الدعم غير المحدود من الجهات الكثيرة التى أوردنا بعض منها فى هذا المقال . اين المركز الثقافى العربى الذى يدعم مثل هذا المهرجان ، واين الارشيف العربى الذى يمده بالافلام ، وأين المجلة التى تعبر عنه ، وأين دار النشر التى تصدر مطبوعاته ، وأين الاتحـــاد العربى لصناعة السينما الذى يقف وراءه ، ويعتبره حتى وسيلة من وسائل الترويج التجارى .

- ٦ -

ولقد كان من المفيد متابعة المهرجان اليهودى ، ولكن كان من المستحيل التوفيق بين متابعته ومتابعة المهرجان العربى فى نفس الوقت ومشاهدة الافلام الجديدة فى باريس خلال عشرة أيام من الزمن . ولكن قائمة أفلام المهرجان اليهودى كافية للتدليل على ما يراد من هذا المهرجان الوحيد من نوعه فى العالم .

فلا يوجد مهرجان فى أى بلد ينسب السينما إلى ديانة معينة ، الا مهرجان "السينما اليهودية" هذا . فرغم أن كل دين هو العنصر الاساسى والا هم فى حياة الافراد والشعوب ، ورغم أن لكل دين ثقافته وحضارته ، الا أن الابداع الفنى جزء من الثقافة الوطنية ، أو البناء الفكرى لكل مجتمع ايا كانت ديانات المبدعين . ولكن الخلاف بين اليهودية وبين الديانات السماوية الأخرى ، وهى المسيحية والاسلام ، ان اليهودية تعتبر

القومى هو المقدس والمقدس هو القومى كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى موسوعة "المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . وارتباط الدين بالقومية هذا الارتباط الكامل يجعل الكفر بالله لانكوصا عن القيم الاخلاقية المطلقة كما هو الحال فى الاسلام والمسيحية وانما ضرباً من "الخيانة الوطنية" ، وهذا الخلط بين الدين والقومية هو حجر الاساس للوعى الصهيونى الزائف .

ومن الضرورى كما يؤكد الدكتور المسيرى فى موسوعته أن ننبه انفسنا كعرب أننا لسنا فى معركة مع اليهودية أو مع أى من الاديان السماوية فى العالم ، وأن اهتمامنا باليهودية يرجع إلى أنها ، كجزء من التراث اليهودى ، تعد أحدى مكونات الوجدان الصهيونى / الاسرائيلى الذى تأثر بهذا تأثرا عميقا ، وأن حديثنا عن اليهودية انما يركز على الجوانب التى لها علاقة بالوعى الصهيونى الزائف الذى هو ، رغم زيفه ، أحد العناصر الاساسية فى الصراع العربى الاسرائيلى .

ان من حق كل فنان أن يعبر عن ثقافته الخاصه فى أعماله الفنية ، والدين جزء هام من هذه الثقافة أن لم يكن الاهم بل أن هذا التعبير دليل على الاصالة ، ونتيجة للاصالة فى نفس الوقت . ولذلك فإن من الطبيعى أن يتميز الفنان اليهودى عن الفنان المسلم أو الفنان المسيحى ويختلف ، وأقول يتميز ويختلف لا يمتاز أو يخالف . ولكن مهرجان السينما اليهودية يؤكد على اليهودية كقومية ، وبالتالى يعتبر فى حقيقته مهرجانا صهيونيا .

اننا نسلم بأنه ليس كل يهودى صهيونى ، وليس كل صهيونى يهودى ، ولكن الصهيونية تعتبر كل يهودى صهيونى ، وكل من ليس يهوديا ليس صهيونيا ، وكل من يؤمن بهذه المقولة يخدم الصهيونية أدرك ذلك أم لم يدركه . ومهرجان السينما اليهودية يخدم الصهيونية بابراز اليهودية كقومية اذ يعتبر كل يهودى اخرج فيلما فى أى مكان أو أى زمان هو جزء من سينما قومية يطلق عليها السينما اليهودية ، وتلك خرافة جديدة من الخرافات اليهودية الصهيونية التى لا تستقيم مع أى تفكير علمى . حتى الادب بالمكتوب باللغة العبرية هو أدب عبرى ينتمى إلى لغته ، وحتى السينما الناطقة باليديشيه – وقد عرض منها المهرجان فيلما واحدا – هى سينما يديشيه تنتمى إلى اللغة الناطقة بها .

ان اعتبار أدب كافكا أدب يهودى حماقة ليس مثلها حماقة ، وكذلك سينما أرنست لوبيتش الذى تكاد أفلامه تخلو من مجرد الحديث عن اليهود . واذا كان الخلط بين الدين والقومية قد أدى بالقائمين على المهرجان إلى اعتبار المصور الفوتوغرافى الالمانى رومان فيشناك مثل الرسام البولندى موريزى جوتليب مثل السينمائى الامريكى وودى الآن من حيث أنهم ينتمون جميعا إلى ثقافة واحدة باعتبارهم من اليهود ، فان الخلط والتخليط قد أدى إلى خطأ فادح لا يستقيم حتى مع المنطق اليهودى الصهيونى المشوش المضطرب ، وهو اعتبار كل فيلم يتناول

اليهود جزء من السينما اليهودية المزعومة حتى لو كان مخرجه لوكينو فيسكونتى .

ان القائمين على مهرجان السينما اليهودية لا يملكون الحق الاخلاقى أو الدستورى فى فرض اعتبار سينما هذا الفنان أو ذاك جزء من الثقافة اليهودية لمجرد أنه يهودى . فالاصل أن ابداع الفنان جزء من ثقافة بلاده الوطنية وله وحده الحق - اذا كان يهوديا - فى اعلان أن كان يعتبر نفسه منتميا إلى ثقافة بلاده ، أو إلى الثقافة اليهودية . فلسنا ندعى أنه لا يوجد فنان يهودى يوافق على ذلك المنطق الصهيونى ، ولكننا نقول أن هذا حقه وحده ، وليس فى كتابات كافكا ما يؤكد ذلك ، ولا فى أفلام أو كتابات لوبيتش أو غيره من الذين فرض عليهم المهرجان فرضا المنطق الذى يروج له .

وليس معنى هذا أن المهرجان كان يخلو من الافلام التى تعتبر اليهودية قومية وتصل بذلك إلى الوعى الصهيونى الزائف ، بل على العكس وانما نريد أن نسمى الظواهر باسمائها الحقيقية لأن هذه الافلام هى صهيونية وجزء من السينما الصهيونية التى يتوجب على كل مثقف متحضر فى العالم كله ، وليس فى الوطن العربى فقط ، أن يعمل على كشفها وفضح حقيقتها العنصرية ومجابهتها .

نشرة نادى سينما القاهرة

١٩٨٣/٥/٢٣

مسلسل السادات

يعتبر المسلسل التليفزيونى الامريكى "السادات" ، أو "سادات" كما يطلقون عليه بدون ألف لام التعريف ، أهم الاعمال التليفزيونية الأمريكية التى تناولت مشكلة الصراع العربى الصهيونى أو ما يطلقون عليها مشكلة الشرق الأوسط .

أنها وجهة نظر "الشريك الكامل" كامله فى التاريخ والحاضر والمستقبل . ومن هنا تأتى أهمية المسلسل ، ومن هنا أيضا تأتى خطورته . فالمقصود من هذا المسلسل الذى تكلف ملايين الدولارات هو الترويج لوجهة النظر الصهيونية فى الصراع ، والتأكيد عليها لدى الرأى العام الأمريكى ، والغربى عموما ، بل والرأى العام العربى أيضا .

ومواجهة مثل هذا المسلسل وغيره من الانتاج الصهيونى فى السينما والتليفزيون لا تكون بمنعه من العرض هنا أو هناك . فلم يعد المنع مجديا فى عصر الفيديو ، ولم يكن المنع كافيا فى أى عصر على أية حال . وانما المواجهة الحقة تكون بمناقشة هذه الاعمال ، وكشف الوعى المزيف الذى تروجه فى كل مكان تعرض فيه ، بل أننى أرى عرضها على الشاشات العربية شريطة مناقشتها بالتفصيل قبل العرض .

ولعل أحدى شركات أو هيئات التليفزيون العربية تقوم بأنتاج برنامج خاص عن مسلسل السادات يدور فيه الحوار بين المجموعة التى صنعت المسلسل وبين مجموعة من الخبراء العرب فى التاريخ والعلوم

والسياسة والفن . إن من شأن هذا البرنامج أن يوضح وجهة النظر العربية ، ويصحح كل الأخطاء التاريخية بالوثائق السينمائية التسجيلية فى مقابل المشاهد التمثيلية المزيفة . وتأتى بعد ذلك مهمة أجهزة الاعلام العربى فى عرض هذا البرنامج فى كل مكان حيث عرض المسلسل .

- ١ -

مسلسل "سادات" من أنتاج أفلام كولومبيا التليفزيونية وسنتربونيت للانتاج ، وقد اشترك فى انتاجه لحساب هاتين الشركتين دانييل بلات وروبرت سينجر الذى سبق وأنتج "لاسى وملكة المسيسبى" ، و "الكلب والقط" وغيرهما من المسلسلات الامريكية ، والذى يتولى منذ عام ١٩٧٨ ادارة الانتاج فى شبكة أن بى سى الامريكية .

كتب المسلسل ليونيل شيتونيد الذى ولد فى لندن عام ١٩٤٠ ، وبدأ حياته العملية فى شركة كولومبيا بنيويورك عام ١٩٦٨ ، ثم انتقل للعمل بمقر نفس الشركة فى لندن بعد ذلك . وقد كتب شيتونيد العديد من الافلام مثل "دودى كرافيتز" ، و "حدث فى عيد الميلاد" ، و "هانوى - هيلتون" ، والعديد من المسلسلات مثل "يوميات آدم" ، و "غرفة الضيوف" ، و "أرجوك تذكرنى" كما أخرج فيلما ومثل فى آخر .

أما المخرج ريتشارد ميشاليس فهو مخرج تليفزيونى ، وليست له أية أفلام سينمائية ، ومن أعماله "الحب على الطريقة الامريكية" ، و "ضاع زوجى" ، و "اترك الامس خلفك" ، و "ذات مرة عائلة" ، و "اسمى جونا" .

ودانييل بلات وروبرت سينجر وليونيل شيتونيد وريتشارد ميشالين وكذلك مدير تصوير مسلسل السادات جان دى بونت هم جميعا صناع أفلام ومسلسلات من الدرجة الثالثة ، وليس لاى منهم عمل يذكر لقيمته الفنية أو حتى التجارية . أنهم مثل آلاف العاملين فى هذه الصناعة ، ولا يتميزون بشئ خاص .

ومن بين جميع الممثلين والممثلات فى مسلسل السادات يعتبر لويس جوسيت الذى قام بدور السادات أكثرهم أهمية ، وخاصة بعد فوزه بأوسكار أحسن أدوار الرجال الثانية عام ١٩٨٣ عن دوره فى فيلم "ضابط وجنتلمان" . وهو من أفلام أمريكا - ريجان التى تمجد العسكرية على نحو يذكرنا بأفلام المانيا - هتلر فى الثلاثينيات .

ولد لويس جوست عام ١٩٢٧ ودرس فى جامعة نيويورك ، ومثل العديد من الادوار فى السينما والمسرح والتليفزيون . ومن أشهر أعماله أفلام "سيد الأرض" ، و"الاعماق" ، و "أمطرت يوم رحلت" ، ومسلسلات "جذور - الجزء الأول" الذى فاز عن دوره فيه بجائزة ايمى عام ١٩٧٧ ، و "الافريقيون" و "هذا الرجل يقف وحيدا" ، و ومسرحيات "الفتى الذهبى" ، و "السود" و "عزيزى شارلى" .

وبينما قام لويس جوسيت بدور السادات قامت مادولين سميث بدور زوجته چيهان ، وجون رايز - دافيز بدور عبد الناصر ، وبارى مورسى بدور مناحم بيجين ، ونيما بير سوف بدور ليونيد برجنيف ، ووالت هانا بدور جيمى كارتر ، وريفين باريرتام بدور يوسف السباعى ، وبوبى سيرنا

بدور شقيق السادات ، إلى جانب عدد آخر من الممثلين والممثلات منهم الممثل الاسرائيلى اهارون امبالى الذى كان أحد ضيوف مهرجان القاهرة السينمائى الدولى عام ١٩٧٨ .

وقد استغرق تصوير المسلسل ٤٨ يوما لمدة ١٦ ساعة يوميا ، وتم التصوير الداخلى فى هوليود والخارجى فى المكسيك . وفى يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٨٣ نشر بالصحف الامريكية الاعلان التالى :

دراما الشرق الاوسط التى بدأت

بـ "امرأة اسمها جولدا"

تتفجر فى "سادات"

. . . .

أسـير بريطانـى

ارهـــابـــى

ضـابـط جيش

زعـيم عـالمـى

رئيـس دولـة

أمـل فـى السلام

رجـل المصـير

ســادات

اليـوم الجـزء الأول ٨ مسـاء

ويعاد ٢ نوفمبر فى نفس الموعد

الجزء الثانى ٧ نوفمبر ٨ مساء

ويعاد ٩ نوفمبر فى نفس الموعد

واشارة الاعلان إلى مسلسل "امرأة اسمها جولدا" عن حياة جولدا مائير ، والى "دراما الشرق الأوسط" تأكيد واضح على الطابع السياسى للمسلسل ، ودعوة للمتفرج المتهم إلى مشاهدته .

وقد أذيع مسلسل السادات الذى تبلغ مدة عرضة ٢٤٠ دقيقة من ١٠٤ محطة تغطى ٨٥٪ من الاراضى الأمريكية عبر شبكات التليفزيون القومية الثلاث ، وهى أ . بى . سى وسى . بى . أس وان . بى . سى . وشاهده أكثر من مائة مليون متفرج أمريكى .

– ٢ –

يبدأ الجزء الأول من مسلسل السادات بالانسحاب الاسرائيلى من سيناء فى٢٥ أبريل ١٩٨٢ ، ثم يعود إلى الماضى عام ١٩٤٥ ، وينتهى باستقالة جمال عبد الناصر بعد حرب ١٩٦٧ ، بعد أن يصور حرب ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ ، والوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، والانفصال وحرب اليمن عام ١٩٦١ .

ويبدأ الجزء الثانى بوفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ ، وسيطرة السادات على الحكم عام ١٩٧١ ، وطرده الخبراء السوفيت من مصر ، ثم قيادته لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وزيارته لاسرائيل عام ١٩٧٧ ، وتوقيعه اتفاقيات كامب داڤيد عام ١٩٧٨ ، ثم اغتياله يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ .

وهذا التتابع التاريخي في حد ذاته يعني أن موضوع مسلسل السادات هو تاريخ مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى مطلع العقد التاسع من القرن ، والتركيز على الحروب العربية الصهيونية أعوام ٤٨ . ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، وهي عناوين رئيسية لفصول المسلسل تكتب على الشاشة ضمن عناوين أخرى يعني أن تاريخ مصر في هذه الفترة يطرح أساسا من خلال الصراع العربي الصهيوني ، وخاصة أن الربع الأخير من المسلسل يتناول زيارة السادات لاسرائيل ، وتوقيع اتفاقيات كامب داڤيد أو الحل الامريكي لذلك الصراع .

والتتابع التاريخي المجرد لاحداث المسلسل يعني ثالثا أن الجزء الأول منه عن فترة حكم الرئيس عبد الناصر ، وأن الجزء الثاني منه عن فترة حكم الرئيس السادات . أما كيف عرض هذا التاريخ من وجهة النظر الصهيونية ، فقد تم ذلك بتجاهل أحداث معينة ، والتركيز على أحداث أخرى ، واختراع احداث ثالثة لم تقع أصلا الا في خيال صانعو المسلسل الصهاينة سواء كانوا يهودا أم غير يهود . ومن المهم هنا ملاحظة أنه لا توجد لقطة تسجيلية واحدة في هذا المسلسل ، ولا حتى على سبيل التنويع الدرامي .

وعدم استخدام اللقطات التسجيلية أو اللقطات الارشيفية السينمائية في المسلسل يهدف إلى تمرير الصورة التي يقدمها للملك فاروق والرئيس عبد الناصر . فظهور صورة واحدة حقيقية لأى منهما كان من شأنها فضح الصورة المزيفة تماما لكل منهما ، فلا كان الملك هذا

الصعلوك الذى يفتح ساقيه على مقعده ويلقى باللب والسودانى فمه من بعيد مثل عضو فى عصابة من عصابات الكاوبوى ، بل كان رجلا وسيما وأنيقاً وملكاً بكل معنى الكلمة فى سلوكة وحركاتة وسكناتة . ولا كان الرئيس عبد الناصر ذلك الضابط البدين نو الوجه القبيح والأنف الهابطة على ذقنه والسلوك العصبى المتوتر ، بل كان بدوره رجلاً وسيما وأنيقا يتميز باللياقة البدنية العسكرية الكاملة ، ولو كان ذلك الرجل العصبى المتوتر دائما لما استطاع أن يكون جمال عبد الناصر الذى حفر اسمه فى تاريخ مصر والعالم كأهم شخصية فى تاريخ مصر منذ محمد على باشا الكبير .

أما الأحداث التى تجاهلها المسلسل ، فهى انشاء اسرائيل بقرار من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ يتم بمقتضاه تقسيم فلسطين إلى دولة للفلسطينيين العرب ، وأخرى للاسرائيليين اليهود ، وهو القرار الذى أدى إلى حرب ١٩٤٨ ، وغارة بن جوريون على غزة عام ١٩٥٥ التى أدت إلى لجوء عبد الناصر إلى المعسكر الشيوعى للحصول على السلاح ، ورفض الولايات المتحدة الامريكية تمويل مشروع السد العالى عام ١٩٥٦ الذى أدى إلى تأميم قناة السويس . كما يتجاهل المسلسل دور ثورة يوليو ١٩٥٢ فى تحرير مصر من الاستعمار البريطانى عام ١٩٥٤ .

وفى الجزء الثانى ، أو بالأحرى فى مرحلة ما بعد استقالة عبد الناصر ، يتجاهل المسلسل مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ احتجاجا على أحكام المحكمة العسكرية الخاصة بالمسئولين عن هزيمة ١٩٦٧ ، ويتجاهل

حرب الاستنزاف التى قادها عبد الناصر عام ١٩٦٩ ، وغارات اسرائيل على العمق المصرى فى ذلك العام . كما يتجاهل مظاهرات الشعب المصرى فى يناير ١٩٧٧ احتجاجا على سياسة الانفتاح الاقتصادى التى بدأت عام ١٩٧٤ بعد حرب أكتوبر ، والتى كانت من بين العوامل الرئيسية لرحلة السادات إلى اسرائيل فى نفس العام .

وإلى جانب كل ذلك يتجاهل المسلسل ثورة الشعب الفلسطينى المعاصرة ، والتى بدأت عام ١٩٦٥ ، ومعركة الكرامة عام ١٩٦٨ ، واحداث سبتمبر ١٩٧٠ فى الاردن ، والحرب فى لبنان منذ عام ١٩٧٥ . فليس هناك وجود للشعب الفلسطينى فى مسلسل السادات ، وذلك ايمانا بالمقولة الصهيونية الشهيرة أن أرض فلسطين أرض بلا شعب هاجر اليها شعب بلا أرض ، وله حقوق تاريخية فيها .

والاحداث المختلقه فى مسلسل السادات هى الادعاء بوجود اسرائيل قبل عام ١٩٤٨ من خلال الخريطة التى تظهر قبل ذلك العام ، والادعاء بأن السادات كان مختلفا مع عبد الناصر منذ البداية ، وكان الحكيم الذى يحسم الصراع داخل مجلس قيادة الثورة ، والادعاء بأن تأميم قناة السويس تم فى قاعدة عسكرية وباسم مجلس قيادة الثورة من أجل "مواجهة الجوع والافلاس" ، وان الانسحاب الاسرائيلى من سيناء عام ١٩٥٦ كان بناء على وعد من الرئيس عب الناصر للرئيس الامريكى ايزنهاور بمرور سفن اسرائيل فى القناة ، وأن رفض أمريكا الضغط على اسرائيل للانسحاب عام ١٩٦٧ كان بسبب عدم وفاء عبد الناصر بوعده ،

والادعاء بأن الاتحاد السوفيتي تحالف مع عبد الناصر عندما بدأ يدعو إلى "الاشتراكية الاسلامية" في مواجهة "الصهيونية واليهودية والمسيحية" ، والادعاء بأن عبد الناصر بدأ الحرب ضد اسرائيل عام ١٩٦٧ ، وأن هذه الحرب كانت تحت شعار "حرب التحرير ضد اليهود" ، وأن السادات حذر عبد الناصر من ذلك الهجوم لأنه لا يثق في السلاح السوفيتي .

ويستمر مسلسل الادعاءات فنرى السادات يعرف هزيمة ١٩٦٧ من راديو اسرائيل ، فيهرع لابلاغ عبد الناصر ، وكأن عبد الناصر ليس لديه حتى راديو مماثل لما لدى السادات ، ونرى السفير السوفيتي يعرض على عبد الناصر قيادة السوفيت للقوات المصرية ، ونرى عبد الناصر مترددا في قبول العرض ، بينما يحسم السادات الموقف بالرفض ، وأخيرا نرى عبد الناصر يسلم للسادات ويقول له "جاء دورك يا أنور" ، ويملي استقالته على سكرتيره العسكري ، وليس في خطابه الشهير الذي كلف فيه زكريا محي الدين ، والذي خرجت على اثره ملايين المواطنين في كل البلاد العربية ترفض استقالته ، وتعلن تمسكها بقيادته .

ويستمر مسلسل الادعاءات في الجزء الثاني حيث نرى وفاة عبد الناصر خبراً في جريدة . وليس جنازة شعبية لا مثيل لها في تاريخ مصر ، ونرى يوسف السباعي مستشارا صحفيا للسادات قبل حرب أكتوبر ، وليس محمد حسنين هيكل ، ونرى الرئيس السوفيتي ليونيد برجنيف يعرض على السادات قوات كوبية ، فيرفض السادات ويبلغه قراره بطرد الخبراء السوفيت في موسكو عام ١٩٧١ ، بينما أعلن

الســادات قـرار طرد الخبـراء فى القـاهـرة عـام ١٩٧٢ ، ونرى مظاهرات الطلبة عام ١٩٧٢ التى طالبت بحرب التحرير ضد اسرائيل والصهيونية عبارة عن اجتماع فى مدرج جماعى يحضره طلبة ملتحون بزى اسلامى موحد ، ونرى السادات يقول "اننا سنعبر القناة لأننا مصريون قبل أن نكون عرب" ، بينما الواقع أن من بين أهم عوامل نجاح القوات المصرية فى عبور القناة عام ١٩٧٣ كان التضامن العربى الذى نجح السادات فى الوصول اليه ، والذى انعكس بوضوح فى دور البترول العربى فى المعركة .

ويدعى المسلسل أن نجاح القوات المصرية فى عبور القناة والتقدم فى سيناء عام ١٩٧٣ كان بسبب استغلال امتناع اليهود عن العمل ، واستغراقهم فى الصلاة يوم عيد الغفران . وكان هذا بالطبع أحد أسباب اختيار ذلك اليوم ، ولكنه ليس السبب الوحيد بالقطع ، ولا يمكن لأنسان عاقل أن يتصور ذلك . وتبدو القوات المصرية فى ذلك المشهد أقرب إلى قوات الهنود الحمر فى أفلام الكاوبوى عندما تهاجم السادة البيض الذين أطلقوا عليهم الهنود الحمر لأن الأسبانى الابيض كولومبس تصور أنه وصل إلى الهند .

ويدعى المسلسل أن القيادة المصرية طلبت توجيه الدبابات نحو جنوب سيناء ، ولما أدركت أن قائد سلاح الدبابات هو اريل شارون غيرت توجيه الدبابات نحو شمال سيناء . ويبرز المسلسل عبور قوات شارون المضاد فيما عرف بثغرة الدفرسوار ، ولكنه لايصور قط العبور المصرى

إلى سيناء .

ويدعى المسلسل أن دوافع السادات للقيام برحلته إلى اسرائيل كانت استشهاد شقيقه الطيارفى حرب أكتوبر حيث نراه يقسم على جثته أن لاحرب مع اسرائيل بعد اليوم ، وقيام المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بالكشف عن خطة دبرها الرئيس الليبى معمر القذافى لاغتيال السادات فى القاهرة ، وقرار مناجم بيجن بابلاغ السادات هذه الخطة واحباطها . والمسلسل بذلك ، وحتى لوكان ما يدعيه صحيحا يحول "المبادرة التاريخية" التى صنع المسلسل من أجل ابرازها إلى مبادرة أقل من جغرافية ، بل عمل شخصى بحت وبدوافع شخصية بحتة .

وتتكامل الاحداث المستبعده مع الاحداث المختلقة لتجعل الاحداث المعروضة معبرة تماما عن وجهة النظر الصهيونية فى الصراع العربى الصهيونى ، وفى مراحله المختلفة . فالهدف الوحيد والاساسى هو أن يدرك المشاهد أن حل هذا الصراع هو الحل الامريكى ، وأن الحل الامريكى هو الحل الصهيونى . فالعرب ضعفاء متخلفون مثل الهنود الحمر ، ولا وجود لشعب يدعى الشعب الفلسطينى ، والاتحاد السوفيتى لا حول له ولا قوة ، والسلاح السوفيتى لا يمكن العرب من شئ ، وعبد الناصر لم يكن سوى صورة مبكره للخمينى ، اشتراكى اسلامى متعصب ضد اليهود بل وضد المسيحيين أيضا ، والسادات هو العاقل الوحيد ، ومنذ البداية ، الذى يعرف الطريق إلى الحل الوحيد المتاح (الامريكى الصهيونى أو الصهيونى الامريكى) ، ولذلك يبدأ الفيلم بتحرير سيناء فى

٢٥ أبريل ١٩٨٢ بناء على هذا الحل ، وينتهى فى كامب داقيد التى جاءت بهذا الحل .

ولكى تكتمل وجهة النظر الصهيونية كان لابد أن يتحدث بيجن فى كامب داڤيد عن ضياع اليهود فى العالم لمدة عشرين قرنا ، ورغبتهم فى السلام ، والتأكيد على أن الصراع العربى الصهيونى هو صراع دينى بين المسلمين واليهود ، ولذلك قام المسلمون الذين يدعمهم القذافى بقتل السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، وآخر لقطة فى المسلسل هى السادات يقوم من مقعده على منصة العرض العسكرى ليواجه مصيره بقوة وشجاعة .

- ٢ -

وكل التفاصيل الدرامية تدعم وجهة النظر الصهيونية التى يعبر عنها المسلسل . ففى البداية ، وأثناء نزول العلم الاسرائيلى على أرض سيناء فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ نرى لقطة لمجندة اسرائيلية تبكى وسط جنود اسرائيل ، وكأنهم يتنازلون عن أرضهم من أجل السلام ، ونرى جندى مصرى وآخر اسرائيلى يتعانقان ، ويترحمان على السادات صانع هذا اليوم .

والقاهرة فى المسلسل هى مدينة تتحرك فيها الجمال فى كل مكان ، ومنذ عام ١٩٤٥ ، وثورة يوليو ١٩٥٢ هى خروج الجيش إلى الشوارع ، دون الشعب على طريقة انقلابات أمريكا اللاتينية ، ورجال

الثورة بلهاء خاضعون لعبد الناصر الديكتاتور ، والمشير عامر فتى وسيم ناعم يفرض عليهم الخضوع لعبد الناصر، والسفير البريطانى يعلم بقرار تأميم القناة قبل مجلس الثورة حتى أن السادات يسأله مندهشا بعد ذلك كيف عرفت ، أما السفير الامريكى فلا يجلس الا على رأس المائدة فى الاجتماع مع عبد الناصر ورجال الثورة ، وأما السادات فهو المنزعج من قرارات عبد الناصر دائما : من تأميم القناة إلى الوحدة مع سوريا ، وارسال القوات المصرية إلى اليمن ، وحتى زوجته جيهان منزعجة من حكاية الصاروخ الظافر ، وهى تغلق التليفزيون رافضة هذه الغوغائية السخيفة .

وصورة السادات فى المسلسل المعنون بأسمه هى صورة سياسى ميكافيللى يرفض كل ممارسات عبد الناصر حتى يظل قريبا من الحكم كما يقول بالنص لزوجته ، أو كما يقول له السفير البريطانى "يا إلهى . . أنت ممثل جيد وسوف تحصل عليها فى النهاية" . وحتى أثناء حرب ١٩٦٧ نراه يطل من أعلى على غرفة العمليات العسكرية التى تبدو أقرب إلى ملهى ليلى ، وهى زاوية للكاميرا تعبر عن نفسها .

ولكن المسلسل يغفر للسادات كل هذا ما دام يقول للسفير الامريكى فور توليه للسلطة عام ١٩٧٠ أنه لن يعادى أمريكا ، ومادام يعادى السوفيت إلى درجة أنهم يحاولون اغتياله ، ومادام قد ذهب إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ ، وإلى كامب داڤيد عام ١٩٧٨ ، ولكنه مثل يوسف السباعى الذى اغتيل فى قبرص ، يدفع ثمن السلام ، ويتم اغتياله فى العرض

العسكرى بالقاهرة .

وكما يشير المسلسل فى بدايته إلى السادات الارهابى الذى اشترك فى اغتيال أمين عثمان ، يشير فى النهاية ، ومن خلال الحوار مع مناجم بيجن فى كامب داڤيد إلى هذه الخلفية فى حياته عندما يسأل بيجن ماذا سنفقد فيرد سنفقد حياتنا ، فيقول السادات وماذا يهم ذلك بالنسبة الينا نحن الارهابيان .

- ٤ -

وهناك العديد من الاخطاء فى مسلسل السادات . فالجندى المصرى ليس كثيف الشعر مثل الجندى الاسرائيلى الذى يظهر معه فى الاحتفال برفع العلم المصرى على سيناء فى البداية ، فهو جندى منضبط فى جيش عريق وليس عضوا فى عصابات ارهابية مسلحة ، والسادات عام ١٩٤٥ لم يكن جاويشا بثلاثة أشرطة ، وجريدة الأخبار التى يقرأها فى ذلك العام لم تكن قد صدرت بعد ، ومن المستحيل أن يكون قد عاد إلى قريته فى سيارة مكشوفة بعد الافراج عن قضية أمين عثمان .

وزواج المسلمين فى مصر لايتم بوضع يد العروسة فى يد العريس كما فى مشهد زواج السادات وجيهان ، والرجال لا يخلعون الاحذية فى منتصف المساجد ، وجمال السادات ابن السادات وجيهان لم يولد عام ١٩٤٨ . وانما عام ١٩٥٧ ، وليس من عادات رجال مصر تقبيل زوجات اصدقائهم أمامهم عند تبادل الزيارات بينهم كما يفعل عبد الناصر مع

چيهان ، ولم يحدث أن ألتقى عبد الناصر مع الملك فاروق قط ، ولم يكن السادات قاضى محكمة الثورة الوحيد ، ودار القضاء العالى ليست مجلس الأمة أو مجلس الشعب كما تبدو فى هذا المسلسل أكثر من مرة ، والمؤامرة السوڤيتية المزعومة لقتل السادات بعد توليه السلطة فى مصر ليس من المعقول ألا تتم لمجرد عدم وجود تليفون فى سيارة رئيس الجمهورية ، وشقيق السادات الذى استشهد فى حرب أكتوبر لم يكن اسمه لطيف ، وانما عاطف ، وان كان معنى الكلمتين واحد فى اللغة الانجليزية ، وچيهان السادات لم تسافر مع زوجها إلى اسرائيل ، وقتل يوسف السباعى لم يكن فى مطار قبرص ، وانما فى هيلتون قبرص ، وتوقيع كامب داڤيد لم يكن داخل مغلقة ، وانما فى حديقة البيت الأبيض الامريكى ، والرجال الذين اغتالوا السادات لم يكونوا ملتحين ، فضلا عن حقيقة كونهم من صميم الشعب المصرى ، ولم تحركهم أية قوى من خارج مصر ، عربية أو اسلامية أو أجنبيه كما ثبت بعد ذلك من التحقيقات والمحاكمات .

وكما أن طرد الخبراء السوڤيت لم يتم عام ١٩٧١ ، بل عام ١٩٧٢ ، فان المباحثات السرية بين رجال السادات ورجال بيجن فى مكان ما من شمال أفريقيا كما يكتب صناع المسلسل على الشاشة لم تتم بعد زيارة السادات لاسرائيل عام ١٩٧٨ ، وانما قبل الزيارة عام ١٩٧٧ .

الشراع - بيروت

٩ أبريل ١٩٨٤

كوستا جافراس داخل أمريكا

"خيانه" أول فيلم أمريكى من اخراج كوستا جافراس تدور احداثه داخل أمريكا . أنه الفيلم الحادى عشر للمخرج اليونانى الأصل خلال نحو ربع قرن من العمل فى السينما . وفى "خيانه" يتناول جافراس العنصرية فى المجتمع الأمريكى المعاصر لزمن انتاج الفيلم عام ١٩٨٨ ، بنفس الشكل الذى ابتدعه فى فيلمه الاشهر "زد" عام ١٩٦٨ ، وهو شكل الفيلم "البوليسى - السياسى" .

لقد عرفت السينما التسجيلية المخرج الذى يعبر فى افلامه عن أهم أحداث وقضاياعصره ، مثل الهولندى يوريس ايفانس ، والروسى رومان كارمن . ولعل كوستا جافراس هو أول مخرج فى السينما الروائية يعبر عن احداث وقضايا عصره . فهو يعتبر العالم - كل العالم - مسرحا لأحداث أفلامه . ولذلك ينتقل من ادانة الديكتاتورية فى اليونان عام ١٩٦٨ فى "زد" إلى ادانة القهر الستالينى فى شرق أوربا فى "الاعتراف" عام ١٩٦٩ ومن ادانة العنصرية النازية فى "القانون الخاص" عام ١٩٧٥ إلى ادانة الديكتاتورية العسكرية فى شيلى فى "مفقود" عام ١٩٨٢ ، ومن ادانة العنصرية الصهيونية ضد العرب فى فلسطين فى "هانا . ك" عام ١٩٨٣ إلى ادانة العنصرية الامريكية ضد اليهود والسود فى "خيانه" عام ١٩٨٨ .

وسواء اعتمد على وقائع حقيقيه ، أو متخيله ، يعمد جافراس إلى استخدام البناء الدرامى لما عرف بأسم الفيلم البوليسى ، لأنه يهتم بتوصيل أفكاره إلى جمهور السينما السائدة ، وليس فقط التعبير عن هذه الافكار سواء وصلت إلى ذلك الجمهور أم لم تصل مثل جوادر مثلا أو جان مارى ستراوب ، وغيرهما من المخرجين الذين يعبرون عن وجهات نظر سياسية مباشرة فى احداث العصر وقضاياه .

"خيانه" نموذج للفيلم "البوليسى - السياسى" . فالفيلم يبدأ بأغتيال مذيع يهودى فيّ أحدى محطات الراديو الخاصة فى شيكاغو . وبعد قتله يكتب القتله حول جثته ثلاثه حروف هى "زد" ، "أو" ، جى" . ومن القتل ننتقل إلى مشهد حصاد فى أحدى المزارع حيث نرى كاتى فيليبس تعمل على آلة الحصاد باعتبارها عاملة من تكساس . ولكن سرعان ما نعرف كمتفرجين أنها كاتى ويفر من المباحث الفيدراليه ، أى المختصة بكل الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنها فى مهمة للكشف عن قتلة مذيع الراديو .

تشك المباحث الفيدارالية فى صاحب المزرعه الشاب جارى سيمونز ، الذى حارب فى ڤيتنام ، وحصل على وسام لقتله خمسة أفراد من الفيت كونج . ولكن المباحث لا تملك الدليل ، وتأمل أن تتمكن كاتى من العثور عليه .

فى البداية تتعاطف كاتى مع جارى الارمل الذى يعيش مع والدته وطفليه ، بل ويتبادلان الحب . وفى يوم ما يدعوها جارى إلى حفلة صيد

فتكتشف أنها حفلة لصيد رجل اسود برئ يحضروه إلى الغابة فى الليل ويعطوه عشر طلقات ، ثم يطاردوه إلى أن يقتلوه . وتدرك كاتى أن جارى عضو فى منظمة تعتقد أن الصهيونية تحكم أمريكا ، وأنها تعمل على افساد اخلاق الشعب الامريكى بواسطة رجال الشرطة السود . ويتضح أن الحروف الأولى هى زيونست أوكيوباشن جفرنمنت ، أى حكومة الاحتلال الصهيونى .

وعندما تطلب كاتى من ادارة المباحث انهاء مهمتها ، ترفض الادارة ، وتدفعها إلى الاستمرار رغم شكوك ويز صديق جارى فى أنها تعمل بالمباحث . بل وتدفعها إلى الموافقة على الاشتراك فى سرقة بنك مع جارى وجماعته لتمويل التنظيم ، مما يورطها فى قتل أحد حراس البنك . وتعيش كاتى فى رعب شديد من جارى خاصة بعد أن يعترف لها أنه قتل زوجته بواسطة ويز . وبعد قتل ويز اثناء سرقة البنك تهدأ قليلا لأنه الوحيد الذى كان يشك فيها ، ولكن أحد مساعدى مرشح لرئاسة الجمهورية ، وعضو فى التنظيم ، يقدم إلى جارى ملف كاتى فى المباحث ، ويقرر جارى أن يأخذ كاتى إلى مبنى مهجور فى شيكاغو لينفذ عملية اغتيال المرشح لرئاسة الجمهورية .

وفى ذلك المبنى يقوم جارى بابلاغ كاتى أنه يعرف حقيقة عملها ، فتقتله كاتى قبل أن يغتال المرشح ، ومع ذلك يتم الاغتيال من مكان آخر ، للدلاله على قوة التنظيم ، بل ونرى مساعد المرشح الذى قدم ملف كاتى إلى جارى ، يرشح نفسه بدلا منه ، للدلاله على وصول التنظيم إلى أعلى

السلطات فى البلاد . وفى اللقطات الأخيرة نرى كاتى وقد تركت جهاز المباحث ، وأصبحت أقرب إلى التيه والضياع .

وربما يؤخذ على سيناريو الفيلم كما نشر ريتشارد كورليس فى تايم ٢٩ أغسطس ١٩٨٨ "أن جارى يدعو كاتى إلى حفلة صيد الرجل الاسود البرئ كما لو كان يدعوها إلى العشاء ، ويدعوها إلى الاشتراك معه فى سرقة البنك كما لو كان يدعوها لمشاهده فيلم فى السينما" ، ولكن من النقاط الايجابية فى السيناريو مقابل ذلك أنه لم يقدم جارى وبعض من جماعته على نحو نمطى ، فهم فاشست ولكنهم يعانون من الضعف . وبقدر ما نراهم جلادين بقدر ما نراهم ضحايا جهلهم ، وضحايا بعض الأفكار السائدة فى مجتمعهم . ويبدو ذلك بوضوح فى مشهد معسكر الجماعة عندما يأتيهم أعضاء من الحزب النازى السرى الجديد بملابسهم الرسمية ، فيرفض جارى التعاون معهم ، ويقول أن والده قتل فى الحرب العالمية الثانية وهو يحارب النازى .

جارى اذن يمارس كل ممارسات النازى ، ولكنه لا يدرك ذلك . وقد أدى توم بيرنجر دوره ببراعه ، كما أدت ديبرا وينجر دور كاتى فى دور من أحسن أدوار هذه الممثلة الموهوبة الرائعة . وما نأخذه على الفيلم حقا من وجهة النظر العربية استخدام كلمة الصهيونية ، ولا أقول مصطلح الصهيونية لأنها فكرة غير علمية متناقضة ومضطربة على نحو لا يجعل منها ايديولوچية ، ولا تتوفر فيها الشروط اللازمة لتوصف بأنها مصطلح .

أن الذين يعتقدون أن هناك مؤامرة يهودية عالمية وراء أفساد

الاخلاق سواء فى أمريكا أم فى غير أمريكا يستخدمون كلمة اليهود ، وليس كلمة الصهيونية ، وحتى لو كان الامريكيون العاديون يقصدون ذات المعنى عند استخدام هذه الكلمة أو تلك ، فالفنان يختار ، ولا يعكس الواقع كما هو . المعادون لليهود غير المعادين للصهيونية والخلط بينهما يفيد الصهيونية حيث يبدو العنصرى فى الفيلم هو المعادى للصهيونية ، بينما هى حركة عنصرية ، والموقف الصحيح ضد العنصرية لابد وأن يكون ضد الصهيونية أيضا .

صندوق الموسيقى

مع اليهود ضد العالم

فى حديثه مع الزميل سمير نصرى (الحياه ١٨ أبريل ١٩٩٠) يقول كوستا - جافراس أنه أطلع على ترجمة فرنسية لمقالات عربية تتهم فيلمه "صندوق الموسيقى" بأنه مع اليهود ضد العرب ، بينما الفيلم مع اليهود ضد النازية ، ومن الضرورى أن يفرق العرب بين اليهودية والصهيونية .

وقال المخرج الكبير أنه حاول أكثر من مرة فى الفترة الأخيرة صنع فيلم عن الانتفاضة ، ولكن ردود الفعل كانت انه فى ظل بوادر ارادة العالم للتوصل إلى حلول شاملة للقضية فإن من الافضل التريث ، وربما كان السينهائيون العرب يعيشون موقفا مماثلا .

واهتمام كوستا - جافراس بقراءة ماينشر عن فيلمه فى الصحافة العربية لا يرجع بالتأكيد إلى أهمية هذه الصحافة فى تحديد مصير الفيلم . ولكن هذا الاهتمام فى تقديرى يرجع إلى رغبته كفنان أصيل ، وصاحب موقف سياسى ، فى معرفة ما الذى فعله على وجه التحديد فى "صندوق الموسيقى" الذى فاز بالجائزة الذهبية فى برلين عام ١٩٩٠ ، وهى أول جائزة ذهبية يفوز بها ، وربما عاشر جائزة ذهبية تمنح فى برلين لفيلم يتناول اضطهاد النازى لليهود .

إن الناقد العربى يرى أن كل فيلم مع اليهود أو كل فيلم ضد النازية هو فيلم ضد العرب يقع فى خطأ فادح لاشك فيه . وأغلب النقاد

العرب على أية حال يعرفون جيدا الفرق بين اليهودية والصهيونية . ولكن كل مخرج يعرف مهرجان برلين يعرف أنه مهرجان يعانى من العقد النفسية منذ بدايته حتى الآن ، وابرزها عقدة اضطهاد النازى لليهود ، بصرف النظر عن حقيقة أن النازى اضطهدوا أيضا المسيحين والمسلمين ، والصفر والسود وكل ماهو غير المانى . ولذلك ففيلم "صندوق الموسيقى" فيلم مصنوع للفوز بجائزة برلين .

والذين يقولون أن الفيلم تكفير عن "هانا . ك" لديهم كل الحق فى ذلك ليس لأن الفيلم مع اليهود ضد النازية ، فقد سبق واخرج كوستا - جافراس فيلمه "القانون الخاص" مع اليهود وضد النازية ولكن لأن "صندوق الموسيقى" فيلم مع اليهود ضد العالم كله . وهو فيلم لا مثيل له بين كل افلام المخرج الكبير الذى فضح العنصرية ودافع عن الديمقراطية وحقوق الانسان فى كل افلامه . فهو فى هذا الفيلم يعلى من شأن اليهود وكأنهم جنس متفوق من البشر ، وبالتالى يستبدل العنصرية النازية بعنصرية من نوع آخر . ولاشك أن كوستا - جافراس يعلم أن العنصرية هى عدم المساواه بين البشر .

أما حديث كوستا - جافراس عن تفكيره فى صنع فيلم عن الانتفاضة ، وردود الفعل التى تنصحه بالتريث لأن العالم فى طريقه للتوصل إلى حلول شامله ، فهو أغرب من الخيال . لأن تأييد حقوق الشعب الفلسطينى هو الحل الشامل ، وصنع فيلم يؤيد هذه الحقوق يصبح مساهمة من الفنان فى التوصل إلى هذا الحل الشامل . وبالتالى

لايوجد أى تناقض بين اتجاه العالم وبين صنع فيلم عن الانتفاضه . ولا يوجد أغرب من هذا التصريح الا القول بأحتمال أن يكون السينمائى العربى بدوره فى انتظار الحل الشامل حتى يصنع فيلما عن قضيته . وقد صنع ميشيل خليفى الفيلم على أية حال .

أن كوستا – جافراس يلقى بهذه التصريحات لأنه يشعر بأن هناك ما يقلق ضميره حول "صندوق الموسيقى" ، وحول انتفاضة الشعب الفلسطينى فى الاراضى المحتلة . أننا معه أن الفاشية لم تمت فى أوربا ، ولا فى العالم كله ، ونحن العرب نعانى منها فى فلسطين بأسم الصهيونية . أننا معه فى ضرورة صنع الافلام عن الفاشية ، وتذكير الناس بجرائم الفاشية فى الماضى . ولكن اليس الحديث المستمر عن الماضى تخدير للناس عن الحاضر ، واليس الحديث عن اضطهاد النازى لليهود فقط تضليل للناس عن حقيقة الفاشية . الا يرى معى المخرج صاحب الضمير الحى أن حكاية النازى واليهودى أصبحت مثل الحكايات الفولكلورية عن الكابوى الغربى ومن اسماهم كولومبس الهنود الحمر .

اننا لانرى "صندوق الموسيقى" من خارجه . بمعنى أن رأينا فى الفيلم لا علاقة له بفيلم "هانا . ك" ، ولا بجائزة مهرجان برلين التى ظل يعبر عن عقد المدينة حتى بعد سقوط السور . اننا نرى مانراه فى الفيلم من داخله . فنحن أمام محامية أمريكية والدها مهاجر من المجر ، ومتهم بالتعاون مع النازية أثناء احتلال المجر ، والاشتراك فى اضطهاد اليهود . والمحامية فى البداية لا تصدق الاتهامات الموجهة لوالدها ، وتدافع عنه

حتى تحفظ القضية ، ولكنها تكتشف ادلة تقطع بصحة الاتهامات ، فتقوم بابلاغ السلطات عنه .

وهذه الحدوته الميلودرامية الغليظة لا تخدم الكفاح ضد الفاشية لا في الماضي ولا في الحاضر . ويمكن أن تكون عن أي ضابط شرطه فاشي في كثير من دول العالم . ولكنها تخدم فقط تعظيم اليهود عن غيرهم من البشر . فالمرأة تسأل والدها اذا كان لهم اصدقاء من اليهود ، ولماذا لاندعوهم على العشاء . وكأن الواجب على كل امريكي أن يكون له أصدقاء من اليهود ، وأن يدعوهم إلى العشاء . وعندما يقول لها احدهم أن القاضي الذي يحكم في القضية يهودي ترد وماذا يعني هذا وقد اشتهر بالنزاهة . وهذا القاضي دراميا هو البطل الحقيقي لفيلم "صندوق الموسيقى" .

من الناحية القانونية البحتة كان الواجب على هذا القاضي أن يتنحى عن النظر في قضية تتعلق بأبناء طائفته . وكان الواجب على المحامي اذا لم يتنح القاضي ، ان يطلب مايسمى في القانون "رد القاضي" لأنه طرف في القضية المعروضة . ولكن لأن فيلم "صندوق الموسيقى" يستهدف تعظيم اليهود واعتبارهم من طينه أخرى غير البشر ، أو ما يعرف في الفولكلور اليهودي بـ "الشعب المختار" ، يتجاهل واجب القاضي ، وواجب المحامي ، ليصل إلى التأكيد على سوبر مانية القاضي اليهودي لأنه بالفعل يحكم بالبراءة لمجرد أنه شك في سلامة الادلة والاجراءات .

ويتطوع الفيلم باتهام كل من يشك فى أن ٦ مليون يهودى قتلوا بأيدى النازى بأنه معاد لليهود عندما يجعل هذا التشكيك على لسان المجرى المتعاون مع النازية والمعادى لليهود بالفعل ، وعندما يصور مظاهرة على باب المحكمة تهتف ستة مليون ماتوا ، وكأن هناك من أحصاهم فردا فردا . وكل ما يفعله الفيلم فى هذا الصدد التأكيد على حكاية الستة مليون ، والتى أصبحت من الفولكلور بدورها . والمسألة كما يعلم كوستا - جافراس ليست بالعدد . إن قتل انسان واحد بدافع من العنصرية جريمة كبرى ، والقضية الحقيقية هى أن قتلى النازية لم يكونوا من اليهود فقط .

والتأكيد على أن اليهود فقط هم ضحايا النازية يجعل من المحامية تبلغ عن والدها من أجل اليهود ، وليس لأنها ضد العنصرية . وهكذا يصل اليهود فى الفيلم إلى درجة تجعل الأبنة تبلغ عن والدها دفاعا عنهم . وفى حوار الفيلم نزعات عنصرية واضحة مثل قول المحامية اشعر بالعار لأننى مجرية ، وقول والدها نحن سعداء لأننا فى امريكا ولسنا فى أوربا . وهو قول فيه من التملق بقدر ما فيه من الزيف ، لأن الرأسمالية الأمريكية ساهمت فى صعود النازى إلى الحكم فى المانيا عام ١٩٣٣ ، والغرب كله بارك الوحش النازى إلى أن أصبح يدمر كل شئ .

ومطارده الغرب للنازى اليوم تبدو وكأنها مسرحيات محكمة الصنع يتم انتاجها بين الحين والآخر لاثارة مشاعر الناس حتى يدافعوا عن اسرائيل قلعة الغرب فى العالم العربى . ففى الوقت الذى يصور فيه

الفيلم حرص الغرب على الديمقراطية ، وباثر رجعى من أيام الحرب العالمية الثانية ، يقوم هذا الغرب ذاته ، بدعم الفاشية الصهيونية فى اسرائيل ، والفاشية البيضاء في جنوب افريقيا ، وعشرات من نظم ما يسمى العالم الثالث التى لا تعرف الف باء الديمقراطية . وحضارةالغرب كلها على أية حال لا تعرف العدل ، ولم تعرفه يوما . فهى حضارة قامت على سرقة الحضارات القديمة فى آسيا وأفريقيا ، وتجارة العبيد ، وقتل سكان العالم الجديد . و "صندوق الموسيقى" أضعف افلام كوستا - جافراس من ناحية السيناريو والاخراج . وهو غير جدير بالفوز فى أى مهرجان ولا حتى مهرجان ريفى فى منطقة لاتعرف السينما . فالسيناريو ردئ تتكرر فيه الشهادات فى المحكمة على نحو يثير الملل ، بل وتتكرر فيه طريقة المحامية فى التشكيك فى هذه الشهادات . واكتشاف المحامية الادلة التى تقطع بصحة الاتهامات الموجهة إلى والدهايتم عبر حدوته من حواديت افلام الدرجه العاشرة البوليسية .

ومن شاهد أفلام كوستا - جافراس السابقة لا يصدق أنه يختار الشاشة العريضة ليترك الكادرات فارغة من الجانبين فى تكوينات بدائية ، ولا يصدق أنه مخرج مشهد المظاهرة أمام المحكمة الذى لا يليق بطالب يصنع فيلم التخرج من حيث التكوين وحركة الكاميرا ، ولا يصدق أنه يسعى إلى التأثير بطوفان من الموسيقى الفجة ، وبكاء الجمهور فى صالة المحكمة عندما يستمع إلى امرأة اغتصبت ، وتم اطفاء السجائر فى لحمها ، ولا يصدق أن كوستا - جافراس عندما يصور بودابست يصور

كارت بوستال لأحد جسورها فى الليل .

"صندوق الموسيقى" فيلم مفبرك لا صدق فيه ، ولو فاز بكل جوائز الدنيا . أنه صندوق فتحه كوستا جافراس بطريق الخطأ : صندوق لا يعزف موسيقى ، وانما نشاز ، فى مسيرة مخرج كبير عرف كيف يدافع عن الحق دائما ، ولكنه يفشل لأول مرة فى معرفة الحق الذى يدافع عنه .

نصف الحقيقة كذب أيضاً

فيلم آخر عن قتل اليهود على أيدى النازى "دكتور كورزاك" ، ولكن هذه المره من أندرية فايدا أحد أكبر مخرجى السينما فى العالم ، والذى استطاع أن يضع سينما بلاده بولندا على خريطة السينما العالمية منذ منتصف الخمسينات . ومن هنا تأتى أهمية مناقشة هذا الفيلم بدقة ، وبالتفصيل .

يخطئ الناقد العربى برفض أى فيلم عن قتل اليهود على أيدى النازى ، ويعتبر مجرد تناول هذا الموضوع دعاية لاسرائيل وضد حقوق الشعب الفلسطينى . فالعرب لاينكرون أن النازى قتلوا اليهود لأسباب عنصرية ، وهذا ماحدث فى الواقع على أية حال ، ولكن المشكلة أن يعالج هذا الموضوع على نحو يناصر اسرائيل ويعتبرها الحل لما عرف فى الغرب بأسم المسألة اليهودية . والمشكلة أن يعالج هذا الموضوع على نحو يضر بحقوق الشعب الفلسطينى .

العنصرية النازية لم تكن ضد اليهود فقط ، وانما ضد العرب أيضا . وضد كل ماهو غير المانى . والعرب لم يقتلوا اليهود أبدا لا فى التاريخ ولا فى الحاضر لمجرد أنهم يهود كما حدث ويحدث فى الغرب . وماحدث فى فلسطين على العكس تماما ، اذ يقوم اليهود الصهاينة بقتل العرب لمجرد أنهم عرب ، ولهذا تعتبر الصهيونية شكل آخر من العنصرية

مثل النازية .

فيلم اندرية فايدا عن دكتور كورزاك مع الأسف يتناول موضوع قتل اليهود على أيدى النازى بمعالجة تناصر اسرائيل ، وتضر بحقوق الشعب الفلسطينى لأنها لا تعبر عن حقيقة العنصرية النازية ، وتقدمها على أنها عنصرية ضد اليهود فقط . وليس الكذب الا تقول الحقيقة ، ولكن الكذب أيضا أن تقول نصف الحقيقة . والادهى من ذلك أن معالجة الفيلم تؤكد أن اسرائيل هى الحل للمسألة اليهودية . وذلك من خلال حديث كورزاك إلى زوجين شابين من اليهود "لن أستطيع أن أقدم لكما أرض الأباء ، ولكن عليكما الوصول اليها" . ومن خلال رفع علم نجمة داوود أثناء توجه القطار الذى يقلهم إلى معسكرات النازية .

وقد يقال أن رفع هذا العلم حدث بالفعل فى الواقع . ورغم أن من غير المقبول عقلا تصور سماح القوات النازية برفع هذا العلم أثناء ترحيل المعتقلين ، الا أن من بدهيات الفن أن وقوع حدث ما فى الواقع لا يبرر وجوده فى الفن . بمعنى أن رفع العلم هنا موقف فكرى من صانع الفيلم سواء حدث أم لم يحدث ، والعلم هنا يعنى تأييد وجود دولة يهودية ، وهو أمر يتعارض مع كل أفكار فايدا نفسه فى أفلامه السابقة . ومن الغريب أن يناصر فايدا قيام دولة يهودية فهى لم ولن تكون الحل للمسألة اليهودية فى الغرب وخاصة وانها تقام على أسس العنصرية الصهيونية ، وعلى حساب شعب آخر لن يقبل ابدا أن يدفع ثمن جرائم الغرب ضد اليهود . ويتأكد هذا المعنى فى المشهد الأخير من الفيلم ، وهو مشهد

خيالى يصور فيه فايدا المعتقلين وقد خرجوا من القطار إلى أرض جديدة .

نقول مع الأسف لأن أندريه فايدا فنان كبير ، ومثقف كبير ، ولا يليق به أن يأتى عام ١٩٩٠ ويخدر جمهوره بالحديث عن الماضى على هذا النحو . لقد قتل والد فايدا الضابط فى المقاومة ضد الاحتلال النازى لبلاده أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لم يقتل لأنه يهودى لأنه لم يكن . واشترك فايدا فى المقاومة البولندية السرية ضد الاحتلال النازى وهو بعد شاب يافع (ولد عام ١٩٢٦) ولكنه لم يقاوم لأنه يهودى وهو ليس يهوديا وانما دفاعاً عن بلاده مع اليهود وغير اليهود .

يقول فايدا "أنا لا أستطيع أن أصنع دكتور جيفاجو ، ولا فيلم من افلام الهولوكوست (ابادة اليهود) على الطريقة الهوليودية ، فهذه الافلام غير حقيقية" . ويقصد فايدا بذلك أنه يتناول قصة حقيقية ، وهى قصة مربى الاطفال وطبيب الاطفال وكاتب قصص الاطفال دكتور هنريك جولد ميت الذى عرف باسم يانوش كورزاك وهو اسم مستعار من رواية تاريخية كان يوقع به اعماله الأدبية ، بينما يوقع أعماله العلمية بأسمه الحقيقى ، والذى كان يدير أحد ملاجئ الاطفال الايتام فى وارسو ، وعندما احتل النازى العاصمة البولندية نقلوا الاطفال إلى "جيتو" اليهود ، ثم إلى معسكرات الاعتقال حيث قتلوا كما تقول كتب التاريخ . وقد كان فى امكان كورزاك أن ينجو ، ولكنه فضل الموت مع اطفاله عام ١٩٤٢ .

لسنا نملك تكذيب الواقعة أو التأكيد على صحتها وقد سبق أن أخرج البولندى الكسندر فورد فيلما عن هذا الموضوع عام ١٩٧٣ فى المانيا الغربية بأسم "الشهيد" . كما كتب عنه الكاتب الالمانى الغربى أروين سيلفانوس أحدى مسرحياته . ومرة أخرى نكرر أن وقوع حدث ما فى الواقع لايبرر معالجته فى الفن . فكون القصة حقيقية لا يعنى أن معالجتها فى الفيلم حقيقية ، وانما تعبر عن الموقف الفكرى لصانع الفيلم .

ولا يقول الفيلم كل الحقيقة حتى عن يهود وارسو وحتى عن كورزاك نفسه . ففى كتب التاريخ أيضا بما فى ذلك كتاب اصدره الصهيونى الياهو بن اليسار تلميذ بيجن ، وأول سفراءه فى القاهرة ، أن النازية قد تعاونت مع الصهيونية ضد اليهود ، وضد يهود وارسو بالتحديد فيما يعرف باسم اتفاقية "العاكفراه" بالعبرية . وفى كتب التاريخ ايضا أن كورزاك كان على صلة وثيقة بالحركة الصهيونية ، وذهب إلى فلسطين عدة مرات قبل الحرب العالمية الثانية ، وكان يفكر فى الهجره اليها ، ولكنه فضل البقاء مع أطفاله فى الملجأ الذى أسسه عام ١٩١٣ . ولا يذكر فيلم فايدا أى شئ عن التعاون بين النازية والصهيونية ، ولا عن ذهاب كورزاك إلى فلسطين . وانما يدافع حتى عن اليهود الذين تعاونوا مع النازى عندما يصور أحدهم وهو يبذل أقصى جهده لانقاذ كورزاك ، وتكون نهايته أن يدفعه أحد جنود النازى داخل القطار بدوره .

يقول فايدا "لقد منعت السلطات البولندية تناول الموضوعات

اليهودية فى الافلام البولندية طوال عشرين سنه" . وهذه المقولة غير صحيحة ، لأن فايدا نفسه اخرج عن اليهود عام ١٩٧٤ فيلمه "أرض الميعاد" ، والذى كان حقيقيا إلى درجة جعلت البعض يتهمه بالعداء لليهود . وكان الاحرى بالمخرج الكبير أن يقول أن السلطات البولندية منعت الدعاية للصهيونية طوال عشرين سنه ، وهو أمر مشكوك فيه بدوره . والربط بين الانفتاح فى الدول الاشتراكية وبين مناصرة الصهيونية تضليل كامل ، تماماً مثل الربط بين معاداة الصهيونية ومعاداة اليهود ، وهو موضوع غلاف نيوزويك الامريكية الدولية قبل اسبوعين من عرض الفيلم العالمى الأول فى مهرجان كان .

وفى حوار فيلم دكتور كورزاك يقول أحدهم أن الجيتو تحول إلى سجن كبير ، وتنسى كاتبه السيناريو المخرجة أجنيسكا هولاند تلميذة فايدا التى كانت وراء اخراجه هذا الفيلم أن الجيتو ليس من اختراعات النازية ، وانما من تقاليد اليهود الذين يرفضون الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها . وقد كانت عائلة كورزاك على العكس منه من العائلات المندمجة فى المجتمع البولندى ، ولكن الفيلم لا يشير إلى ذلك . وفى الحوار أيضا يتم استخدام كلمة "الالمان" بدلا من كلمة "النازى" . وقد تكون الكلمة الأولى هى التى كانت تستخدم فى الواقع بالفعل . ولكن مرة ثالثة نذكر أن ترديد هذه الكلمة فى الواقع لا يبرر ترديدها فى الفيلم والصحيح فكريا أن يقال النازى حتى لايصبح الأمر ضد الالمان كشعب ، أى عنصرية من نوع آخر .

والملف الصحفى لفيلم فايدا يشارك فى الكذب والتضليل بدوره ففى هذا الملف أن كورزاك "بطل قومى" عند الشعب البولندى ، وهو أمر غير مؤكد ، وفيه أن على العالم كله أن يعتبره كذلك أيضا ، وهو جنون كامل ، رغم تقديرنا الانسانى لموقفه وهو فى الرابعة والستين من عمره . وكل هذا يهون إلى جانب الافتراء على العلم ، وخداع عامة الناس بالقول بأن كورزاك هو أول من أهتم بطب الأطفال وأدب الأطفال فى العالم كله ، وأن الطفولة قبله كانت مجرد مرحلة إلى البلوغ حتى عند فرويد .

كـــأس النهاية

السينما العربية العبرية

شهد مهرجان فينسيا ١٩٩١ العرض العالمى الأول للفيلم الاسرائيلى "كأس النهاية" اخراج عيران ريكليس الذى كان من المقرر عرضه فى مسابقة مهرجان موسكو ، وعشية المهرجان تم سحب الفيلم بعد اختياره فى البرنامج الرسمى لمهرجان فينسيا خارج المسابقة .

وينتمى هذا الفيلم إلى هامش صغير فى السينما الاسرائيلية يشترك فيه عدد من السينمائيين العرب واليهود لصنع صورة أخرى للعربى فى السينما الاسرائيلية بهدف التفاهم بين الشعبين واحلال السلام . . ويبدو هذا أول ما يبدو فى لغة الفيلم المنطوقة فهى اللغة العربية بنسبة ثمانين فى المائة ، والعبرية بنسبة عشرين فى المائة .

فى "كأس النهاية" كل الممثلين العرب اللامعين تقريبا وهم محمد بكرى الذى مثل الدور الرئيس فى "هانا . ك" اخراج كوستا جافراس ، وهو أكثرهم شهرة خارج الحدود ، وسليم ضو ، وبسام زاموت ، ويوسف أبو ورده ، وسهيل حداد ، وغسان عباس ، وسمير سمير . ومن السخف المزايده على هؤلاء الفنانين والنظر اليهم بعين الشك لأنهم يعملون فى السينما الاسرائيلية وفى المسرح الاسرائيلى . بل أن واجب كل عربى أن يدعم كفاحهم الشاق من أجل المحافظة على الهوية الفلسطينية فى ظل الاحتلال ، وأثبات وجودهم كمبدعين رغم أنهم من مواطنى الدرجة الثانية

فى بلادهم . ولكن هذا لا يعنى بالطبع التسليم بكل ما يقال فى هذه الأفلام الاسرائيلية الهامشية . فلا يوجد عاقل يقف ضد التفاهم السلام ، وانما المشكلة هى على أى أساس يكون التفاهم ، وكيف يكون السلام سلاما حقيقيا .

وعيران ريكليس مخرج "كأس النهاية" ولد عام ١٩٥٤ واخرج ١٦ فيلما تسجيليا منذ عام ١٩٧٦ ، وفيلم روائى واحد بعنوان "فى يوم صحو يمكن أن ترى دمشق" عام ١٩٨٤ . والواضح من فيلمه الأول الذى قرأنا عنه كثيرا ، ومن فيلمه الثانى الذى شاهدناه فى فينسيا أنه مخرج مهموم بما يحدث فى الواقع من حوله ، وليس من مخرجى السينما التجارية الفارغة ، وذلك بغض النظر عن مدى الاختلاف أو الاتفاق معه سواء من الناحية السياسية أم من الناحية الفنية البحته .

تدور احداث الفيلم أثناء الغزو الاسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ حيث تتمكن وحدة من مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية من أسر جنديين اسرائيليين يقتل أحدهما أثناء أحد الاشتباكات ، ويبقى الثانى وينجو وينقذ من الاسر اثر اشتباك آخر يلقى فيه جميع افراد الوحدة الفلسطينية مصرعهم . وأثناء وجود الجندى الاسرائيلى كوهين فى الأسر تنشأ علاقة انسانية بينه وبين أغلب افراد الوحدة ، ويجمع بينهم تأييد الفريق الايطالى فى مباريات كأس العالم لكرة القدم التى كانت تقام فى اسبانيا آنذاك ، والتى كان كوهين ينوى التوجه لمشاهدتها حين تم استدعاءه للاشتراك فى الحرب .

وتتنوع خلفيات الشخصيات الفلسطينية ، فهناك جورج المسيحى الشيوعى ، وعمر ابن العائلة الاقطاعية التى كانت تملك مساحات واسعة من الأرض فى فلسطين ، وفتحى المريض بالسكر ، وشكرى العنيف الذى يعذب الاسير ويريد قتله . وموسى المهرج الضاحك ابدا ، وزياد المثقف المتزن ، وأبو عياش ، ولأسمه دلالة رمزية ، لأنه الذى لايعنى الا بأن يعيش : فى بيته جهازين للتليفزيون ويقيم عرس أبنته وكأن كل شئ على ما يرام . ويشير الفيلم بوضوح إلى العلاقة بين حزب الكتائب من ناحية ، وقوات الاحتلال الاسرائيلى من ناحية أخرى ، والتعاون الوثيق بينهما .

وفى الفيلم مشاهد هامة تختلف عن ما نراه ونسمعه فى السينما الاسرائيلية السائدة . فعندما يتساءل الجندى الأسير عن مدى الالتزام باتفاقية جنيف عن حقوق أسرى الحرب يرد عليه زياد وهل تلتزمون بها . وفى مشهد آخر يقول زياد أن الاسرائيليين تشغلهم الحرب ، فيردكوهين بل المال والمال فقط . بل إننا نتذكر الفيلم الفلسطينى "عرس الجليل" اخراج ميشيل خليفي عندما يشارك الأسير فى حفل الزفاف العربى بملابسه المدنية ، ولا يتعرف عليه حتى افراد وحدة اسرائيلية عسكرية تأتى لمراقبة الحفل .

أننا نصدق عيران ريكليس عندما يقول أنه اراد أن يصنع فيلما إيجابيا . ولكن ما الايجابية فى قتل كل الشخصيات الفلسطينية المقاتلة فى الفيلم ؟ وما الايجابية فى اظهار وحشية شكرى دون أى أشارة إلى وحشية الجانب الآخر ، وما الايجابية فى اظهار العربى الذى لا يعرف

كيف يستخدم الكاميرا الفوتوغرافية ، والذى لا ينظف نفسه بعد أن يمارس حياته الطبيعية . والأهم من هذا كله قول الأسير : "أننا نقاتل كبشر ، وأنتم تقاتلون كحيوانات" ، فالقتال هو القتال ، ومن ناحية أخرى فكلنا يذكر كيف كانت القوات الاسرائيلية تضع الأسرى فى شباك الصيد المتهالكة بالكوم ، وتنقلهم بالطائرات إلى اسرائيل ، وكيف كان البعض منهم يسقط من الطائرات ، والانسان قد يغفر ، ولكن لماذا ينسى .

ويقول الاسير أيضا : "لماذا تقتلون الاطفال فى الاتوبيسات لمجرد أنهم يهود" . فحتى لو افترضنا أن هذه حقيقة ، فأننا يمكن أن نسأل بالمقابل ولماذا تقتلون الاطفال العرب لمجرد أنهم عرب . صحيح أن هناك فرق بين افلام مناحم جولان مثلا حيث تصل العنصرية إلى حد صنع فيلم عن الكلبة الاسرائيلية عازيت التى تنتصر على المقاتلين العرب ، وبين فيلم مثل "كأس النهاية" ، ولكن هذا ليس المقياس الصحيح ، أو على الأقل ليس المقياس الوحيد .

اوربا . . اوربا

محاولة صنع أكذوبه جديدة !

بعد اعلان جوائز الكوكب الذهبى الامريكية فى يناير ١٩٩٢ ، وهى جوائز اتحاد الصحفيين الأجانب فى هوليود ، وفوز الفيلم الالمانى "اوربا . . اوربا" اخراج أجنيسكا هولاند بجائزة أحسن فيلم أجنبى عرض عام ١٩٩١ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حاولت القوى اليهودية الصهيونية فى المانيا وأمريكا أشعال معركة صحفية دولية حول الفيلم الذى يتناول عذاب اليهود فى عهد الحكم النازى . ورغم اهتمام "تايم" فى عدد ١٩٩٢/٢/٣ ونيوزويك فى عدد ١٩٩٢/٢/١٧ بالموضوع الا أن المعركة خابت ، ولم تصبح بالحجم الذى ارادته القوى التى افتعلتها .

لقد فاز الفيلم بجائزة الكوكب الذهبى ، وكذلك بجائزة نقاد نيويورك وجائزة نقاد بوسطون لاحسن فيلم أجنبى عرض فى أمريكا الا أن اللجنة الثمانية التى كونها اتحاد شركات التوزيع الالمانية لأختيار الفيلم الذى يمثل المانيا فى مسابقة الاكاديمية الأمريكية (الاوسكار) لم ترشح الفيلم . وهنا قامت قيامة القوى اليهودية والصهيونية ، وبدأت الحملة الصحفية التى أتهمت لجنة الاتحاد بأنها متحيزة وغير موضوعية وتعمل على أن ينسى الالمان الماضى النازى إلى آخر الاسطوانة المشروخة التى تتردد منذ ما يقرب من نصف قرن دون كلل .

والغريب أن اللجنة لم ترشح أى فيلم المانى آخر ، ولكن هذه

الحقيقة تذكر على استحياء لأنها تعنى أن القرار يستند إلى مقاييس فنية . ولا أحد يسأل اذا كان الفيلم من الافلام المتميزة التى يمكن تمثل المانيا فى الأوسكار ، فلماذا لم يمثل المانيا فى برلين أو كان أو فينسيا أو أى مهرجان دولى فى العالم . والاغرب أن مجلة دولية كبيرة مثل "نيوزويك" تذكر أن المانيا سبق أن رشحت للأوسكار فيلمين من الافلام التى تدور حول نفس الموضوع ، وهما "فتاة وضعية" ، و "الحصاد المرير" ولا تذكر أن الفيلم الثانى من اخراج نفس المخرجة ، أى أنه لايوجد موقف المانى ضدها ، كما أنها سبق ورشحت للأوسكار ولم تفز . بل أن أى من افلامها العشرة منذ عام ١٩٧٤ لم يعرض فى مسابقة مهرجان دولى كبير الا مسابقة مهرجان برلين عام ١٩٨١ وهو "الحصاد المرير".

وفى محاولة للدفاع فى غير موضعها صرح متحدث بأسم الاتحاد الالمانى أن شروط الأوسكار لاتنطبق تماما على الفيلم لأن مخرجته بولندية ، وأغلب تمويله من فرنسا . ولكن منتج الالمانى رد بأن هذا غير صحيح ، وهو على حق فى ذلك ، وقال أن شروط الأوسكار لاتتعارض مع اختيار الفيلم ، وأنه ناطق بالالمانية أساسا ، وأغلب العاملين فيه من الالمان بل وحصل على ٣١٥ ألف دولار من وكالة الترويج للسينما الالمانية فى برلين ، وعلى شهادة "صنع فى المانيا" من مكتب التجارة والصناعة فى يونيو ١٩٩١ قبل بدء التصدير إلى الخارج .

وعندما كتب المنتج الالمانى ارتور بارونير ضد اللجنة رد عليه أحد اعضاءها وهو ايرهارد جونكير سدورف بعنف وسخر منه قائلا" كيف

تواتيك الجرأه لتتصور أن الأوسكار جاهز فى انتظار هذا الفيلم وأن المسألة بالنسبة اليك أن تدفع تذكرة الطائرة وتتوجه إلى لوس أنجلوس" .

ولكن مخرجا كبيرا مثل فولكر شوليندورف اعتبر القضية تتعلق بالحرية ومقاومة النازية الجديدة ، وبالغ كثيرا عندما صرح لمجلة "تايم" بقوله "العار لنا . قرار اللجنة قرار غبى ، كما أنه قرار سياسى" ، وقال "أخشى أن يلقى القرار بظله ويشوه كل صناع السينما الالمان فى السنوات القادمة" . وتعلق "تايم" على تصريح شوليندروف بأن التشويه قد بدأ بالفعل !

ومن المهم ملاحظة أن التقريرين المنشورين فى "تايم" و"نيوزويك" من المراسلين الصحفيين ، ولم يشترك فى أى منهما ناقد سينمائى من نقاد المجلتين . ومن الملاحظ أيضا أن المجلتين لم تنشرا شيئا عن الفيلم عند عرضه فى أمريكا فى يوليو ١٩٩١ .

وقد يتساءل القارئ أن لم تكن للفيلم أهمية لماذا اذن فاز بجائزة نقاد نيويورك وجائزة نقاد بوسطون وجائزة الصحفيين الاجانب فى هوليود .

اننا لم نشاهد الفيلم ، ومن المؤكد أن المستوى العام للفيلم لا يضعه فى خانة الأعمال الرديئة ، ولذلك فاز بهذه الجوائز الثلاث كأحسن فيلم أجنبى عرض فى أمريكا عام ١٩٩١ . ولكن لابد من ملاحظة أن مسابقات نقاد السينما فى نيويورك وبوسطون وغيرها من المدن الأمريكية تختلف عن مسابقة نقاد أمريكا ككل التى يمنحها النقاد فى الصحف

والمجلات الأمريكية الكبيرة ، وفى هذه المسابقة لم يفز فيلم السيدة هولاند .

المسألة ليست أن فيلم "اوربا . . اوربا" من الاعمال الرديئة ، ولكن مسألة الابتزاز اليهودى الصهيونى الذى يصل إلى حد اتهام لجنة ترى أنه لايوجد فيلم المانى يصلح للأوسكار بالتحيز وعدم الموضوعية لأنها لم تختر هذا الفيلم بالذات ، وكأن موضوع الفيلم امتياز فى ذاته أيا كان مستواه الفنى . وبالطبع تصر المخرجة على أن هناك "موقف" عندما تصرح لمجلة "تايم" قائلة "لقد لمست شيئا حساسا داخل أعضاء اللجنة" ، وكأن فيلمها هو أول فيلم يتناول موضوع عذاب اليهود فى عهد الحكم النازى .

وأجينسكا هولاند التى ولدت عام ١٩٤٨ فى وارسو ، ودرست السينما فى براج ، وبدأت حياتها الفنية مساعدة لزانوسى وفايدا وغيرهما من كبار مخرجى السينما البولندية المعاصرة لاهم لها فى كل أفلامها تقريبا الا التعبير عن معاناة اليهود فى ايام النازية والفاشية . وقد هاجرت من بولندا بعد اعلان الحكم العسكرى عام ١٩٨١ ، وعاشت فى فرنسا ، واخرجت منذ عام ١٩٨٤ ثلاثة أفلام هى "الحصاد المرير" و "لكى تقتل راهبا" ثم "اوربا . . اوربا" . ومن حق هولاند سواء كانت يهودية أم غير يهودية أن تعبر عن ماتشاء من موضوعات ، ولكن ليس من حقها أن تبتز الأخرين اذا لم تعجبهم افلامها .

وقد حاول العديد من نقاد السينما المتحيزيين بالفعل ، ولمدة تزيد عن عشر سنوات منذ بداية الثمانينات أن يفرضوا اسم اجينسكا هولاند

فى ساحات السينما الدولية بحيث يصبح مثل اسماء كافاليروفيتش وفايدا ورانوسى وكيشلوسكى وغيرهم من أعلام السينما البولندية الذين اخترقوا حدود بلادهم ، ولكن هؤلاء النقاد فشلوا بالطبع لأن هذه الاسماء لم تصنعها وسائل الاعلام ، وانما صنعتها اعمالهم الفنية التى دلت على مواهبهم الكبيرة .

لقد شاهدت بعض افلام اجنيسكا هولاند فى مهرجان روتردام عام ١٩٨٣ ، وفى اثناء المهرجان تعارفنا بواسطة الصديق هيوبرت بالس ، ودار بيننا حوار طويل عن الاوضاع فى بولندا ، وعن هجرتها إلى فرنسا وغير ذلك . وسواء فى افلامها أم فى حديثها لم أجد فى المخرجة الشابه تلك العبقرية التى كان يتحدث عنها البعض ، ولايزالوا . والاعلام الغربى سواء فى السينما أم فى غير السينما لديه خبره طويله فى صنع الأكاذيب التى تنتفخ كالبالونات ، ثم سرعان ماتنكمش إلى حجمها الطبيعى .

وفى تقديرى أن فيلم هولاند صنع للرد على الفيلم الدانمركى "اوربا" اخراج لارس فون تيرير ، وأنها ليست محض صدفة أن هذا عنوانه "اوربا" وذاك عنوانه "اوربا . . اوربا" فقد صنع لارس فون تيرير فيلما تدور احداثه فى المانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة على نحو مختلف تماما ربما عن كل الافلام التى سبق أن تناولت هذا الموضوع ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة اليهود . وبقدر ما امتدح الالمان اوربا فون تيرير بقدر ما هاجموا اوربا هولاند . وبقدر ما هاجم النقاد فى امريكا فون تيرير بقدر ما امتدحوا اوربا هولاند . لقد قرر الالمان أن

يكفوا عن الشعور بالذنب تجاه اليهود ، ولكن الامريكيين يشعرون بالذنب نيابة عنهم .

لقـد نشـر أغلب النقـاد الالمان أن فـيلم "اوربا . . اوربا" عـمل مـيلودرامى ثقـيل . فـمـاذا تقـول "نيـوزويك" وهـى تلخص قـصـة الفـيلم : سلومـون بيريل شاب يهودى يهاجر مع اسرته من شرق المانيا إلى بولندا هربا من النازى ، وعندمـا يـحـتل الالمان النازيون بولندا يرحل مع شـقـيـقة إلى الاتحـاد السـوفـيتـى ، وعندمـا يحـتل النازى الاتحـاد السـوفـيتـى يتبناه ضـابط نازى لايعـرف أنه يـهـودى ، فـينـتـقل سلومـون من مـدرسـة الكوادر الشبابية الشيوعية إلى مـدرسة ابناء هتلر فى المانيا . وبعد نـهاية الحرب يتـعـرض سلومـون للموت على أيدى جنود الجيش الأحـمـر السـوفـيتـى على اساس أنه المانـى نازى ، فكيف يتم انقاذه : نكتشف فى نهاية الفيلم أن أخوه لايزال حيا فى أحدى مـعسكرات الاعتقال ، واثنـاء نقله يتعرف على سلومون بالصدفة فيتم انقاذه !

وثـــائـــــق

شهد عام ١٩٨٢ عرض فيلم "هانا . ك" اخراج كوستا جافراس .

وكان هذا الفيلم أول فيلم توزعه شركة أمريكية كبرى يتناول الصراع العربى الصهيونى ، فضلاً عن أنه من اخراج الفنان الفرنسى اليونانى الاصل الذى عرف بافلامه السياسية منذ أن اخرج فيلم "زد" عام ١٩٦٩ عن الحكم العسكرى فى اليونان .

وقد أثار فيلم "هانا . ك" ضجة كبرى ، ومناقشات سياسية وفنية منذ عرضه العالمى الأول فى مهرجان فينيسيا فى أغسطس ١٩٨٢ ، وحيثما عرض بعد ذلك . وفيما يلى النص الكامل للندوه التى عقدت مع المخرج عقب عرض الفيلم فى مهرجان القاهرة .

ندوة "هانا . ك"

فى مهرجان القاهرة ١٩٨٢

اشترك فى الندوة

كوستا - جافراس	مخرج الفيلم
ميشيل جافراس	منتجة الفيلم
يوسف شريف	التليفزيون المصرى
جميل راتب	ممثل
سمير فريد	جريدة الجمهورية
سامى السلاموني	مجلة الاذاعة
فوزى سليمان	سكرتير المهرجان
عبد النور خليل	مجلة المصور
منحه البطراوى	جريدة الاهرام
محسنة توفيق	ممثلة
عرب لطفى	مساعدة مخرج
محمد خان	مخرج
د . فاضل الاسود	ناقد
د . هشام أبو النصر	مخرج
كمال الملاخ	رئيس المهرجان
محمود على	مجلة الاذاعة

ادار الندوة وقام بالترجمة

د . رفيق الصبان — كاتب وناقد سينمائى

سجلها وأعدها للنشر : سمير فريد

كوستا جافراس اشكرادارة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السابع على دعوتها لى وعرض فيلمى "هانا . ك" فى المهرجان .

يوسف شريف ما هو رد فعل النقاد تجاه الفيلم فى أوروبا وأمريكا ؟

كوستا جافراس الفيلم عرض فى نيويورك فقط ، وقوبل ببرود ، وأعتقد أن الحكم على رد الفعل سابق لا وأنه قبل أن يعرض الفيلم فى الولايات الاخرى .

بالنسبة لأوربا الفيلم عرض فى باريس والتعليقات على الفيلم كانت قليلة جدا على العكس من أفلامى السابقة .

يوسف شريف كيف تفسر التجاهل

كوستا جافراس لاأستطيع أن أفسر هذا التجاهل . . ويمكنكم أنتم الصحفيون أن تفعلوا ذلك .

جميل راتب وما هو رد فعل الجمهور ؟

كوستا جافراس حضرت عرض الفيلم مع الجمهور عدة مرات وكا رد الفعل جيد جدا . .

يوسف شريف ورد فعل الصحافة العربية .

ميشيل جافراس كوستا لا يقرأ نقد أفلامه ، وقد قرأت النقد فى الصحافة العربيةالصادرة فى أوربا ويمكننى القول

أن النقد المنشور في هذه الصحافة كان جيدا جدا لصالح الفيلم .

سمير فريد ولماذا لا يقرأ كوستا جافراس نقد افلامه ؟

كوستا جافراس أنا أجمع المقالات كل عدة شهور واقرأها مرة واحدة واتعلم منها كثيرا .

سمير فريد ما هو رد فعل الفيلم فى اسرائيل .

كوستا جافراس الفيلم لم يعرض فى اسرائيل بعد ، هناك نسخة سوف تقدم إلى الرقابة فى اسرائيل خلال فترة وعليها ترجمة عبرية .

ميشيل جافراس أود أن أضيف إلى أن الكاتب الفلسطينى ادوارد سعيد نشر مقالا لصالح الفيلم فى جريدة "صوت القرية" الامريكية ، أما الشاعر محمود درويش فقد حاول نشر مقاله العربى فى عدة صحف فرنسية ولكنه لم ينجح فى ذلك ابدا .

جميل راتب تم تصوير أغلب الفيلم فى اسرائيل فهل وافقت الرقابة الاسرائيلية على الفيلم قبل تصويره ، وهل صادفت أية متاعب أثناء التصوير .

كوستا جافراس لم تكن هناك مشاكل لأنه لا توجد رقابة على تصوير الافلام الأجنبية فى اسرائيل . . كنا فى حاجة إلى مساعدات من الجيش الاسرائيلي . ولكن المسئولين

في الجيش رفضوا أى نوع من المساعدة .

جميل راتب هل تم تصوير المشهد الأول ، وهو مشهد نسف البيت العربى فى اسرائيل ؟

كوستا جافراس هذا المشهد صور فى ايطاليا لسبب واحد وهو أننا لم نشأ أن نجعل سكان القرية العربية يشاهدون مثل هذا المنظر الذى يبعث على الالم .

سامى السلامونى سمعنا أن السلطات الاسرائيلية القت القبض على الممثل الفلسطينى محمد بكرى أثناء تصوير الفيلم واعتقلته لمدة ثلاثة أيام .

كوستا جافراس لاشئ يخفى على الصحفيين حقا !! نعم لقد حدث هذا أثناء التصوير فعلا ولكنى لا أستطيع أن أقول السبب .

سامى السلامونى لقد وضعوا له حشيشا فى بيته وحاولوا اتهامه بتجارة المخدرات .

كوستاجافراس إننى أعترف أن إيقاف محمد بكرى أكثر من ثلاثة أيام كان سيعوق الفيلم .

فوزى سليمان كيف اخترت محمد بكرى لدور الفلسطينى . .

كوستا جافراس كنت أريد ممثلا فلسطينيا ينطق باللهجة الفلسطينية . . ولقد بحثت عن هذا الممثل فى كل مكان وأخيرا وجدته على المسرح فى تل أبيب فى

أول مسرحية عربية - يهودية مشتركة عن الحرب فى لبنان .

سامى السلاموني فى الفيلم خط القصة الشخصية ، وخط القضية العامة . . اعتقد أن كوستا جافراس فى هذا الفيلم بالذات وعلى العكس من أفلامه السابقة أهتم أكثر بالقصص الشخصية . . المسألة الثانية هل هناك علاقة قوية بين القصة الشخصية هنا وبين القضية الفلسطينية .

كوستا جافراس منذ فيلم "زد" وحتى الآن احاول فى افلامى أن أوضح ميكانيكية السلطة وعلاقتها بالانسان . . أنا لا أوافق على رأيك فى فيلم "هانا . ك" . . الفيلم كله مبنى على قصة الشخصية ، وهذه القصة هى ذاتها القضية . . أن بكرى يبحث عن بيت ، وكذلك هانا . . وقد أصبح لها بيت . . ولكن المشكلة أنها لا تريد الاعتراف بحق الفلسطينى فى أن يكون له بيته أيضا .

صحفية أمريكية لماذا أخترت هذه القصة بالذات للتعبير عن قضية فلسطين

كوستا جافراس لقد فكرت أنا وفرانكو سوليناس مؤلف السيناريو الراحل فى كيفية التعبير عن هذه القضية . . كانت

المشكلة هى تلاحق الأحداث وعدم رغبتنا فى صنع فيلم يرتبط بأحداث الحياة اليومية . . أردنا أن نصنع فيلما" يتجاوز الاحداث ويعبر عنها فى نفس الوقت . . أن من الصعب جدا شرح كيف ولدت فكرة فيلم ما لأن هناك آلاف العناصر التى تشترك فى صنع الفكرة .

عبد النور خليل هل شخصيات الفيلم لها أصل فى الواقع أم أنها من وحى الخيال . .

كوستا جافراس حقيقة "هانا . ك" هى الحقيقة الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية . . ولكن هذه الشخصيات كلها متخيله . . الحقيقى فى الفيلم هو قضية سليم البكرى من الناحية القانونية . . والحقيقى فى الفيلم هو البلدة العربية المدمرة التى صورنا فيها ، وبيت سليم القديم . . لقد أمسكت بنا الحقيقة الجغرافية وهى الحقيقة التى لم نكن نبحث عنها أثناء كتابة الفيلم . .

جميل راتب ماهو موقف الاسرائيليين الذين عملوا معك فى الفيلم . . هناك بعض المساعدين وبعض الممثلين فى ادوار قصيرة .

كوستا جافراس لقد قرأ كل منهم السيناريو ، ووافقوا عليه قبل

التصوير . .

منحه البطراوى الاحظ أن كلمة فلسطين لم ترد فى الفيلم ولا مرة واحدة وان العلاقة تبدو طيبة بين الفلسطينيون والاسرائيليون ومن الغريب جدا أن ينتهى الأمر إلى ذلك الطفل ابن هانا الذى يقال له دافيد عمر . . ابن واقع الأرض المحتلة . . . أين الاحتلال وأين مقاومة الاحتلال . .

الفيلم يقول أن الشعب الفلسطينى عنده مشكلة ، وأن الشعب الاسرائيلى عنده مشكلة ، والواقع أن المشكلة هى الشعب الفلسطينى ولا توجد مشكلة لدى الاسرائيليين .

ميشيل جافراس أريد أن أسألك قبل أى تعليق على حديثك هل أنت فلسطينية أم مصرية . .

منحه البطراوى هذا سؤال مثل الأسئلة التى تطرحها قوات الاحتلال الصهيونى على الناس فى الفيلم . . أننى مع العدالة ومع حقوق الشعوب . . كنتِ فيتانمية أثناء حرب فيتنام وأنا الآن فلسطينية . .

ميشيل جافراس المسألة ببساطة أننى أريد أن أقول أن ادوارد سعيد قال فى مقاله أن الحوار حتمى بين الطرفين . . هذا هو كل شئ . .

كوستا جافراس حديثك عن نقطتين : الموقف السياسى للفيلم ، وضعف الفيلم . . بالنسبة للنقطة الأولى أنا اتفق معك فى أن هناك مشكلة مؤلمة هى مشكلة الفلسطينى الذى يواجه الطرد والتشرد والمذابح منذ سنوات . . وفى احيان كثيرة واجه هذا الشعب المذابح من اخوانه العرب وليس فقط من الاسرائيليين . . وهذه حقيقة واقعة ولكى نتطلع إلى الأمام لابد أن نتطلع إلى المستقبل . . كان أملنا عندما صنعنا هذا الفيلم أن نتحدث قليلا عن الماضى ، وكثيرا عن المستقبل . . إننا نتساءل كيف يمكن للشعب الفلسطينى أن يعيش على نفس الأرض مع الشعب الآخر . . ولابد من ادراك أن هذا الفيلم هو وجهة نظر مخرج أوربى . . والأوربى لا يستطيع بالضرورة أن يعبر عن الحياة اليومية لاطراف هذه المشكلة . . ان هذه المشكلة فى رأيى لا تحل إلا عن طريق السلام . . السلام بمعنى أن يعيش الشعبان معا على أرض واحدة . واذا كان الشعب الفلسطينى يعانى مشكاة من أصعب مشاكل العالم ، فإن الشعب الاسرائيلى يعانى أيضا من مشكلة . . أن بعض افراد الشعب الاسرائيلى

يتصورون أنه ليس لديهم مشكلة . ولكن هذا غير صحيح . . وقولك بأنه ليس لدى الاسرائيليين مشكلة فمعنى هذا أغلاق الباب أمام أى حل لهذه المشكلة . . أن حالة الحرب المستمرة منذ أكثر من ثلاثين عاما لا تؤدى الا للمزيد من المذابح ، وليس هناك حل حقيقى الا بالسلام . . أنا لست سياسيا لأقول كيف الوصول عمليا إلى هذا السلام . . ولكن تلك هى وجهة نظرى . . وأريد الآن أن اترك لك الكلمة .

منحه البطراوى الماضى الذى يتم تناوله فى الفيلم هو الماضى من وجهة النظر الصهيونية وهو أن لليهود حق فى هذه الأرض . . أنا أيضا لست سياسية ولكن بالنسبة لموضوع السلام أريد أن أقول أن حكومة مصرية وقعت معاهدة سلام مع اسرائيل ومع ذلك لم يتحقق السلام .

ميشيل جافراس لماذا تنسين إجابة هانا على الأستاذ اليهودى الذى يتحدث عن الماضى . . لقد قالت له أن هذا الماضى لا يعطى له الحق فى أن يطرد الشعب الفلسطينى من أرضه فى الحاضر . .

كوستا جافراس منذ أيام وصل إلى فرنسا الشاذلى بن جديد رئيس

الجزائر الذى كان فى يوم ما أرهابيا من وجهة نظر فرنسا . . الآن هو يستقبل رسميا كرئيس دولة . . أعلام الجزائر التى علقت فى كل مكان فى باريس عام ١٩٨٣ كانت محرمة عام ١٩٦٠ وكان حملها جريمة يعاقب عليها القانون . . هذا ما أعنيه بأن السلام هو النهاية الحتمية لأى مشكلة سياسية . .

اما فيما يتعلق بالحديث عن الحقوق القديمة لليهود فى أرض فلسطين فليست هى التى تعطى لهم الحق فى الوجود على هذه الأرض . . الشعب اليهودى على أرض فلسطين الآن يستمد شرعية وجوده من وجوده الفعلى على الأرض ، ولكن لا يمكن أيضا إنكار أن الشعب الفلسطينى حق مشروع فى الحياة على نفش الأرض .

من يقول بأننا يجب أن نطرد الاسرائيليين يقع فى خطأ انسانى وخطأ سياسى فى نفس الوقت .

سمير فريد ابدأ بالاحتجاج على سؤال السيدة ميشيل جافراس حول جنسية المتحدثة الزميلة منحه البطراوى . . وهل هى فلسطينية أم مصرية . . والاستشهاد بأدوار سعيد أو غيره من الفلسطينيين لا يعنى أن علينا أن نسكت .

إن القضية الفلسطينية هى قضية مصرية ، وليس هذا نوع من الاستعارة الأدبية ، أو تعبير عن عاطفة مشبوبة ، وإنما هى حقيقة تاريخية وجغرافية وواقعية . . حقيقة مادية . . فلسطين هى البوابة الشرقية لمصر ،

إننى أوافق على ما تقول الزميلة منحه البطراوى ، ولكنى أعتقد أنها تتحدث عن فيلم آخر غير الفيلم "هانا . ك" وربما يكون أفضل منه . .

أهمية الفيلم فى رأيى أنه أول فيلم غير يطرح حقيقة أن الأرض التى يعيش عليها اليهود المهاجرين فى فلسطين ليست أرضهم وإنما هى أرض الفلسطينيين . . هذه هى النقطة الاساسية ، وهى العمود الفقرى للصهيونية ، والسيد كوستا جافراس قال أنه يترك للصحفيين تفسير رد فعل الصحافة البارد تجـــاه الفيلم فى أوربا وأمريكا . . أنا أقول أن هذا هو السبب .

وفى رأيى أن هذا الفيلم لن يعرض فى اسرائيل بسبب تناوله لهذه النقطة . . نقطة الأرض . . مسألة أخرى أنا أعتقد أن داڤيد عمر مستحيل ولن يكون أبدا . . إن كل ما يحدث فى الواقع يؤكد أنه لم ولن

يوجد ابدا .

كوستا جافراس أنت تقول أن دافيد عمر لن يوجد ، والواقع أنه موجود فعلا ، ومهما كان رأيك ورأى العالم كله فهو موجود . . أنه حقيقة مادية ، ومن حقه كأنسان أن يحيا . . وانطلاقا من هذه الحقيقة يمكننا أن نواجه المستقبل . . لا يمكننا أن نرفض بقاء كائن بشرى مهما كانت أسباب وجوده .

محسنة توفيق أنا أشعر أن حديث المخرج ضد ما وصل لى من الفيلم . أهمية الفيلم بالنسبة لى كعربية مصرية أنه جعلنى أشاهد تلك الدولة التى يقال أن اسمها اسرائيل بلد عربى اسمه فلسطين . هذا ما شاهدته على الشاشة . . الأرض والعمارة ، والناس ، وكل شئ . . الوجود الاسرائيلى على هذه الأرض دبابات . . وعساكر وشخصيات مذعوره . .

الفيلم قال لى أن سليم بكرى صاحب ذلك البيت الذى يريدون تحويله إلى متحف هو صاحب حق .

وليس من المهم القول بأنه ارهابى . . ليكن سليم ارهابيا . . ولكنه صاحب حق وهذا هو المهم . . وهذا هو الشئ الايجابى فى الفيلم . .

الفيلم فى رأيى يعبر عن وجهة نظر ثورية ، ويقول

أن السلام مستحيل فى هذه الظروف . . أوجه التحية لهذا الفيلم وإلى صاحبه

جميل راتب اعتقد أن السيدة منحه البطرراوى لم تفهم تماما . . الفيلم ليس عن الشعب الفلسطينى ، وإنما هو عن الشعب الاسرائيلى وموقفه من القضية الفلسطينية . . والمهم جدا فى هذا الفيلم بالنسبة لكل من ينظر إلى القضية بجدية أنه يقول لمن لا يعترفون بوجود اسرائيل أن عليهم التسليم بوجود الاسرائيليين على هذه الأرض . . والحوار عن السلام فى الفيلم يؤكد أن السلام هو بالتأكيد ليس السلام الذى يتصوره الاسرائيليون . . أننى أعتقد أن هذا فيلم شجاع يخدم القضية الفلسطينية . . وعلينا نحن العرب أن نوزع هذا الفيلم ليس فقط فى بلادنا العربية ، وانما فى كل مكان ، وفى الغرب بالذات .

اننى اشكرك يا كوستا جافراس .

عرب لطفى الفلسطينى فى الفيلم يريد أن يعود إلى بيته ، ولكنى أعرف أن الفلسطينى فى الواقع يرفض وجود اسرائيل ويريد استعادة وطنه الكامل . . الفيلم لم يعرض لوجهة النظر الفلسطينية . . وهى وجهة

النظر العربية . .

ربما يكون هناك عــرب أو فلسطينيــون يريدون التعايش مع اسرائيل . . ولكن ليس كل العرب وليس كل الفلسطينيين . . الفيلم لم يعرض أيضا لوجهة النظر الاسرائيلية الفاشية التى ترفض الشعب الفلسطينى ، وترى القضاء على العرب .

أنا لا أعتبر إنك دافعت عن كعربية . . السلام فى الفيلم هو السلام بأى ثمن . . وقد اشرت إلى حرب الجزائر . . ولكنك نسيت أن الجزائر انتصرت بالحرب ، ثم تحقق السلام بعد ذلك ، وبالتالى فحرب الجزائر لم تكن بلا جدوى . .

محمد خان على العكس من أفلام كوستا جافراس السابقة حيث كان له دائما موقف محدد وواضح نجد الفيلم الجديد قابل لأكثر من تفسير . . . وهذا على الرغم من إيجابيات كثيرة فى الفيلم . الفيلم محايد فى عرضه للقضية . .

جميل راتب الفيلم ليس محايد . .

محمد خان كوستا جافراس فى حديثه يصر على أنه محايد . .

د . رفيق الصبان حديث المخرج عن فيلمه كما اشارت السيدة محسنة توفيق يختلف عن الفيلم ذاته .

سامى السلامونى كوستا جافراس ليس مخرج فلسطينى أو عربى وهو غير مطالب بأن يعرض القضية كما نراها ، وانما كما يراها هو . . ومن الغريب أن المخرجيين العرب للأسف الشديد لم يصنعوا شيئا عن فلسطين ولا عن مصر . .

محمد خان هذه مسألة تحتاج لحديث آخر . . يمكننا أن نتكلم لماذا لا نصنع افلاما عن القضية الفلسطينية .

جميل راتب ليس من المهم أن يتطابق حديث المخرج عن فيلمه مع مضمون الفيلم . . الحديث شئ والفيلم شئ آخر ومع ذلك لماذا لم تصنع أنت الفيلم غير المحايد .

ميشيل جافراس أود أن أقول شيئا أولاً أعتذر للسيدة منحه البطراوى عن سؤالى عن جنسيتها . . أنا أيضا دافعت عن ڤيتنام وأنا فرنسية كان المقصود أن أتحدث عن وجهة نظر الكاتب الفلسطينى ادوار سعيد . .

هذه المناقشة تماثل تماما مناقشة فيلم "زد" مع اليونانيين . . ولكن بقى "زد" ، وسوف يبقى أيضا "هانا . ك" . . .

د . فاضل الاسود أريد أن أسأل ثلاثة أسئلة : هل تحمل الجنسية الاسرائيلية ؟ هل تعتقد أن سليم بكرى هو الوجه الآخر لهانا . ك ؟ هل فيلمك عن القضية الفلسطينية

أم عن قـضـيـة هانا . ك ؟ بعـد الاجـابة على هذه الاسئلة يمكن أن نتناقش حول الفيلم . .

كوستا جافراس ما هو سبب سؤالك الأول ؟

د . فاضـل الاسود هذا مـانشـر فـى مـجـلة "الـهلال" المصرية فـى عدد نوفمبر . .

د . رفيق الصبان هذا السـؤال لا مـحل له ، ومـا نشـر فى المجلة هو خطأ لاشك فيه .

د . هشام أبو النصر أوجه التحيه إلى كوستا - جافراس ، واعتقد كما قال سامى السلامونى أنه ليس من المطلوب منه أن يكون فلسطينيا أو عربيا . .

أنا اتفق مع فيلمه ، ولكنى اختلف معه فيما يقول . . كيف يقول أنه ليس سياسيا وهو أحد أعلام السينما السياسية فى العالم . . مسألة أخرى لولا الكفاح المسلح للشـعب الجـزائرى لما وصلت الجـزائر إلى الاستقلال والسلام مع فرنسا . .

د . رفيق الصبان هو لم يقل غير ذلك . . قال أن فرنسا التى وصفت الرئيس الجزائرى منذ سنوات أنه أرهابـى تستقبله الآن كرئيس لدولة . .

كمال الملاخ أريد أن اسـأل مـاذا فـعلتم أنتـم للقـضـيـة الفلسطينيـة . . أنه مـخـرج عـالمى لم يتطلع إلى

الشباك مثلكم . . أن علينا أن نحمد الله أن مثل هذا المخرج حاول أن يعبر عن قضيتنا . . ولابد من ملاحظة أننا لسنا فى إجتماع سياسى وإنما فى ندوة فنية .

محمود على أوجه التحيه إلى كوستا - جافراس على هذا الفيلم رغم كل ما أثير الآن . . ربما يكون الفيلم محايدا أو بالاحرى موضوعيا ، ولكن هذا لايعنى أنه فيلم ضد القضية الفلسطينية . . أنا الاحظ فقط أن الفيلم من الناحية الفنية يعتمد على الحوار ، وليس مثل فيلم "مفقود" على سبيل المثال .

كوستا جافراس كل فيلم يفرض أسلوبه حسب الموضوع وحسب المضمون ووجهة النظر . .

صحفية أمريكية هل تم حذف أى شئ من الفيلم . . .

كوستا جافراس لا لم تحذف أى لقطة ، ولو حذفت أى لقطة من أى جهة لما عرضت الفيلم أو وافقت على مناقشته هنا .

صحفية أمريكية الواقع أن داڤيد عمر لا يمكن أن يوجد فى اسرائيل كما تقول لأن الشريعة اليهودية تمنع ذلك . . دافيد عمر هو ابن زنا ولا يمكن أن يحمل الجنسية الاسرائيلية .

كوستا جافراس لقد فحصنا هذا الموضوع ، وليس صحيحا ما

تقولين . .

سامى السلامونى هذه ليست قضيتنا على أية حال

كمال الملاخ الآن أعطى الكلمة لكوستا جافراس ليقول كلمة أخيرة . .

كوستا جافراس لن أقول نتيجة معينة ، ولكن الخاطر الذى يجول فى نفسى الآن . . .

الفيلم - كما هى العاده - يرى من وجهات نظر مختلفة ومتعددة ، وهذا ليس أمرا سلبيا ، فأهمية الفيلم السياسى تكمن فى المناقشات التى يثيرها ، وهذا ما يحدث مع كل افلامى .

التطبيع ١٩٨٩

في يوم ١٠ يوليو عام ١٩٨٩ نشرت صفحة السينما في جريدة الجمهورية القاهرية تحت عنوان كيف خرج هذا الفيلم ، الخبر التالى : "لأول مرة تم عرض فيلم مصرى فى مهرجان سينمائى فى اسرائيل الاسبوع الماضى . الفيلم تسجيلى قصير وعنوانه "الالات الشعبية الموسيقية" ، وقد تم العرض بحضور مخرجته منى جمال الدين" .

واستطردت صفحة السينما التى تصدر كل اثنين ، ويشرف على تحريرها كاتب هذه السطور : "صرح كرم مطاوع رئيس المركز القومى للسينما أن الفيلم من أنتاج المركز ، ولكن عرضه فى ذلك المهرجان لم يتم بناء على قرار من المركز أو وزارة الثقافة وبالتالى فالعرض لايمثل مصر رسميا . وسوف يجرى التحقيق فى كيفية خروج نسخة الفيلم من مصر دون موافقات الجهات المعنية .

ومن ناحية أخرى أصدرت لجنة مقاومة السينما الصهيونية التابعة لجمعية نقاد السينما المصريين ، والتى تأسست عام ١٩٧٩ بيانا استنكرت فيه اشتراك المخرجة المصرية فى المهرجان الاسرائيلى ، كما قرر اتحاد التسجيليين المصريين فصل منى جمال الدين لمخالفتها قرار الجمعية العمومية برفض التطبيع مع اسرائيل .

وبهذا الخبر بدأ فصل جديد فى المعركة ضد التطبيع مع اسرائيل فى مصر . ونشرت الصحف والمجلات المصرية عدة تعليقات ضد تصرف

المخرجة منى جمال الدين . وفى الاسبوع التالى نشرت صفحة السينما فى "الجمهورية" تحت عنوان "اجراءات مشددة فى المركز القومى للسينما" الخبر التالى :

"أعلن كرم مطاوع رئيس المركز القومى للسينما مجموعة من الاجراءات المشددة يبدأ تنفيذها من اليوم على أثر سفر المخرجة منى جمال الدين إلى اسرائيل دون علم المركز ، وتمكنها من عرض فيلمها التسجيلى القصير "الالات الشعبية الموسيقية" فى مهرجان القدس المحتلة ، وهو من انتاج المركز ، والادعاء بأن الفيلم يمثل مصر رسميا فى المهرجان .

الهدف من هذه الاجراءات عدم تسليم أى نسخة جديدة من أى فيلم من أى معمل دون موافقة رئيس المركز ، وعدم سفر أى موظف فى المركز دون الحصول على تصريح السفر من ادارة المركز . ومن ناحية أخرى قرر مجلس نقابة السينمائيين تجميد عضوية منى جمال الدين لمخالفة قرار الجمعية العمومية ضد تطبيع العلاقات مع اسرائيل .

وكان مجلس جمعية التسجيليين المصريين قد قرر فصل المخرجة ، كما صدرت بيانات رسمية باستنكار موقفها من فرع اتحاد التسجيليين العرب بالقاهرة ، ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية ، ولجنة مقاومة السينما الصهيونية ، وجمعية السينمائيات العرب تحت التأسيس" .

وفى ٧ أغسطس ١٩٨٩ نشرت صفحة السينما فى "الجمهورية" تحت عنوان "بيان رسمى من المركز القومى للسينما"

الخبر التالى :

"أصدر كرم مطاوع المشرف العام على المركز القومى للسينما البيان الرسمى التالى :

بمناسبة مانشر عن السيدة منى جمال الدين المخرجة بالمركز القومى للسينما ، واشتراكها فى مهرجان القدس المحتلة ، واحاديثها بالاذاعة الاسرائيلية ، يعلن المركز القومى للسينما أن تصرف السيده المذكورة جاء بمبادرة شخصية بحتة تتنافى مع المبادئ والقيم التى يعتنقها المركز والعاملون به ، حيث لاعلاقة لنا اطلاقا بما سمى بمهرجان الافلام التسجيلية بالقدس المحتلة . فقد سافرت دون الحصول على اذن من ادارة المركز الذى لاتمثله بأى صورة من الصور ، كما أنها لم تحصل على اجازة أو تصريح بالسفر حيث سافرت بجواز سفر فرنسى كما أوضحت لادارة المركز .

ومن التحقيقات الأولية التى اجراها المركز ثبت أن الفيلم وصل إلى المهرجان بطريق غير قانونى وعن غير طريق المركز أو علمه .

ولهذه الأسباب اتخذت الاجراءات التالية :

أولا : احالة الموضوع بتاريخ ١٠ يوليو ١٩٨٩ للنيابة الادارية لوزارة الثقافة فور سماع حديثها بالاذاعة الاسرائيلية . والمركز فى انتظار نتيجة التحقيق لتوقيع العقوبات الادارية حسب ما يسفر عنه التحقيق .

ثانيا : اجتمعت اللجنة النقابية بالمركز بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٨٩ وقررت بالاجماع شطب عضويتها من اللجنة النقابية للعاملين .

ثالثا : أصدر التسجيليون بالمركز بمختلف تخصصاتهم الفنية بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٨٩ قرارا بعدم التعاون مع المخرجة المذكورة .

رابعا : تجميدالنشاط الفنى الذى كانت تمارسه المخرجة المذكورة بالمركز إلى حين تكامل عناصر المخالفات الموجهة اليها بمعرفة جهات التحقيق" .

وفى ٢٠ أغسطس ١٩٨٩ نشر الدكتور عبد العظيم رمضان فى مجلة "أكتوبر" تعليقا على بيان المركز تحت عنوان "الأمية السياسية فى المركز القومى للسينما" هاجم فيه قيادة المركز وأتهمها بـ "المزايده على السلطة الوطنية" .

وفى ٣٠ أغسطس رد الفنان حمدى غيث على مقال الدكتور رمضان فى الأهالى تحت عنوان "كوميديا الدكتور عبد العظيم رمضان" وفى ١٠ سبتمبر عقب رمضان على الرد فى "اكتوبر" تحت عنوان "ليقنع حمدى غيث بالتمثيل" . وفى ١٣ سبتمبر رد حمدى غيث فى "الأهالى" ثانية تحت عنوان " يا دكتور عبد العظيم : يشرفنى أن أكون ممثلا" ونظرا لأهمية هذه المعركة فى فهم التطبيع ١٩٨٩ بعد عشر سنوات من توقيع المعاهدة بين مصر واسرائيل ننشر النصوص الكاملة للمقالات الأربع .

(مقال رمضان الأول)

نشر الدكتور عبد العظيم رمضان تحت عنوان "الأمية السياسية في المركز القومي للسينما" المقال التالي :

تابعت بشغف كبير المعركة التي دارت بين المركز القومي للسينما ولجنته النقابية وبين السيدة منى جمال الدين المخرجة بالمركز القومي للسينما ، بسبب اشتراك المخرجة في مهرجان بالقدس المحتلة ، وادلائها بأحاديث بالاذاعة الاسرائيلية - وانتهت باحالة السيدة للنيابة الادارية للتحقيق معها ، واجتماع اللجنة النقابية بالمركز بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ - أي قبل انتهاء التحقيق - واتخاذها قرارا - بالاجماع بشطب عضويتها من اللجنة النقابية للعاملين ، ثم اصدار التسجيليين بالمركز - بمختلف تخصصاتهم الفنية - بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٤ ، قرارا بعدم التعاون مع المخرجة المذكورة ، وأخيرا تجميد النشاط الفني الذي كانت تمارسه المخرجة المذكورة بالمركز لحين تكامل عناصر المخالفات الموجهة اليها بمعرفة جهات التحقيق .

وقد أدركت أنني أمام أحدى كوميديات عادل إمام أو فؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولي وشويكار الرائعة ، التي تعتمد علي المفارقات ، فتفترض جهل ابطالها بالحقيقة وتصرفهم على أساس هذا الجهل ، بينما يعرف المشاهد الحقيقة ويضحك لهذا الجهل .

نعم أغرقت في الضحك لأن أبطال الكوميديا التي قام بها المركز القومي للسينما ولجنته النقابية قد تصرفوا على أساس أن مصر تعيش

فى عام ١٩٧٢ ، حين كانت سيناؤها محتلة بالقوات الاسرائيلية ، وكانت مصر فى حالة حرب مع اسرائيل وكان الاتصال باسرائيل فى ذلك الوقت يعد مـن أعمال الخيانة والمروق مـن الوطنية ، ومسحوا من تاريخ مصر - أقصد من ذاكرتهم - حرب أكتوبر ومعركة العبور ومفاوضات الكيلو ١٠١ ، واتفاقيات فض الاشتباك . ومبادرات السلام التى قام بها السادات ، وزيارة القدس ، والمفاوضات المصرية الاسرائيلية ، واتفاقيتى كامب ديفيد ، والمعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وانسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء ، ثم المفاوضات حول مشكلة طابا ، وحكم محكمة العدل الدولية ، وانسحاب اسرائيل من طابا ، وتسليمها للقوات المصرية ، وتحرير كامل الأرض المصرية وانتهاء الخصومة المصرية الاسرائيلية .

نعم ضحكت لأن ابطال الكوميديا فى المركز القومى للسينما قد قاموا بأدوارهم على أساس الجهل بكل هذه الحقائق التاريخية ، بينما يعرف المشاهدون - وهم كل شعب مصر - هذه الحقائق ! وضحكت أكثر وأكثر حين تذكرت أن الدكتور بطرس غالى كان يزور اسرائيل قبل شهر أو أكثر ، وبالتحديد فى ١١ يونيو ١٩٨٩ ، وقبله بعامين تقريبا كان الدكتور عصمت عبد المجيد يزور اسرائيل ! وتصورت أن كلا منهما كان معرضا لشطب عضويته وتجميد نشاطه وعدم التعاون معه ، لو كان يعمل بالاخراج فى المركز القومى للسينما ، ولكن حسن حظهما قادهما ليصبحا وزيرى خارجية ، ويضعهما فى موقع صنع القرار السياسى فى مصلحة هذا الوطن ولصالح هذا الشعب .

ومن حق البعض أن يقوم بهذا التهريج فى هذا البلد ، بين الفينة والفينة ، لاضحاك شعبنا والتخفيف من همومه الاقتصادية ، ولكن بشرط أن يعمل لحسابه الخاص وليس باسم المركز القومى ، كما أن من حق البعض أن يزايد على وطنية نظامنا الوطنى الذى أبرم المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وحرر سيناء فى وجه معارضة امتدت من الخليج إلى المحيط ، ووصلت إلى بعض المخدوعين فى بلدنا - فيقوم بتحريم عمل يقوم به أكبر مسئولين فى الدولة عن سياستها الخارجية ، وينكل بمن يقوم به ، فيحليه إلى النيابة الادارية ، ويشطب عضويته ويقرر عدم التعاون معه ولكن بشرط أن يتبع مؤسسة أهلية وليس مؤسسة رسمية ، وبشرط أن يقوم به بمبادرة شخصية بحتة ، ولا يشرك معه الجميع .

وعلى سبيل المثال فقبل عامين قامت نقابة الأطباء بدور كوميدى مماثل ، فأرعدت وأبرقت ، وحذرت أطباء مصر من الاحالة إلى الهيئة التأديبية اذا اشتركوا فى مؤتمر معين ، بحجة اشتراك أطباء اسرائيليين فيه . ولكن نقابة الأطباء هيئة وليست مؤسسة رسمية ، ومن حق القائمين عليها أن يجهلوا تاريخ مصر المعاصر ، ويجهلوا الأحداث المعاصرة ، ويجهلوا التطورات التى طرأت على العلاقات المصرية الاسرائيلية ، ويتصوروا أن مصر ما زالت تعيش فى حالة حرب مع اسرائيل ويتخذوا مواقف عنترية من أمثال ذلك الموقف الذى اتخذه المركز القومى للسينما - ولكن ليس من حق المركز القومى للسينما اتخاذ هذا الموقف لأنه مفروض فيه أنه جزء من أجهزة الدولة ، ومن المفترض أن يلتزم بسياستها .

ومع ذلك فقد كنت خليقا بأن ألتمس له العذر لو كانت السياسة التى تتبعهاالدولة سياسة غير وطنية ، ولو كان النظام فى بلدنا نظاما غير وطنى ، ولو كان رئيس الدولة الذى يرسم سياستها وصل إلى الحكم عن طريق انقلاب عسكرى ولم يصل عن طريق استفتاء شعبى ، أو لو كان قد فقد ثقة الشعب به وسياسته وظهر ذلك فى تحركات القوى الوطنية .

ولكن النظام السياسى فى بلدنا نظام وطنى بأعتراف الاعداء قبل الأصدقاء ، وأكثر من ذلك يلقى الثقة والتأييد من الشعب وسياسته التى قامت على المصالحة مع اسرائيل قد لقيت تأييد الشعب من أول لحظة - أى منذ أعلن المرحوم السادات عن مبادرة السلام وعزمه على زيارة القدس ، وقد ساند الشعب هذه السياسة مساندة صلبة وثابتة على مدى أثنى عشر عاما كاملة دون وهن أو ضعف ، وبفضل هذه المساندة العبقرية تحررت سيناء وتحررت طابا ، فكانت أول أرض عربية تتحرر من بين الأراضى التى احتلت فى يونيو ١٩٦٧ . وقد اعترفت الشعوب العربية بحق مصر فى تحرير أرضها عن هذا الطريق - طريق المصالحة مع اسرائيل - وانهت مقاطعتها لمصر وأعادت علاقاتها ، وعادت مصر إلى موقعها فى جامعة الدول العربية .

فاذا جاء المركز القومى للسينما ، يزايد على السلطة الوطنية ، ويحيل مخرجة فيه إلى النيابة الادارية ، ويشطب اسمها من اللجنة النقابية ويقرر عدم التعاون معها ، لأنها قامت بما يقوم به كبار رجال الدولة والحكم فى مصر ، وبما قام به وزير خارجيتها ، وبما قام به كثير من

الكتاب والمفكرين الوطنيين ، مثل مكرم محمد أحمد وعبد الستار الطويلة ، فان من حقنا أن نعلن اعتراضنا على هذه المزايدة غير المعقولة ، أو نضحك لأن المركز القومى للسينما لا يعلم عدد السائحين الاسرائيليين الذين يفدون إلى مصر ، والترحاب الذى يقابلون به من الشعب المصرى فى أى مكان يتجهون إليه .

وهذا يثبت أن الشعب المصرى هو المعلم حقا ، وأنه سبق كثيرين من المثقفين فى وعيه السياسى وحنكته السياسية ، وأكثر منهم فهما لمصالحة الحقيقة ، وأنه ليس فى حاجة لمثل تلك المظاهرات التى تقوم بها تلك المراكز والنقابات وغيرها ، والتى لا يعلم أحد حقا من تمثل ؟ : هل تمثل موقفا للشعب المصرى وهذا موقفه المعلن ؟ أو تمثل مصالح خاصة لأصحابها ، وتعزلهم عن مجموع الشعب وعن سياسات النظام السياسى الوطنى الذى يعبر عن مصالح الشعب بأكثر مما تعبر عنها أوهامهم .

اننى أعلم أن هناك من سوف يتعلل فى المركز القومى للسينما بالقضية الفلسطينية ويرد بأن التصرف الطائش الذى قام به ، والاعتداء الذى قام به على المخرجة المذكورة ، انما قام به مساندة للانتفاضة الفلسطينية وأرجو أن يسبق ذكاء هذا البعض هذا القول فلا يردد ، لأنه يكون بمثابة عذر أقبح من ذنب ، فهو مزايدة على وطنية الشعب المصرى ونظامه السياسى .

والشعب المصرى عندما أيد مبادرة السلام التى قام بها السادات ، وعندما أيد اتفاقيتى كامب دافيد ، ووافق على المعاهدة المصرية

الاسرائيلية ، كان يعلم أنه يحرر أرضه وحدها بينما مازالت الضفة الغربية وغزة والجولان تحت الاحتلال الاسرائيلى ، ولكنه اعتبر تحرير سيناء عملا ايجابيا لأن تحرير أية أرض عربية هو على وجه التحقيق خطوة إلى الأمام .

وعندما قام الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وغزة بانتفاضته الرائعة لم يتردد الشعب المصرى فى تأييد هذه الانتفاضة بكل قواه ، وسارع النظام السياسى الوطنى فى بلدنا بمساندتها بكل امكاناته ، على نحو استحق عليه الاشادة من الشعب الفلسطينى وممثليه الحقيقيين وهم منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن هذه المساندة من جانب الشعب المصرى لم تتخذ شكل دعوة إلى الانقضاض على الاتفاقية الدولية المبرمه مع اسرائيل ، ولم تتضمن دعوة إلى تجميد العلاقات السياسية معها . وفى الوقت نفسه فإن النظام السياسى استفاد من علاقاته السياسية مع اسرائيل فى تقريب وجهات النظر بين حكومتها والمنظمة ، ومحاولة خدمة مصالح الشعب الفلسطينى . ولكن ذلك لم يتخذ شكل خطوات رعناء مثل قطع العلاقات أو الاتصال أو منع زيارة المسئولية المصريين لاسرائيل أو زيارة المسئولين الاسرائيليين لمصر .

ومن هنا فلا يمكن المركز القومى للسينما أكثر حرصا على مصالح الشعب الفلسطينى من الشعب المصرى أو من النظام السياسى الوطنى فى بلدنا ، حتى يبيح لنفسه بأسم هذا الحرص الاعتداء على مخرجة من مخرجيه لزيارتها اسرائيل والاشتراك فى مهرجان عقد بالقدس المحتلة .

كذلك لايمكن أن يزايد المركز القومى للسينما على ممثلى الشعب الفلسطينى وهم منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد أن تخلت المنظمة عن سياسة العزلة القديمة التى كانت تدين بمقتضاها كل من يقابل اسرائيليين أو يزور اسرائيل وأصبحت اللقاءات بين ممثلى المنظمة والاسرائيليين تنشر فى الصحف كل يوم ، وبعد أن كانت اللقاءات تقتصر فى البداية على قوى السلام الاسرائيلية أصبحت تجرى الآن مع ممثلى الحكومة الاسرائيلية بل واسحق شامير نفسه . وقد أسمت منظمة التحرير هذه السياسة اسم "هجوم السلام الفلسطينى" . ومنذ نحو شهرين حضرت مؤتمرا فى لوزان بسويسرا حضره فيصل الحسينى وحنا سنيورا وعدد من الشخصيات الاسرائيلية ، ولم يكن هناك أية قيود تحول دون الاتصالات بين الطرفين ، بل كانت العلاقات بينهما قائمة .

ومن هنا فلست أعتقد أن التهريج الذى قام به المركز القومى للسينما قد خدم قضية من القضايا ، كما أنه لم يمثل فيه سوى نفسه . واذا ظن أنه قد أثبت لنفسه شيئا بأنه لم يثبت الا عزلته عن التطورات السياسية التى تعرضت لها القضية الفلسطينية والعلاقات المصرية الاسرائيلية والعلاقات العربية المصرية - وذلك ما أسميته الأمية السياسية .

والمذهل فى كل تلك القصة أن المخرجة المذكورة - باعتراف بيان المركز القومى للسينما نفسه - تصرفت "بمبادرة شخصية بحته ، وتحملت شخصيا مسئولية الاشتراك ولم تحمل المركز وزره - اذا كان ثمة أوزار فى

هذا الاشتراك . واذا كان الأمر كذلك فما هى الجريمة التى ارتكبتها المخرجة فى حق المركز حتى يحاكمها ؟ ! وما هى الجريمة التى ارتكبتها فى حق الوطن حتى يحاسبها ؟ وما هو الفرق بين زيارة المخرجة لاسرائيل وزيارتها للولايات المتحدة - التى تدعم اسرائيل - على سبيل المثال ؟ وهل كان المركز يتخذ هذا الاجراء ضد المخرجة لو اشتركت فى مهرجان اقيم فى الولايات المتحدة ، أو أنه كان يشيد بهذا الاشتراك وتعلن عنه الصحف بمزيد من الفخار ؟ وما هو الفرق فى العلاقات بين مصر واسرائيل وبين علاقتها بالولايات المتحدة التى تدعمها ؟ بل ما هو الفرق بين اسرائيل وبين والولايات المتحدة وكلاهما عضوان فى جسد واحد هو الجسد الامبريالى ؟

لكن الاجابة عن هذه الأسئلة تتطلب حدا أدنى من الوعى السياسى والمعرفة بما يجرى من أحداث معاصرة على مستوى الوطن المصرى المعربى والعالم أجمع . وهذا الوعى وتلك المعرفة مفتقدان تماما فى حالة المركز القومى للسينما الذى يعيش بعقلية أهل الكهف لأنه لا يخرج من الكهف الاختيارى الذى وضع نفسه فيه .

وهذا أمر محزن ، فمن الضرورى أن تتغير العقلية القديمة التى حكمت تصرفاتنا أيام العهد الناصرى ، وطوال مراحل الصراع العربى الاسرائيلى . ومن الضرورى أن تتغير نظرتنا إلى اسرائيل التى قادتنا إلى خوض أربع حروب ، وخسارة الضفة الغربية وغزة - وسيناء - حتى وقت قريب . . فاسرائيل ليست فقط حكومة الليكود ، وانما هى الحكومة

والشعب الاسرائيلى الذى تتنامى فيه قوى السلام بشكل مضطرد ، وهذه القوى السلامية تحتاج إلى معرفة عائد السلام مع مصر ، حتى تضغط على حكومتها من أجل تعميم هذا السلام مع الفلسطينيين وبقية الدول العربية .

وما فعله المركز القومى لا يدعم السلام ، ولايساعد على حل القضية الفلسطينية . بل يعرقلها ، وهو سلاح فى يد قوى التشدد والتطرف فى اسرائيل ترفعه فى وجه القوى السلامية كلما تحدثت عن مزايا السلام . فالسلام بين مصر واسرائيل هو الأنموذج الوحيد الذى ظهر حتى الآن فى حقل العلاقات العربية الاسرائيلية ، وصحيح أن ايجابياته حتى الآن أكثر من سلبياته ، ولكن ما فعله المركز القومى يعطى التطرف الاسرائيلى الذريعة للاستماتة فى التمسك لأنه ببساطة يهدم شعار الانسحاب من الأرض العربية مقابل السلام فها هى ذى اسرائيل قد انسحبت من سيناء ، ولكنها لم تحصل على السلام الطبيعى بالمعنى الشامل الموجود بين الدول ، وها هى ذى قوى فى مصر تعامل من يزور اسرائيل معاملة من يزور دولة معادية لمصر وفى حالة حرب معها .

وهذا ما تدركه القيادة الفلسطينية ، فلم تطلب من مصر قطع علاقاتها مع اسرائيل أو تجميد علاقاتها معها ، ولم تطلب ذلك من دولة من الدول ، لأنها تدرك أن ذلك يزيد التعنت الاسرائيلى ، ولأن تأثيره منعدم أيضاً ، ولأنه أسلوب عتيق فى النضال السياسى ثبت جدبة وعمقه ، ولو كان السادات قد تمسك به لكان وضع سيناء حاليا هو نفس وضع

الجولان ، ولو كانت منظمة التحرير قد تمسكت به لما كسبت العطف العالمى الذى تحظى به حاليا ، ولما أحدثت ذلك التغيير الهائل فى الرأى العام الأمريكى والأوروبى .

وأنى أؤكد أن المخرجة المذكورة - ولا أعرفها - قد خدمت قضية السلام بزيارتها لاسرائيل بأكثر من القوى التى تكتفى باطلاق تلك المظاهرات ولاتدرك معناها بسبب اميتها السياسية ، وتتخذ مثل ذلك القرار الكوميدى بشطب اسم المخرجة من النقابة لأنها زارت اسرائيل كما لو كانت قد زارت دولة محاربة لمصر .

ومن المؤسف أننا فى مصر لانجد بين المثقفين تلك القوى الشجاعة التى تملك الادراك الصحيح للأمور - كما نجدها بين الاسرائيليين - أى أننا لانجد قوى تسبق النظام السياسى فى شجاعته فى تناول هذه الأمور على نحو ما هو موجود فى اسرائيل .

فبين يدى وأنا أكتب هذا المقال ، جريدة الأهرام يو ٨ أغسطس وفيها حديث أجرته أميرة حسن فى القدس مع المراسل العسكرى لصحيفة "ها آرتس" الاسرائيلية زائيف شيف وهو صديق من قوى السلام ، وفيها يقول أنه لم يكن عنده شك فى أن الانتفاضة ستحدث إن عاجلا أو آجلا ، "لأنى رأيت بأم عينى الضغوط التى تعرض لها الفلسطينيون ، وهى ضغوط اجتماعية واقتصادية ، كنا نحن اليهود السبب فيها "ثم يصف التصريحات الاسرائيلية التى تنادى بقمع الانتفاضة بأنها تصريحات "ساذجة" . ويقول انه من الضرورى التفاوض مع المنظمة "لأنها القيادة

الفعلية للشعب الفلسطيني" . ويصف الانتفاضة بأنها "انتفاضة شعبية لسكان موجودين تحت ضغوط الاحتلال وتحت ضغوط اقتصادية واجتماعية يحاولون تحديد هويتهم القومية والحصول على حقهم فى تقرير المصير" . وينفى عن الانتفاضة أنها "تمثلارهابا" . ويقول أن "الجنرالات يرفضون الحل السياسى ، ولكن ينبغى عليهم أن يفهموا أننا يجب فى مرحلة ما أن ندخل فى مفاوضات سياسية مع الطرف الفلسطينى .

وعندما سئل عن رأيه فى تصريحات شارون عن اغتيال عرفات وقادة منظمة التحرير ، قال : "هذا تصريح لانسان بدائى يرى الأمور كلها من فوهة البندقية" . وضرب المثل بأغتيال أبى جهاد وقال أن اغتياله لم ينه الصراع ، وأن المشكلة لن تحل بالاغتيالات .

هذه النوعية من التصريحات الشجاعة لاسرائيليين من قوى السلام ضد حكومتهم تخدم القضية الفلسطينية بأكثر من تلك النوعية من القرارات الغاشمة التى اصدرها المركز القومى للسينما ولجنته النقابية ، بل هى على النقيض منها تماما ، فقرارات المركز القومى تقدم دعما لشارون وجنرالاته المتشددين وتهديهم ذريعة قوية لاستمرار فى موقفهم الذى "يرى الأمور كلها من فوهة البندقية" .

نعم من المؤسف أن المثقفين المصريين الذين يملكون الرؤية الصحيحة لحل المشكلة كما تملكها قوى السلام الاسرائيلية ، قليلون ، فمازالت الأغلبية تؤثر السلامة ، وتخشى من الأقلية الصخابة من ثوار الكلام ومناضلى المصاطب أن تصيبها بشواظ من نارها . وهذا أمر محزن

ومخجل معا ، فقد كنا نظن أن شجاعة السادات قد دفنت مناضلى المصاطب هؤلاء وتخلصت منهم نهائيا ، وألهمت الكثيرين الشجاعة والنظر إلى الأمور فى ضوء الواقع الجديد ، ولكن مازال الكثيرون يخشون من تلك الأشباح ويتصرفون تلك التصرفات الحمقاء ، ومن حسن الحظ أن نظامنا السياسى يملك الرؤية الصحيحة ويملك الشجاعة فى اتخاذ القرار ، ولا يعيبه أن يتقدم كثيرا فى هذا المضمار عن معظم الكتاب والمفكرين والمثقفين المصريين ، وانما يعيب المتخلفين .

(رد حمدى غيث)

ونشر حمدى غيث تحت عنوان "كوميديا الدكتور عبد العظيم رمضان" المقال التالى :

لعل متابعتى لكل ما يكتب المؤرخ الكبير دكتور عبد العظيم رمضان واهتمامى بأفكاره وارائه التى يطرحها فى مقالاته الهامة . . هو ما يدفعنى إلى التعليق على بعض هذه الأراء والأفكار . . ايمانا منى بأنه يناقش دائما موضوعات على درجة عالية من الأهمية والحيوية . . ولكن ما يدهشنى حقا هو أنه يناقش هذه الموضوعات من منظورين ثابتين لا يتغيران ابدا . . فاما المنظور الأول فهو عشقه العميق لاسرائيل . . وحرصه المستميت على الدعوة إلى تطبيع علاقاتنا معها . . بل أنه يتجاوز هذا إلى دعوته (الرومانسية) الى تبادل الحب والعشق والمودة الحميمة معها . . أما المنظور الآخر . . فهو كراهيته لثورة يوليو ولزعيمها الخالد

عبد الناصر ولكن هذا ليس موضوع مقالنا اليوم .

انما أريد أن أناقش هنا ما كتبه أخيرا فى عدد أكتوبر بتاريخ ٨/٢٠ تحت عنوان "الأمية السياسية فى المركز القومى للسينما" وهو فضلا عن تعبيره عن عشقه العميق لاسرائيل كما ذكرت أنفا . . قد غابت عنه كثير من حقائق الموضوع الذى تناوله وهو يدين موقف المركز القومى للسينما من أحدى موظفاته وهى مخرجة عرضت فيلما من افلام المركز فى مهرجان أقيم بأسرائيل وحضرت هذه المهرجان بدون اذن رسمى من المركز . . كما يدين سيادته أيضا موقف اللجنة النقابية بالمركز ويدين جماعة السينمائيين التسجيليين . . ونقابة المهن السينمائية .

أنه يبدأ المقال بالسخرية من المسئولين عن هذه الأجهزة جميعا ويتهمهم بالجهل والأمية السياسية . . إلى حد يدفعه إلى الاستغراق فى الضحك . . ويصفهم بأنهم أبطال كوميديا مضحكة . . لأنهم يجهلون أن مصر خاضت حربا مظفرة فى ٧٣ وأنها حررت سيناء . . وحطمت خط بارليف . . ويجهلون مبادرة السلام . . ومفاوضات القدس والمفاوضات المصرية الاسرائيلية . . والمفاوضات حول طابا وحكم محكمة العدل الدولية . . وانسحاب اسرائيل والمعاهدة المصرية الاسرائيلية وانتهاء الخصومة بين مصر واسرائيل .

يا سيدى . . كل هذه المعلومات القيمة التى صدرت بها مقالك يعرفها أصغر طفل فى الشارع المصرى . . واذا كنت ضحكت كثيرا عندما توهمت أنها معلومات خطيرة يجهلها القائمون على المركز القومى

للسينما وغيرهم ممن ذكرت فأسمح لنا نحن أن نضحك أكثر على وهمك بأنك متفرد بمعرفة معلومات هائلة . . بوصفك مؤرخاً عظيما .

والآن فلندخل فى الموضوع . . أولا . . المركز القومى للسينما . . وهو جهة حكومية كما ذكرت فى مقالك . . قد احال مخرجة للنياية الادارية . . لأنها موظفة بالمركز قد تجاوزت حدود وظيفتها وخالفت قوانين ولوائح العمل الحكومى . . حيث استولت على فيلم مملوك للمركز . . دون الحصول على تصريح . . وعرضته فى الخارج . . دون تصريح . . وسافرت تاركة عملها . . دون تصريح . . وبديهى أن أى موظف يجب أن يلتزم بقوانين ولوائح العمل الحكومى . . حرصا على الانضباط . . ودرء للفوضى والتسيب . . واذا خالف وجبت مساءلته تأديبيا .

أليس كذلك يا دكتور . . أم هل كنت تريد من المركز القومى أن يتغاضى عن هذه المخالفات . . لمجرد أن المخرجة سافرت إلى الصديقة الحبيبة اسرائيل ؟ هل يريد الدكتور أن نعامل كل من يخالف قوانين العمل الحكومى معاملة خاصة متميزة مادام الأمر يتعلق بالتعامل مع اسرائيل وفى سبيلها كل شئ يهون . . هل نحاكم مخرجا يستولى على فيلم ليس ملكا له ويعرضه فى مهرجان بأنجلترا مثلا دون اذن صاحب الحق . . اما اذا عرضه فى اسرائيل . . فلا جناح عليه . . بل علينا أن نقدم له التحية . . لأن عرضه فى دولة هى صديقة وحبيبة لنا . . بموجب (فك الاشتباك - والكيلو ١٠١ والمبادرة والمعاهدة) وكل هذه المعلومات والمسوغات الخطيرة التى يعرفها الدكتور دون سائر مخلوقات الله . اهذه هى النتيجة التى تريد

أن تصل اليها يا سيدى ؟ تريد أن يكون لاسرائيل فى مصر وضع خاص متميز يتجاوز مجرد التطبيع العادى للعلاقات معها إلى علاقة . . لا أعرف كيف يمكن توصيفها قانونا . . ولعلك أنت تستطيع أن تدلنا على هذا التوصيف . . الا ترى يا سيدى أن سخريتك من احالة هذه المخرجة إلى التحقيق . . وأن رفضك لهذا الاجراء . . يمكن أن يجرنا إلى وضع شاذ يباح فى ظله لكل مصرى أن يفعل ما يشاء مخالفا لكل القوانين مادام الأمر يتعلق بالصديقة اسرائيل . . أن دعوتك هذه يترتب عليها مثلا . . أن يحمل أى موظف بالآثار أى قطع أثرية نادرة . . دون اذن من أحد ويذهب ليعرضها فى اسرائيل . . وعلينا أن نصفق له لأنه – طبقا لرأيك – يعمق الصداقة والمحبة بين شعب مصر وشعب اسرائيل (الشقيق) ياسيدى . . هل تراجع افكارك ومواقفك التى تسارع إلى اتخاذها دون تمحيص مدفوعا بحبك (العظيم) لاسرائيل ولشعب اسرائيل .

هذه واحدة . . أما الأخرى . . فان اللجنة النقابية وجماعة السينمائيين التسجيليين . . ونقابة السينمائيين – كلها تنظيمات جماهيرية . وليست تنظيمات رسمية . . ومن حق هذه التنظيمات الجماهيرية . . أن ترتب أمورها وتتخذ مواقفها وفق ما تراه متفقا مع صالح اعضائها ومهنتها . . ومع رؤيتها للمسألة الوطنية والقومية . . ولقد أجمع أعضاء النقابات الفنية على رفض التطبيع مع اسرائيل . . وهذه ارادة جماهيرية كان عليك أت تضعها فى حسابك وأنت تناقش هذا الأمر بوصفك أحد المدافعين عن الديموقراطية .

ياسيدى . . من حق هذه التنظيمات أن ترى ان الشعب المصرى جزء من الأمة العربية . . وأن ما ترتكبه اسرائيل من اعمال وحشية فى لبنان وفى الأرض المحتلة . . من قتل عشوائى للأطفال والنساء . . ومن عربدة فى المنطقة بأسرها (ضرب المفاعل العراقى . .) من حق هذه التنظيمات أن ترى فى كل هذا شأنا مصريا أيضا . . من حق هذه التنظيمات أن ينخلع قلبها وعقلها أمام ممارسات اسرائيل الارهابية بخطف الزعماء ومقاومة الحجارة بالصواريخ ورفض كل محاولة للسلام الحقيقى العادل الذى يرد الحقوق لأصحابها . . من حق هذه التنظيمات الجماهيرية . . أت تعلن وبأعلى الصوت . . أنه لاتطبيع للعلاقات مع اسرائيل حتى يحصل الشعب الفلسطينى على حقوقه المشروعة كاملة . . وهذا – يا سيدى – موقف شعبى . . لا شأن له بالموقف الرسمى الذى تمليه ظروف عديدة متشابكة ومعقدة لا شأن له بالسياسة الوطنية التى تنتجها الدولة . . لأن العمل السياسى الرسمى . . شئ . . والعمل الشعبى الجماهيرى . . شئ آخر . . وقد يكون العمل الجماهيرى الشعبى سندا قويا للعمل الرسمى الذى يمكن أن يناور ويحاور . . ويتقدم خطوة ويتأخر خطوة ويلف ويدور . . ويأخذ ويعطى . . ووراءه قوة جماهيرية عظيمة متشددة يستخدمها فى حركته عند اللزوم . . كان يقول شعبى يرفض كذا . . شعبى يريد كذا . . لا أستطيع كذا . . ولعله لا تخفى على فطنة الدكتور رمضان أن بعض الدول تصطنع هذا الرأى الشعبى اصطناعا لتناور به فى مواقفها السياسية التفاوضية . . أما نحن فنملك بالفعل هذا

الرأى الشعبى . ولكن الدكتور يريد تدميره . . ويدعو إلى أن تقف جميعا على خط واحد بحيث يمكن لعدونا أن يقضى علينا جميعا بضربة واحدة . . الدكتور يريد شعبا خاملا ساكنا لا رأى له . . ثم ألا يرى الدكتور أن مطالبته بأن يغير معارضو التطبيع موقفهم ويقبلوا الصداقة مع اسرائيل اظهارا واثباتا لحسن النية هو المعادل لمطالبة اسرائيل بوقف الانتفاضه الفلسطينية . . كشرط للتفاوض . . أليس هذا فخا يستدرجوننا اليه ، ياسيدى أين فطنتك التاريخية لتدرك هذه الحقيقة ؟

وفى النهاية ياسيدى . . من قال لك أن تطبيع العلاقات مع اسرائيل يتجاوب مع مشاعر الشعب المصرى . . هل استقرأت مشاعر الشعب المصرى وعلمت حقيقة عواطفه ؟ لا أظن . . والا . . فكيف تغفل عن عمد أو غفلة . . شكوى السائحين الاسرائيليين ورجال السفارة الاسرائيلية انفسهم . . من عزلتهم فى مصر . . وعدم قدرتهم على الاختلاط بالشعب المصرى . . أن كنت لا تدرى فأسال اصدقاءك منهم . . أما ما تزعمه عن الفنادق والمطاعم فهى مؤسسات تجارية . . لانستطيع أن نطالبها بأتخاذ مواقف سياسية فوق طاقتها . . أن رأس المال يكون أحيانا قاسيا إلى حد التغاضى عن المواقف الوطنية . . ولعل تعاون بعض المؤسسات الصناعية الغربية الكبرى مع هتلر يذكرنا بهذه الحقيقة .

وأسأل الدكتور رمضان لماذا يتغافل عن وجود المتشددين فى صفوف الشعب الاسرائيلى نفسه . . فضلا عن حكومته الرسمية . . أن محاكمات تجرى فى اسرائيل لمن يلتقى بأى مسئول فلسطينى . . أن دم

عرفات قد أهدره شامير . . ولكنك ياسيدى تريد أت تخفف وقع هذا الأمر البشع علينا بأن تذكر أن أحد اصدقائك قد أدانه . . كل شئ من اسرائيل مقبول . . القتل الجماعى . . التعذيب . . اهداء دم الزعماء العرب . . واختطاف رموز النضال . . . . ما دامت هناك قلة خافتة الصوت تعارضه . . وهكذا تجيد اسرائيل ادخال الغفلة على بعض مثقفينا . . لو افترضنا حسن نيتهم . . ولكنهم ابدا لن تستطيع ادخال الغفلة على الشعب .

ان اسرائيل الرسمية نفسها مازالت ترفض السلام . . وتقيم المذابح الجماعية لاخوتنا وابنائنا في الأرض المحتلة . . وتقول ياسيدى أن ما فعله المركز القوى للسينما يعطى لاسرائيل الحق فى الاستماتة فى التمسك . . هكذا . . مجرد محاكمة مخرجة لأنها ارتكبت مخالفة وظيفية . . . . يعطى لاسرائيل الحق فى التمسك بالأرض المحتلة . . ولكن السلام مع مصر . . ومرونة الموقف الفلسطينى . . واستعداد العالم العربى كله للسلام مع اسرائيل . . لايؤثر فى موقفها . . ولا يدفعها إلى قبول السلام . . كل هذه التنازلات – أو لا أدرى ماذا أسميها – فلنقل كل هذه المتغيرات الجذرية فى الموقف العربى . . لا تؤثر فى حمل اسرائيل على المسالمة ولكن فقط . . التحقيق مع مخرجة خرجت عن مقتضيات وظيفتها . . وموقف الفنانين من التطبيع – هو الذى يجعل اسرائيل تتمسك وتستميت فى التمسك . . يالطفلك المدلل هذا الذى يجرح النسيم الرقيق خديه المتوردين بدماء اطفالنا وشهدائنا .

ياسيدى . . رفقا بعقولنا ومشاعرنا . . ولتتبادل الحب مع معشوقتك . . بعيدا عن صفحات جرائدنا ومجلاتنا . . أو لعل الله أن يهدينا جميعا إلى الصواب .

ملحوظة أخيرة : أرجو أن نكف عن أرهاب الذين يتخذون مواقف وطنية وقومية شريفة بأن مواقفهم معادية للسلطة فهذا أسلوب لا يليق ولم يعد ينطلى على أحد .

(مقال رمضان الثانى)

وتحت عنوان "ليقنع حمدى غيث بالتمثيل" عقب الدكتور عبد العظيم رمضان فى المقال التالى :

السيد حمدى غيث عملاق من عمالقة الفن فى مصر ، وفوق ذلك فهو مثقف وطنى له رؤية تقدمية ، ومن هنافما كتبه فى عدد ٣٠ أغسطس من الأهالى بعنوان "كوميديا الدكتور عبد العظيم رمضان" ردا على مقالى فى أكتوبر يوم ٢٠ أغسطس بعنوان : "الأمة السياسية فى المركز القومى للسينما" ، لايجوز غض الطرف عنه أو تجاهله ، وانما تجب العناية به والرد عليه .

ومن سوء حظ السيد حمدى غيث أن مدخله إلى مناقشة ما كتبته هجوما على المركز القوم للسينما ، كان مدخلا خاطئا ، والأساس الذى بنى عليه مناقشته لى كان أساسا باطلا . فقد ذكر أننى أناقش الموضوعات التى اعالجها من "منظورين ثابتين لا يتغيران ابدا" - حسب

تعبيره - وهما : "عشقى العميق لاسرائيل ، وحرصى المستميت على الدعوة إلى تطبيع علاقاتنا معها ، وأننى اتجاوز هذا الرد إلى دعوتى "الرومانسية" - كما وصفها - إلى تبادل الحب والعشق والمودة الحميمة معها" . . أما المنظور الثانى ، فهو كراهيتى لثورة يوليو ولزعيمها الخالد عبد الناصر . .

وعلى الرغم من أنه لم يناقش المنظور الآخر الخاص بعبد الناصر ، اكتفاء بالمنظور الأول ، فإن مجرد ايراده على هذا النحو يلزمنى بالرد عليه ، ولو فى عجالة قصيرة .

فليس من الصحيح أنى أكره الرئيس الراحل عبد الناصر ، ولو أردت ذلك ما أستطعت بل لقد كتبت فى أحدى المرات أقول أنى منحاز بعواطفى لعبد الناصر ومنحاز بعقلى للسادات ، كما كتبت فى كتابى "تحطيم الآلهة" أقول : "كان عبد الناصر أنقى وأطهر ما فى ثورة يوليو" . . وذكرى عبد الناصر تحرك جيشانا عاطفيا فى صدرى يرتبط بتحرير وسائل الانتاج من القبضة الأجنبية ، وتحدى الاستعمار الذى مرغ أنفنا فى الرغام ، والتحالف مع الحليف الطبيعى لحركات التحرر الوطنى ، وهو الاتحاد السوفيتى وتحقيق الاستقلال الوطنى الحقيقى الذى لاتشوبه شائبة تبعية .

ولكن هذه العاطفة ، التى تستند إلى حقائق تاريخية شئ ، وتزوير التاريخ لحساب ثورة يوليو ، كما يفعل الناصريون . شئ آخر . أن الناصريين يتصورون أننى سوف أصف الحكم الدكتاتورى لثورة يوليو بأنه

ديمقراطية ، أو أصف هزيمة يونيو ١٩٦٧ بأنها هزيمة فى معركة وليست هزيمة فى حرب ، رغم أننا نعانى من آثارها ، ويعانى كل العرب حتى الآن ، أو أسمى رأسمالية الدولة التى أرستها قوانين التأميم بأنها اشتراكية أو أصف ضباط يوليو بأنهم تقدميون واشتراكيون رغم أنهم وضعوا الاشتراكيين الحقيقيين فى السجون ، أو أضيف حرب أكتوبر لحساب عبد الناصر ، رغم أنها على وجه التحقيق لحساب السادات : هذا ما يتصوره الناصريون ، فاذا سميت الحقائق التاريخية بأسمائها ، فالتهم الصورة ، ووجهوا إلى الاتهام بأنى أكره ثورة يوليو وزعيمها الخالد عبد الناصر - كما يفعل الاستاذ حمدى غيث .

هذا هو المنظور الأول أو الأساس الأول الذى تحدث عنه السيد حمدى غيث وهو أساس باطل كما رأينا . أما المنظور الآخر ، وهو عشقى لاسرائيل فأنى اعتبره مزحة من الفنان الكبير ، خصوصا اذا بالغ فى وصف هذا العشق ووصفه "بالرومانسية" وأننى أدعو إلى تبادل الحب والعشق ، والمودة الحميمة معها .

وفى البداية فلست اعتبر هذه المزحة ، حتى لو كان المقصود بها الجد لا الهزل اتهاما يجب على دفعه ، بعد أن انسحبت اسرائيل من سيناء ، وطابا وأصبحت علاقاتها مع مصر تحكمها مواد المعاهدة المصرية الاسرائيلية . وعشقى لاسرائيل - حتى لو كان صحيحا - هو - على سبيل المثال - أقل بكثير من عشق أقطاب حزب التجمع للولايات المتحدة الأمريكية ، زعيمة الامبريالية العالمية ، والسند الأول لاسرائيل

الذى يمدها بالسلاح والمال ويدعم موقفها المتعنت فى وجه الانتفاضة الفلسطينية ويعوق اقامة الدولة الفلسطينية .

أقول أنه حتى لو كان عشقى لاسرائيل صحيحا ، فانه أقل بكثير من عشق أقطاب التجمع للولايات المتحدة الذى يدفعهم إلى زيارتها ، والقاء المحاضرات فى جامعاتها وندواتها - لأنى حتى الآن لم أزر اسرائيل ولم أقبل أية دعوة لزيارتها أو حضور أى مؤتمر من مؤتمراتها حتى على المستوى العلمى مع ما هو معروف من أن العشيق يجب أن يزور معشوقته ، ويجب أن يوطد الصلات معها ويتعاون معها ، ولكنى - حتى الآن - لم يحدث أى تعاون علمى أو غيره بينى وبين اسرائيل .

ليكف - اذن - السيد حمدى غيث عن هذه النغمة الرديئة ، فهو أعلى مستوى فى نظرى من ذلك بكثير ، ولست ممن ترهبهم مثل هذه الاتهامات ، واذا كنت قد ازدريتها وواجهتها بصلابة أبان عنفوان حملة التشويه العربى لموقف مصر ، واتهام السادات وكل من أيدوا مبادرته بالخيانة - فأنى بعد تحرير سيناء ، وهى أول أرض عربية تتحرر من الأراضى التى احتلت فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، أشد فخرا بموقفى وأشد اعتزازاً بصدق بصيرتى التى قادتنى وفريقا من الاصدقاء اليساريين إلى تأييد مبادرة القدس والمساهمة بأقلامنا فى تحرير سيناء . .

ولعل التاريخ قد أثبت الآن أن موقفنا كان أكثر شرفا ووطنية من موقف الرافضين وثوار الكلام ، بعد أن ثبت صحة موقف السادات ، الذى لولا مبادرته ورؤيته التاريخية الثاقبه ، لكان وضع سيناء اليوم هو وضع

الضفة الغربية وغزة والجولان .

ومن هنا ، فلعل القضية بينى وبين الأستاذ الكبير حمدى غيث قد أصبحت واضحة فهى ليست قضية عشق لاسرائيل قادنى إلى مهاجمة موقف المركز القومى للسينما ، وانما هى قضية موقف وطنى ثابت من العلاقات المصرية الاسرائيلية يقول : أن هذه الصفحة من حرب بيننا وبين اسرائيل قد انتهت ، وان هناك علاقات تحددها معاهدة دولية علينا أن نستفيد بها فى خدمة شعبنا المصرى وأمتنا العربية والشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتله ، وأن تأييد الشعب الفلسطينى ومساعدته فى الحصول على دولته المستقلة شئ ، ومعاملة اسرائيل كدولة معادية وتحريم التعامل معها شئ آخر ، فالموقف الأول موقف صحيح والموقف الثانى موقف خاطئ وباطل تماما .

ومن هنا كان هجومى على المركز القومى للسينما لموقفه من المخرجة التى حضرت مهرجانا أقيم فى اسرائيل بعد أن قرأت البيان الذى أصدره ، لأنى أدركت أن القضية ليست قضية المخالفات التى ارتكبتها المخرجة - حتى لو كانت مخالفات صحيحة - وانما هى قضية حضور مهرجان أقيم فى اسرائيل بالذات .

ولعلى كنت فى ذلك على حق فإنى استحلف الأستاذ حمدى غيث بضميره الوطنى الذى لا أشك فى نقائه : هل كان المركز القومى للسينما يتخذ هذه الاجراءات ضد المخرجة ، لو كانت قد حضرت مهرجانا أقيم فى ليبيا أو سوريا أو حتى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وهل كانت اللجنة

النقابية تسارع بفصلها بدلا من أن تهب للدفاع عنها ؟

هذه - اذن - ليست قضية سياسية بالدرجة الأولى وهى قضية سياسية مرتبطة بزيارة مخرجة سينمائية لاسرائيل ، ولو كانت زارت دولة أخرى لما قامت القضية أصلا . .

ومن هنا فإن الأستاذ حمدى غيث يقلب القضية ويسوقها فى شكل مغلوط حين يتهمنى بأنى أريد أن أعطى "للصديقة الحبيبة اسرائيل" (كذا) معاملة خاصة متميزة ، ويقول : "هل نحاكم مخرجا يستولى على فيلم ليس ملكا له ، ويعرضه فى مهرجان بانجلترا مثلا ، دون أذن صاحب الحق فاذا عرضه فى اسرائيل فلا جناح عليه ؟ " .

وأسأله بدورى : هل سبقت محاكمة مخرج مصرى عرض فيلما فى المهرجان بانجلترا أو أية دولة أخرى على نحو ما فعلت المخرجة المذكورة ؟ اذا كانت هناك حالات مثيلة من هذا النوع فأنى على استعداد لتقبل هذه على أنها قضية ادارية ، وأعلن بأعلى صوتى أننى لست بحال من الأحوال مع أية معاملة مميزة لاسرائيل وأسحب اتهامى للمركز القومى للسينما ، فقلمى فى خدمة بلدى وخدمة الحقيقة ، وليس فى خدمة أية مصالح خاصة .

على أن موقف اللجنة النقابية أو جماعة السينمائيين التسجيليين ونقابة السينمائيين يظل موقفا سياسيا ، لأنها لم تنتظر نتيجة تحقيق النيابة الادارية عن المخالفات الادارية للمخرجة وبنته على مجرد زيارة اسرائيل الكافية فى نظرها للفصل وعدم التعاون .

وبقيت بعض النقاط التى وردت فى مقال الأستاذ حمدى غيث والتى لست أدرى إذا كان يعنيها أو لا يعنيها ، فقد نسب إلى اقوالا وآراء لم ترد فى مقالى على الاطلاق وقد درجنا فى الجامعة على أن نناقش أقوال أو آراء ثبت صدورها عن صاحبها و أصحابها ، بل لعل أو مانفعله عادة ، حين نناقش رواية ، أن نتحقق أولا من صحة نسبتها إلى مصدرها ، والا تحولت مناقشتنا إلى عبث فى عبث .

وما فعله السيد حمدى غيث هو هذا العبث بعينه فهو يخاطبنى قائلا : "أن دعوتك هذه يترتب عليها مثلا ، أن يحمل أى موظف بالآثار أى قطع أثرية نادرة ليعرضها فى اسرائيل وعلينا أن نصفق له ، لأنه - طبقا لرأيك - يعمق الصداقة والمحبة بين شعب مصر وشعب اسرائيل (الشقيق) . فهل تراجع افكارك ومواقفك التى تسارع إلى اتخاذها دون تمحيص مدفوعا بحبك (العظيم) لاسرائيل ولشعب اسرائيل" .

فالسؤال الذى يطرح نفسه بعد هذا النص : هل قرأ السيد حمدى غيث لى سواء فى المقال الذى ناقشه أو فى أى مقال آخر . دعوة إلى "تعميق الصداقة والمحبة بين شعب مصر وشعب اسرائيل الشقيق" ، واذا لم يكن قد قرأ مثل هذا الكلام ، فكيف سمح لنفسه بأن يكتب عبارة "طبقا لرأيك" - أى طبقا لرأيى . ترى لو كنت قد افتريت عليه بمثل هذا الكلام ، ونسبت اليه مالم يقله ، وقلت أنه "طبقا لرأى حمدى غيث" . أفلا يعتبر ذلك هو التضليل بعينه ، كيف يكذب السيد حمدى غيث على القراء الذين لم يقرأوا مقالى ويحاول ايهامهم بأنى وصفت الشعب الاسرائيلى" بالشعب

الاسرائيلى الشقيق" ؟

واذا كان السيد حمدى غيث قد فهم رفضى تحريم التعامل مع اسرائيل على أنه دعوة إلى "تعميق الصداقة والمحبة بين شعب اسرائيل الشقيق" ، أفليس من حقى أن اشك كثيرا فى قدرته على فهم ما يقرأ ، أو أشك فى قدرته على النقاش الموضوعى ؟ .

واذا كان قد تحدث عن "حبى العظيم لاسرائيل ولشعب اسرائيل" ولم يقرأ لى حرفا واحدا دفاعا عن اسرائيل أو عن شعب اسرائيل أفليس من حقى أن أعتبر ذلك دسا رخيصا من جانبه ، أو أشك فى أنه لم يقرأ لى حرفا واحدا مما أكتب ؟

أغلب الظن أنه بنى عبارته على الاشاعات التى يطلقها ثوار الكلام والمناضلون بالعملة الصعبة الذين تاجروا بعرض مصر وأرض مصر وشرف مصر ، وأنضموا منذ اللحظة الأولى إلى الذين حاولوا تلويثها بالعار طوال معركة تحرير سيناء ، ثم عادوا دون حياء ليلوثوا الشرفاء . .

لقد طالما قلت أن لعبة تلويث الوطنيين باسم اسرائيل قد بطلت بعد انسحاب اسرائيل من سيناء ، وثبوت صحة منهج السادات فى تحرير أرضنا الغالية ، فلم يعد فى وسع الناصريين اخفاء عار موقفهم المخزى من المبادرة ، وتخلفهم عن تحرير الأرض بالقاء الوحل على من أيدوا المبادرة ، والزعم بعشقهم لاسرائيل بدلا من عشق مصر ، فالوحل عليهم هم أولا وأخيرا ، فهم سلموا الأرض فى يونيو ١٩٦٧ ، وهم قد تخلفوا عن تحرير الأرض منذ نوفمبر ١٩٧٧ حتى خروج آخر جندى اسرائيلى من

طابا فى عام ١٩٨٩ ، ولن يسوى التاريخ بين المفرطين والمحررين ولن يقلبوا الحق باطلا والباطل حقا ، فمعيار تحرير الأرض سوف يدمغهم ، وغطاء القضية الفلسطينية لن يخفي سوءاتهم ، فأرض مصر قبل كل أرض اذا كان لامفر من ذلك ، ولن يفيد القضية الفلسطينية أن تكون سيناء محتلة بالقوات الاسرائيلية ، وانما يفيد القضية أن تكون سيناء محررة ، وهو ما يحدث حاليا .

ومن هنا كنت آمل أن يسبق ذكاء السيد حمدى غيث قلمه فلا يكتب مفرقا بين الموقف المصرى الرسمى من اسرائيل والموقف الشعبى ، فالموقفان متماثلان منذ أيد الشعب المصرى مبادرة القدس ، وأيد كامب ديفيد ، وأيد المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وأيد خطوات السلام مع اسرائيل . والموقفان متماثلان أيضا من تأييد القضية الفلسطينية وموقف الرئيس مبارك من القضية الفلسطينية هو استمرار لسياسة ثابتة لكل من الموقف الشعبى والموقف الرسمى اللذين لم يفترقا أبدا .

فاذا أتت بعض "التنظيمات الجماهيرية" - كما يصفها السيد حمدى غيث تفخيما - لتزايد على الموقف الشعبى ، فمن حقنا أن نسخر من هذه المزايدة المضحكة ، فحين ترى هذه التنظيمات أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية كما يقول حمدى غيث - فأننا نقول لها : وما هو الجديد فى ذلك ؟ أن الشعب المصرى كله يرى أنه جزء من الأمة العربية ، وحين ترى هذه التنظيمات فيما ترتكبة اسرائيل فى لبنان والأرض المحتلة عملا من الأعمال الوحشية ، فأننا نرد بأن الشعب المصرى كله من أقصاه

إلى أقصاه يرى فيما ترتكبه اسرائيل عملا من أعمال الوحشية ، بل هناك من الاسرائيليين أنفسهم من يرون فيما ترتكبه حكومتهم عملا من أعمال الوحشية .

ولكن حين تتخذ تلك التى يسميها حمدى غيث "تنظيمات جماهيرية" ، ويقصد بها اللجنه النقابية وجماعية السينمائيين التسجيليين ونقابة السينمائيين ، قرارا بفصل مخرجة من النقابة ، وتتخذ تجاهها اجراءات انتقامية - من قبل أن تجرى النيابة الادارية تحقيقها مع المخرجة ، ومن قبل أن تظهر نتيجة التحقيق - فأننا لا نستطيع أن نرى فى ذلك "عملا شعبيا جماهيريا" مساندا للشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة ، وإنما هو تهريج واهدار لأبسط حقوق الأنسان ، وهو حقه فى أن يكون بريئا حتى ادانته ، ومن حقنا أن نشك فى هذه الاجراءات كلها وفى بواعث من حرضوا عليها ، بل نشك فى غيرتهم على الحقوق المشروعة للقضية الفلسطينية ، بينما هم يهدرون الحقوق المشروعة لمخرجة زميلة لهم .

ومن هنا فقد اعتبرناه تخبطا من السيد حمدى غيث حين أخذ يفرق بين "الموقف الشعبى" و "الموقف الرسمى" و "السياسة الوطنية" . ويقول أن ما اتخذته تلك التنظيمات من قرارات ضد المخرجة (من قبل ظهور نتيجة التحقيق) ، هو "موقف شعبى" يعلن أنه لاتطبيع للعلاقات مع اسرائيل حتى يحصل الشعب الفلسطينى على حقوقه المشروعة كاملة ، وأن هذه الموقف الشعبى هو - حسب كلامه : "لاشأن له بالموقف الرسمى

الذى تمليه ظروف عديدة متشابكة ومعقدة لاشأن له بالسياسة الوطنية التى تنتهجها الدولة" .

فالسؤال الذى يطرح نفسه ، كيف يكون "الموقف الرسمى" للدولة متناقضا مع "السياسة الوطنية" التى تنتهجها ؟ أليس "الموقف الرسمى" لأى دولة هو تطبيقا "لسياستها" ؟ وكيف تتخذ سياسة وطنية موقفاً رسميا غير وطنى ؟ وكيف يتصور حمدى غيث أن يكون "الموقف الشعبى" وطنيا ، "والسياسية" وطنية ، بينما الموقف الرسمى غير وطنى ؟ . أليس هذا هو التخبط بعينه ، أو هو الدفاع الكسيح عن مواقف متعفسة اتخذتها تلك التنظيمات التى يسميها السيد حمدى غيث "تنظيمات جماهيرية" تريد أن تزايد على "الموقف الرسمى" الذى لا يمكن أن يكون الا موقفا وطنيا مادامت السياسة" التى أملته هى سياسة وطنية ؟

وكيف يمكن – فى مجال المواقف القومية – أن نقارن بين التهريج الذى اتخذته تلك التنظيمات الجماهيرية تحت اسم "الموقف الشعبى" وما يتخذه الموقف الرسمى – الذى يعتبره حمدى غيث مخالفا للسياسة الوطنية للدولة ؟ أليس هذا الموقف الرسمى هو الذين يدين اسرائيل فى كل ما تتخذه من اجراءات قمعية وحشية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة ، ولايترك فرصة لمساندة القضية الفلسطينية فى المحافل الدولية وفى لقاءات الرئيس الأمريكى ورؤساء الدول ، وفى منظمة دول عدم الانحياز وفى منظمة الوحده الأفريقية ، وفى كل صقع وواد ؟

أن السيد حمدى غيث يتذرع بأن بعض الدول تصطنع الرأى

الشعبى اصطناعا ، لتناور به فى مواقفها السياسية التفاوضية - يقصد بالرأى الشعبى ذلك الموقف التهريجى الذى اتخذته منظماته الجماهيرية المزعومة ضد المخرجة من قبل اجراء أو ظهور نتيجة التحقيق معها بواسطة النيابة الادارية - وينسى أن سياسة النظام الوطنية قد سبقت فى كثير من الأحيان ، وفى مجال تحرير الأرض ، الموقف الشعبى ، والمثال على ذلك مبادرة القدس التى قادت الشعب لتحرير سيناء ، ومن ثم فلا مزايدة على النظام فى سياسته الوطنية والقومية .

ويتبدى خلط الأوراق حين يدين السيد حمدى غيث ما يسميه دعوة منى "إلى أن نقف جميعا على خط واحد مع الموقف الرسمى للدولة" قائلا أن هذه الدعوى تمكن العدو من أن" يقضى علينا جميعا بضربة واحدة" ، فهل هذا كلام يقوله مثقف وطنى له وزن السيد حمدى غيث ؟ هل مساندة الموقف الشعبى للموقف الرسمى والوقوف معه على خط واحد يتيح أن يقضى علينا بضربة واحدة ، أو اختلاف الموقف الرسمى عن الموقف الشعبى هو الذى يتيح للعدو القضاء علينا بضربة واحدة ؟ وما هى السياسة الرسمية الأقوى تأثيرا فى مواجهة الاعداء ، هل هى السياسة التى تقف فى خط واحد مع الموقف الشعبى أو هى السياسة التى تقف فى واد ويقف الشعب فى واد ؟ ثم أليس مما يثير السخرية أن يضخم السيد حمدى غيث فى حجم منظماته الجماهيرية الثلاث : اللجنة النقابية وجماعة السينمائيين ونقابة السينمائيين - من المخرجة المذكورة ، فيسميه "موقفا شعبيا" ، ليحميها من النقد ويسبغ عليها حصانة ضد المحاسبة ؟

بقى تعليق أخير على كلمة السيد حمدى غيث الأخيرة ، التى يدعونى فيها إلى الكف عن ارهاب الذين يتخذون مواقف وطنية وقومية شريفة ، بأن مواقفهم معادية للسلطة ، أفلا يرى أن هذا الكلام يتناقض مع كلامه السابق الذى يعترف فيه بأن السياسة التى تنتهجها السلطة هى سياسة وطنية ؟ أو ليس هو استمرار لكلام الناصريين السابق الذى يفرقون فيه بين مواقفهم ومواقف السلطة ، فيخونون السلطة ويصفون مواقفهم وحدها بأنها وطنية وقومية شريفة ؟ وكيف أخوف من يتخذون مواقف وطنية وقومية شريفة من السلطة التى تتخذ أيضا مواقف وطنية وقومية شريفة ؟

الحق ياسيدى لقد كنت فيما كتبته محاميا فاشلا ، فلماذا لا تقنع بالتمثيل ؟

(رد حمدى غيث)

وتحت عنوان "يادكتور عبد العظيم : يشرفنى أن أكون ممثلا" رد حمدى غيث بالمقال التالى :

كتب الدكتور عبد العظيم رمضان ردا على تعليقى فى مقال لى بجريدة الأهالى على مقال سابق كان قد كتبه سيادته فى مجلة أكتوبر . . يهاجم فيه موقف المركز القومى للسينما ونقابة السينمائيين وجماعة الفنانين التسجيليين . . لادانتهم لأحدى المخرجات بسبب قيامها بعرض أحد الأفلام التسجيلية المملوكة للمركز بأحد مهرجانات اسرائيل . . دون

اذن أو تصريح من المركز . . مخالفة بهذا قوانين العمل الوظيفى . . وقال سيادته كلاما كثيرا . . فيه بكل الأسف - كثير من المغالطات . . وفيه أيضا خروج متعمد عن الموضوع الأساسى . . ولست أشك فى قدرة سيادته على فهم ماكتبت . . ولكنه لم يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه سوى أن يعرض كلامى بصورة معكوسة . . وأوضح دليل على ما أقول هو أنه أغفل ما أوضحته فى مقالى من التفرقة بين محاكمة المخرجة تأديبيا - أى رسميا - باعتبارها موظفة خالفت قوانين العمل الوظيفى . . وهذا حق مؤكد لجهة العمل التى تتبعها هذه الموظفة - وخلط بين هذا الحق . . وبين موقف النقابة وجماعة التسجيليين واللجنة النقابية . . بأعتبارها مؤسسات جماهيرية وأخذ يسخر من وصفى لها بأنها مؤسسات جماهيرية . . مما يفصح عن عدم ايمانه بالنقابات والجماعات ويناقض ادعاءه الدائم بالايمان بالديمقراطية . . ومن المضحك حقا أن يدين موقف هذه المؤسسات لأنها لم تنتظر ما سوف يسفر عنه التحقيق الذى تجريه الجهة الرسمية وهى المركز القومى للسينما وهو بهذا يريد من تلك المؤسسات أن تكون تابعة للأجهزة الحكومية . . لاتصدر قرارا الا بعد قرارا هذه الأجهزة ومتفقا مع قراراتها . . . وهذا فضلا عن مجافاته لديمقراطية العمل فى المؤسسات الجماهيرية . . مما يجعلها تابعة للأجهزة الحكومية . . فأنه تجاهل صريح لقوانين هذه المؤسسات وحقها الطبيعى والقانونى فى تأديب اعضائها ومحاكمتهم .

الموقف الرسمى لنظامنا . . موقف موروث ، وهو يحاول أن يستولد

منه كل ما يستطيع من ايجابيات . . وأما سياسته الوطنية فهى سياسة . . نابعة فعلا من تعبيرها عن مشاعر الأمة ومصالحها . . هذا واضح ياسيدى المؤرخ العظيم ؟

أم هل تريد مزيدا من الايضاح لكى تدرك أن السياسة شئ يختلف تماما عن مجرد المواقف الرسمية . . انظر ياسيدى إلى أمريكا . . أنها تتخذ فى كل مواقفها الرسمية موقفا معاديا للحق العربى . . ومؤيدا لاسرائيل بلا تحفظ . ومع ذلك . . فهى تتحاور مع الفلسطينيين . . وتعلن حمايتها ودفاعها عن حقوق الانسان . . وعن الديمقراطية . . ياسيدى . . . السياسة شئ . . والموقف الرسمى شئ آخر .

ثانيا : يسخر سيادة الدكتور مما جاء فى مقالى عن جدوى اختلاف الرأى حيث قلت أن وقوفنا فى صف واحد قد يسهل على العدو القضاء علينا بضربة واحدة . . وأخذ سيادته مرة أخرى يصفق لنفسه طربا باكتشاف الخلل فى هذا الرأى . فكيف يكون الوقوف فى صف واحد . . خطرا يهدد بالقضاء علينا بضربة واحدة ؟ وليسمح لى سيادته بأن أقول له أن الوقوف على خط واحد - حتى فى أى لعبة رياضية - يسهل على خصم ضرب هذا الخط بلعبة واحدة . وحتى فى الحرب فإن الجنود لاتقف على خط واحد . . وهذا قانون يسرى ايضا على مجال السياسة . . لابد من تنوع الأراء والاجتهادات وتعددها . . والا فما جدوى تعدد الاحزاب . . إن لم يكن من أجل الأراء والمواقف . . إن هذا التعدد يثرى الموقف الوطنى ويدعمه . . ويربك العدو . ومازلت أقول أن بعض

الدول تصطنع هذا التعدد اصطناعا . . توزيعا للأدوار وتحقيقا للأدوار وتحقيقا للمناورة . . واسرائيل نفسها تفعل هذا . . مما يوهم الدكتور رمضان بأن اسرائيل بلد ديمقراطى فيها آراء حرة تدين ممارستها القبعية وسياستها العنصرية . . فيشيد سيادته بذلك فى مقالاته . . أو متوها . . للرأى العام المصرى . . بأن اسرائيل واحدة للديمقراطية . .

ياسيدى أن الوقوف صفا واحدا . . واجب وطنى مقدس . . عندما يتعرض الوطن للخطر سواء من الداخل أو من الخارج . . هنا يجب أن نواجه الخطر بعقيدة واحدة وموقف واحد . . وصف واحد . . أما دون ذلك . . وفى مجال السياسة . . فأنه يسمح فيه باختلاف والتعدد . . وهذه بدهية لاخلاف عليها ولكن ما حيلتى . . والدكتور رمضان . . يريد أن يبلغ من يهمه الأمر بأننى أدعو إلى الاختلاف مع النظام . . وهو اسلوب كما قلت لم يعد ينطلى على أحد . . ومما يؤيد هذا الظن عندى . . أنه اقحم فى مقاله . . حديثا عن حزب التجمع . . وعن علاقات أعضائه بأمريكا . . سيدة الاستعمار فى العالم .

ياسيد مالنا ولحزب التجمع . . وما بالك تزج به فى حوارنا . . أنا لست عضوا بحزب التجمع . . كما أننى لم أتشرف بزيارة أمريكا ابدا . . ولم اتعامل معها بأى صورة من صور التعامل . . ومما ادهشنى فى مقال الدكتور أن يبادر بأعلان أنه لم يقم بزيارة اسرائيل حتى الآن . . وأنا اسألة بدورى . . لماذا يادكتور . . مادمت مؤمنا بالصداقة والتعامل معها ؟؟

أغلب الظن أنك لم تفعل . . حتى يتسنى لك أن تضفى على دفاعك عنها نوعا من المصداقيه . . ودرءا للشبهات . . اليس كذلك ؟ ياسيدى . . أن كل الوطنيين المخلصين يدينون موقف امريكا من القضية العربية . . ومن التفرقة العنصرية . . بوصفها زعيمة العالم الاستعمارى . . ولا بأس بعد ذلك من زيارتهم لامريكا والقاء المحاضرات بها كما قلت سيادتك . . فليس هذا دليل عشق لها كما ادعيت . . ولكنه محاولة مخلصة وواعية للوصول إلى عقل المواطن الأمريكى . . والتأثير فى وعيه . . ولست أدرى كيف تنكر سيادتك هذا . . الا أن تحاول فقط تلطيخ الآخرين بالوحل . . دفاعا عن نفسك . . وعن عشقك لاسرائيل . . هذا العشق الذى يتمثل فى الدفاع عنها . . وفى ادانة كل موقف وطنى يدينها . . وإن كان عشقا على البعد – لأنك لم تزر معشوقك حتى الآن . . الا ترى معى ياسيدى أنه عشق رومانسى كما قلت لك فى مقالى السابق ؟

وفى النهاية . . أحب أن أقول للدكتور رمضان . . أنه ليشرفنى أن أكون ممثلا ولكنه ليس بالمعنى الذى حاول أن يرمز اليه فى نهاية مقاله . . وهو لاشأن للممثل بالفكر والسياسة . . التى يجب أن ينفرد بها الافذاذ من أمثاله . . لعلك ياسيدى لاتعرف أن الممثل بالمصطلح الحديث . . يجب أن يلم الماما عميقا بالثقافة والفكر الانسانى والسياسة جزء من هذا الفكر . . وعندئذ يصبح رجل مسرح حقيقى وأنا ياسيدى حين أفكر سياسيا . . فأنا أمارس مهنتى كرجل مسرح . . كممثل عصرى . . ولكن بمعنى أعمق مما تفهمه سيادتكم . .

كتب أخرى للمؤلف

١ - سينما ٦٥	١٩٦٦	القاهرة
٢ - الدليل السينمائى لعام ١٩٦٦	١٩٦٧	القاهرة
٣ - الفيلم الأمريكى	١٩٦٧	القاهرة
٤ - فهرنهيت ٤٥١ (ترجمة سيناريو فيلم فرنسواتروفر)	١٩٦٨	القاهرة
٥ - العالم من عين الكاميرا (سينما ٦٦ - ٦٧)	١٩٦٨	القاهرة
٦ - سينما ٦٩ (سينما ٦٨ - ٦٩)	١٩٧٠	القاهرة
٧ - سينما ٧٠	١٩٧١	القاهرة
٨ - القاموس الصغير للمخرجين المصريين	١٩٧٤	تونس
٩ - حرب أكتوبر فى السينما	١٩٧٥	القاهرة
١٠ - فى مهرجان كان	١٩٧٨	القاهرة
١١ - (دليل السينما العربية) بالعربية والانجليزية - جزء خاص عن مصر)	١٩٧٨	القاهرة
١٢ - دليل السينما العربية (بالعربية والانجليزية - جزء خاص عن العراق)	١٩٧٩	القاهرة
١٣ - اضواء على السينما المعاصرة	١٩٧٩	بغداد
١٤ - فى السينما العربية	١٩٨١	بيروت
١٥ - مدخل إلى السينما الصهيونية	١٩٨١	بيروت
١٦ - مسرحيات شكسبير فى السينما	١٩٨١	بغداد
١٧ - هوية السينما العربية	١٩٨٨	بيروت
١٨ - نجيب محفوظ والسينما	١٩٩٠	القاهرة
١٩ - حوار مع السينما العربية والعالمية	١٩٩١	القاهرة
٢٠ - اضواء على سينما يوسف شاهين	١٩٩٢	القاهرة
٢١ - الواقعية الجديدة فى السينما المصرية	١٩٩٢	القاهرة

الفهرس

١ – واقع السينما فى اسرائيل ٣
٢ – نشأة السينما فى اسرائيل ١٧
٣ – السينما فى اسرائيل بعد حرب ١٩٥٦ .... ٢٣
٤ – السينما الجديدة فى اسرائيل ٤٥
٥ – السينما المعادية للصهيونية فى اسرائيل ٥٥
٦ – التطبيع فى مجال السينما (٧٧ – ١٩٨٠) ٦٩
٧ – التطبيع ٨١ .... ٩٥
٨ – قصة مهرجان فيتيل : كامب دافيد السينما ١٠٩
٩ – مهرجان السينما اليهودية فى باريس ١٢١
١٠ – مسلسل سادات ١٣٩
١١ – خيانه : كوستا جافراس داخل امريكا ١٥٥
١٢ – صندوق الموسيقى : مع اليهود ضد العالم ١٦١
١٣ – دكتور كورزاك : نصف الحقيقة كذب أيضاً ١٦٩
١٤ – كأس النهاية : السينما العربية العبرية ١٧٥
١٥ – اوربا . . اوربا : محاولة صنع اكذوبه جديدة ١٧٩

وثـائـــق :

ندوة هانا . ك فى مهرجان القاهرة ١٨٧
التطبيع ١٩٨٩ .... ٢٠٧

مطبعة اطلس

imprimerie atlas

LE CAIRE: 11-13 RUE SOUK EL TEWFIKIEH, R.C.100731, TEL: 747797

القاهرة : ١١-١٣ شارع سوق التوفيقية س.ت ١٠٠٧٣١ ت ٧٤٧٧٩٧

هذا الكتاب

هناك عدد من الكتب تناولت السينما الصهيونية ، والقضية الفلسطينية فى السينما ، ولكن فى هذا الكتاب أول دراسات عن السينما فى اسرائيل : واقعها ، وتاريخها ، واتجاهاتها المختلفة .

وهناك عدد من الكتب التى تناولت محاولات التطبيع بين اسرائيل والعرب بعد ١٩٧٧ ، ولكن فى هذا الكتاب أول دراسات متخصصة عن هذه المحاولات فى مجال السينما . بل أنه تاريخ كامل لهذه المحاولات منذ بدايتها حتى الآن .

إنها صفحات من الصراع العربى الصهيونى فى السينما تشمل أيضاً دراسة مفهوم "البحر المتوسط" وعلاقته بهذا الصراع ، ومفهوم "السينما اليهودية" ، ومفهوم "السلام" كما عبر عنه المسلسل الأمريكى "السادات" .

ويتناول الكتاب أيضاً مجموعة من أهم الأفلام الأمريكية والأوروبية والاسرائيلية التى ظهرت فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، وعبرت عن هذا الصراع الذى يشغل العرب منذ قرن كامل من الزمان .

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ ـ الكويت
ص. ب : ١٣ المقطم ـ القاهرة

